دعوة الحق

الصمود الفكري.. مسؤولية إسلامية

شهرية تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
مديرية الشؤون الاسلامية

تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر .

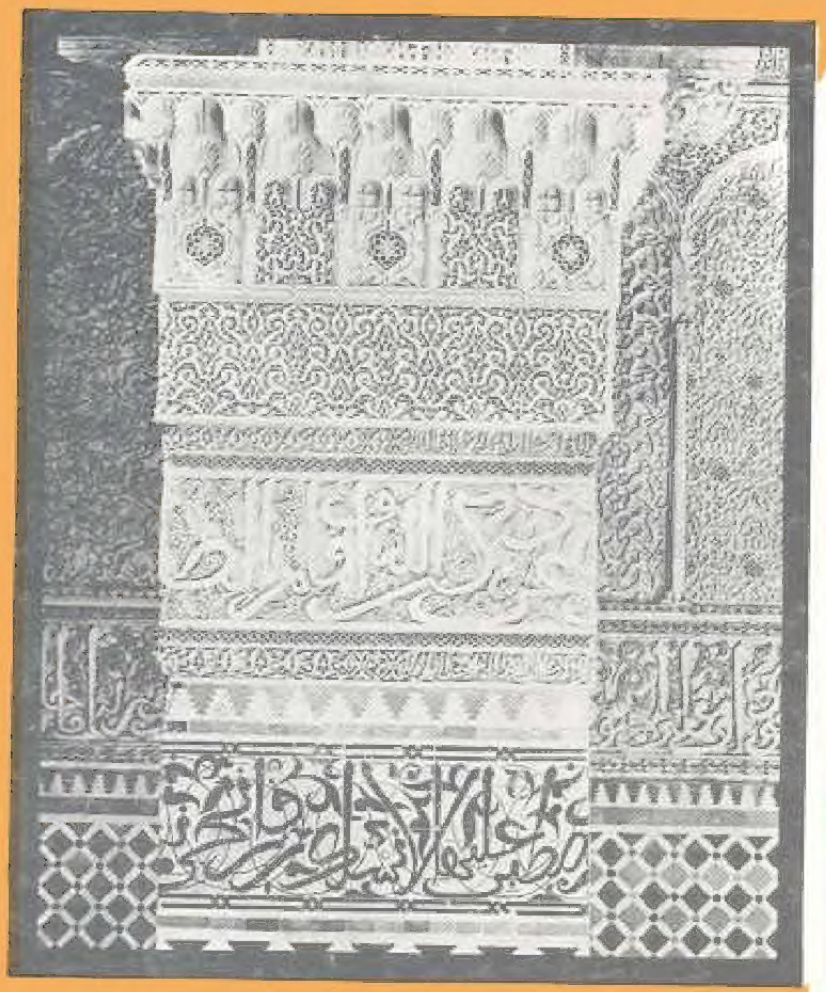

الرد القرآني

على كتيب: هل يمكن الاعتقاد بالقرآن؟

نحن والمال

وحق الله فيه

الايديولوجية السلفية

- 2 -

دراسة تحليلية لشعر

مفدى زكريا

العدد الأول • السنة الثامنة عشرة * صفر 1397 – يناير 1977 * ثمن العدد: 3 دراهم

تصدرها وزارة
الأوقاف والشؤون
الإسلامية

مديرية
الشؤون الإسلامية

دعوة الحق

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الأول
السنة الثامنة عشرة
صفر 1397
يناير 1977
ثمن العدد : 3 دراهم

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :

مجلة « **دعوة الحق** » ــ مديرية الشؤون الإسلامية
ص ب : 375 ــ الرباط ــ المغرب
الهاتف : 85،235 ــ 30،338

الاشتراك العادي عن سنة 30 درهما ، والشرق 100 درهم فأكثر .

السنة عشرة أعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :

مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 . 485 الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485-55 à Rabat

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان أعلاه :

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

الافتتاحية :

1 ــ الصمود الفكري : مسؤولية إسلامية ــ دعوة الحق

دراسات إسلامية :

7 ــ الرد القرآني على كتاب « يمكن الاتفاق بالقرآن » ــ 5 ــ الأستاذ عبد الله كنون
12 ــ تحجير والمال وتحقيق القيمة فيه الأستاذ حسن التهامي
17 ــ الأنثروبولوجية الثقافية ــ 2 ــ الأستاذ حسن الساليح
21 ــ مهام جسام الدكتور عبد السلام الهراس
24 ــ الجانب السياسي في شخصية الرسول القائد الدكتور عبد الكريم كريم
27 ــ الإجماع في الشريعة الإسلامية الأستاذ محمد المنتصر الزعبوبي
33 ــ من أساليب القرآن والتعبير ــ 4 ــ الأستاذ أبو عمار اليوسفي
35 ــ الفقيدة ... الأستاذ أحمد البوزيدي
40 ــ مهمة التربية الإسلامية الدكتور أحمد الشرباصي
44 ــ الترويح وتربية الصوت الأستاذ محمد حمادي العزيز
47 ــ حاضر الإسلام ومستقبله الأستاذ عبد القادر المغربي
55 ــ رد الذهبي على ابن القطان الفاسي الأستاذ فاروق حمادة

دراسات عربية :

77 ــ من أعلام الأندلس : القاضي بن العربي ــ 8 ــ الأستاذ بنعيسى أحمدوي
83 ــ دراسة تحليلية للشعر عند زكريا الدكتور عباس الجراري
91 ــ صورة جبل في شعر الحاج أحمد بن عبد النبي الأستاذ الفاج أحمد مشبع
98 ــ الأدب والفنون الإسلام في المغرب العربي الدكتور عثمان عثمان اسماعيل

تعريفات ودراسات :

102 ــ صبح الأعشى في الفقه الدكتور محمد رجب البيومي
105 ــ من جوانب الحركة الشعرية في السودان الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي
116 ــ منهجية تدريس اللغة العربية ــ 2 ــ محمد خير البقاع
123 ــ الحس الديني في شعر فوزي أباظة الدكتور ابراهيم أباظة
127 ــ اليوميات الأستاذ عبد القادر زمامة
131 ــ الشاعر الفيلسوف الراحل الأستاذ أبو طالب زمان

مكتبة دعوة الحق :

139 ــ نظرة على ديوان الرصافي البلنسي الأستاذ محمد بن شاوية
144 ــ فصول في الدين والأدب والاجتماع الأستاذ عبد الرحيم بن سلامة

ديوان المجلة :

151 ــ وفاء الصحراء بإيداع خير مالكه الأستاذ محمد زكريا
154 ــ حنين قلب وأنين الأستاذ عبي بهاء الدين الأنيوي
156 ــ نداء الى النهر الأستاذ المدني الحصراوي
161 ــ حنين وذكرى الأستاذ فريد محمد
163 ــ من نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دعوة الحق
165 ــ شهريات التأليف الإسلامي دعوة الحق
169 ــ شهريات الفكر والثقافة دعوة الحق

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

الصمود الفكري.. مسؤولية إسلامية

الخروج من حالة التخلف بمظاهرها ووجوهها وأشكالها المتعددة ، وفك الحصار الاستعماري الرهيب ، والتحرر الكامل من رواسبه ومخلفاته، يتطلب جهادا مستمرا ، ويستوجب تعبئة عامة ، ويفرض استعدادا نفسيا وطاقة عالية لمواجهة الاعباء ، ومقاومة المضاعفات ، والتصدي للمؤامرات، وتحصين المكتسبات والدفاع عنها .

وليس من شك في أن الاستعمار العالمي بأقنعته المتنوعة ، يقف بالمرصاد اليوم للشعوب الاسلامية ، ويتربص بها الدوائر ، ويحيك لها من الدسائس ما يجعلها دائما في حالة الدفاع عن النفس ، ويشغلها بمعارك طارئة الغاية منها تبديد طاقتها وصرفها عن تنمية اقتصادها ، والرفع من مستواها الاجتماعي ، وبناء كيانها الجديد على نحو يحفظ لها ماء وجهها ويصون كرامتها ، ويدعم مركزها ، ويكسبها القوة والمناعة والوجاهة .

وفي عصر الوفاق الدولي والتقارب بين الانظمة المتصارعة ، يلاحظ التسابق الشديد نحو اعادة اكتساح الوطن الاسلامي وغزو الانسان المسلم بالفكر والثقافة والادب والصحافة والاعلام والسينما والمسرح ومختلف فنون القول والتعبير والابداع ، مما تسبب في بلبلة فكرية وحيرة عقائدية واضطراب نفسي وقلق عقلي ، وأوجد حالات ضياع شاذة على المستويين السياسي والايديولوجي انعكست آثارها بكيفية ملموسة على الواقع العربي الاسلامي سواء من حيث التفكير والتدبير والتخطيط ومعالجة القضايا المصيرية المطروحة أو من حيث العجز عن مواكبة متطلبات العصر ومجاراة أسلوبه المتطور باستمرار

واذا كانت شعوب العالم الثالث عموما تعيش هذه الاوضاع المفروضة بارادة الاستعمار الحقود فان الشعوب الاسلامية على الخصوص أكثر تعرضا

لمضاعفات وأخطار هذا التردي السحيق ، وقسطها من الكيد والحقد والتآمر أوفر وأوفى ، ولذلك كانت أزمتها اشد وطئا واكثر تعقيدا ، ومعاناتها اقوى وأقسى وأبلغ تأثيرا ، يؤكد هذا ان أكثر المناطق فى العالم قابلية للانفجار بين الحين والآخر هي التي يسكنها عرب ومسلمون ، وأن اخطر المشاكل العالمية التي تهدد السلام الدولي تتركز فى العالم العربي والاسلامي . الى جانب هذه الصورة القاتمة نجد الثروات الطبيعية الهائلة والطاقات البشرية الضخمة والاستعدادات الفنية فى شتى حقول التنمية ومجالات التطور . ويكفي أن اكثر من نصف أعضاء منظمة « أوبيك » دول اسلامية .

● فما هي أسباب هذا التناقض اذن ؟ . ولماذا هذا التركيز الشديد على الوطن الاسلامي والانسان المسلم ؟ أليس فى الامر ما يحمل على التفكير وبدعو الى تحليل وضعية المسلمين الراهنة انطلاقا من دراسة مخططات الاستعمار والصهيونية والصليبية والالحاد ؟ .

فى نهاية المطاف لهذا التحليل لا يسعنا الا ان نقف طويلا عند الدور التخريبي المفزع الذي يمارسه الغزو الفكري ، ومن الحقائق المروعة ان الغزو الفكري يستهدف اقتلاع الاسلام من جذوره ، وان المعركة ممتدة على طول الساحة العربية والاسلامية ، وان هناك تخطيطا محكما لا يستثني فى تصوره العام بلادا عربية اسلامية دون أخرى ، وان طرق المحق والمحو والتخريب والتدمير تتغير وتتطور حسب الظروف والمناخ واستعدادات المقاومة فى كل قطر عربي على حدة .

● فما هو موقف الفكر والثقافة والاعلام العربي الاسلامي من هذه الغارة التترية الجديدة ؟ .

هذا السؤال يباور ـ بالتحديد ـ رسالة ووظيفة هذه المجلة التي حملت لواء الصمود الفكري وجمعت حولها نخبة طيبة وصفوة مختارة من علماء الامة ومفكريها وكتابها وادبائها وشعرائها والذائدين عن القيم الثقافية والفكرية الرفيعة .

ولكن السؤال ـ مع ذلك ـ يظل مطروحا ، لان القضية بحجمها ومستواها وما يكتنفها من ملابسات ابعد مدى وأوسع نطاقا .

وهذا هو الدور الحضاري والعقائدي الذي ينهض به المغرب فى مرحلته التاريخية الراهنة على نحو يصح ان يكون نموذجا يحتذى سواء على الصعيد السياسي بما فى ذلك التنظيم الداخلي للدولة من توفير الحريات العامة وتكافؤ الفرص امام جميع المواطنين وبناء صرح الاقتصاد الوطني والتوازن المنضبط فى ربط العلاقات مع دول الشرق والغرب أو على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والثقافية . وفى جميع الحالات يعطي المغرب المثل فى التحرر والاستقلال والنضج الفكري والرشد السياسي والاعتزاز بالاصالة والمقدسات .

وهذه القدرة على الانفلات من قبضة التبعية والانحياز الى جانب الحق والعدل والمشروعية واقامة كيان حر مستقل غير منتم لاي كتلة من الكتل المتطاحنة المتربصة ببعضها البعض ، كل ذلك يعكس ايجابية الصمود الفكري القائم على اساس الايمان والوعي ويعبر عن الانتماء المغربي المطلق للاسلام والعروبة .

وهذا التوازن والاعتدال والنظرة الموضوعية والمعالجة العقلانية لمعطيات مرحلة الافلاع الاقتصادي علامات صحة وعافية ودلائل فوز ونجاح تؤكد جميعها أن المعركة التي يخوضها المغرب هي حقا من صميم المعارك الفكرية والثقافية والحضارية التي يخوضها العالم العربي والاسلامي .

وهكذا نجد انفسنا ازاء الفكر والثقافة مهما تشعب بنا الحديث واختلفت طرائقه .

وتلك هي معركتنا اليوم . الفكر بالفكر ، والحجة بالحجة ، والمنطق بالمنطق ، وجميعها أدوات عقلانية تفرض نفسها فرضا على الصراع المحتدم في عالم اليوم .

والاعتصام بالاسلام يكسبنا طاقات هائلة للصمود الفكري الذي لا يمكن باية حال من الاحوال استمداده من عقيدة او ايديولوجية أو مذهب أو فكرة بديلة .

وقد وفق الله مولانا امير المؤمنين الحسن الثاني الى تلخيص طبيعة الصراع الرهيب في دنيا الاسلام والمسلمين بقوله :

« ان المسيرة طويلة ، والعمل الذي ينتظرنا جد شاق ، ومهمة ملك البلاد ليست هينة كما أن مسؤولية العلماء غير صغيرة ، فمعاول أعداء الاسلام ترتفع لتقويضه في كل جهة ، وصيحات خصومه تتعالى لتقليص ظله من كل جانب ، وشبهات الحاقدين عليه الناقمين منه تثار حوله بمناسبة وبغير مناسبة ؛ تثيرها كتب ملغومة واقلام مدسوسة وصحافة مأجورة ووسائل اعلام مدخولة مريبة وسائر وسائل الاغراء ومرافق الاغواء فوجب أن نستشعر الحذر ونأخذ بالحيطة والحزم ونعمل على مقارعة الشبهة بالحجة ودحض الباطل بالحق ، ودمغ الغواية بالرشاد ، متسلحين لاصابة الهدف وبلوغ المرام بنفس الاسلحة العصرية التي يشهرها في وجه ديننا ولغتنا الخصوم ويصلتها الاعداء .. »

ابعد هذا التحديد الموضوعي لمخططات الاستعمار واعداء الحق والانسان يبقى مجال للشك ؟ .

لقد اعتدنا ان نقرأ مثل هذه الافكار في كتب ومقالات الكتاب والادباء والصحفيين والباحثين المتخصصين ، اما ان تصدر عن قائد ورائد عربي اسلامي استوعب ثقافة الغرب وخبر أساليب السياسة وعرف الطيب من

الخبيث ، فهذه مسألة تحرك الوجدان وتثير العقل وتزيدنا ايمانا ووعيا وادراكا لحقائق العصر .

ونعود فنكرر أن هذه رسالة المجلة . وما كانت « دعوة الحق » الا صادعة بحقائق الاسلام ، جاهرة بقيم ثقافته ، داحضة للشبهات ، رائدة للحركة الفكرية والادبية ، وملتقى للفكر العربي الاسلامي من مشرقه الى مغربه .

وهي مسؤولية مشتركة بين المجلة وكتابها الذين واكبوها بانتاجهم وتعهدوها باهتمامهم وامدوها برحيق الحياة وعصارة الفكر طيلة ثمانية عشر عاما . وهو عمر قليل من المجلات العربية والاسلامية ما تبلغه .

فلتتكاثف الجهود على بركة الله . وليمد السادة الكرام كتاب المجلة أيديهم الينا ، لنمضي معا على درب الكلمة النظيفة الطيبة الى ما يرضي الله ورسوله والمؤمنين .

دعوة الحق

دراسات إسلامية

- الرد القرآني على كتيب:
  هل يمكنه الاعتقاد بالقرآن؟
- نحمه والمال وجهه الله فيه
- الأيديولوجية السلفية

مسابقة أدبيـــة بمناسبة عيد المولد النبوى الشريـــف

● تنفيذا لتعليمات رائد البعث الاسلامي ، ومجـــدد امجادنـــا التاريخية مولانا امير المؤمنين ، جلالة الملك الحسن الثانـــي نصره الله وتخليدا لذكرى مولد رسول الاسلام الاكرم ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تنظم وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية مبارة ادبية لانتخـــاب أروع انتاج شعري او قصصي ، تجود به قرائح الشعراء والكتاب بهـــذه المناسبـــة الخالـــدة .

وقد رصدت الوزارة لهذه الغاية ثلاث جوائز نقدية ، تقديرا للقصائد او القصص الفائزة .

الجائزة الاولى : قيمتها ثلاث آلاف درهم

الجائزة الثانية : قيمتها الفا درهم

الجائزة الثالثة : قيمتها الف وخمسمائة درهم .

وستجتمع لجنة برئاسة الكاتب العام لوزارة الاوقاف والشـــؤون الاسلامية لفحص وتقييم ما ستتوصل بل الوزارة من انتاج في هذا الموضوع

وسيتولى معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية تسليم الجوائز للفائزين في حفل تكريمي ، سيقام بهذه المناسبة ان شاء الله .

وتلفت الوزارة انظار المشاركين الكرام الى مراعاة الاجراءات التالية:

1) ان يقدموا انتاجهم في ثلاثة نظائر الى وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية (الكتابة العامة) المشور السعيد ـ الرباط ـ وذلك قبـــل 20 صفر 1397 ، مع اثبات اسمائهم وعناوينهم كاملة .

2) ان يتراوح حجم القصيدة ما بين 50 و 70 بيتا ، وحجـــم القصة ما بين خمس وسبع صفحات .

فعلى اولى القرائح الوقادة ان يهبوا لتمجيد هذه الذكـــرى ، وان يصوغوا من لآلىء القول ، وجواهر اللفظ قلائد وعقودا يطوقون بها جيدها العطر ، مستوحين من الرسالة النبوية ، ومن مواقف صاحبها الاكرم ، ومن صموده وثباته وثقته في نصر الله ، ومستلهمين من جلال هذا الحـــدث العظيم ، الذي كان نقطة تحول في تاريخ البشرية ، وتصحيحا في خـــط سيرها ، وما صاحبه واعقبه من فتوحات سياسية وفكرية وحضاريـــة خالدة ما يذكي جذوة ايمانهم ويرقي بادبهم الى مستوى الاجادة والابداع.

حفظ الله مولانا امير المؤمنين ، وابقاه حصينا للوطن والديـــن ، وأعز به الاسلام والمسلمين وأقر عينه بسمو ولي عهده الامير سيدي محمد، وعنوه الامير المولى الرشيد وبباقي افراد الاسرة المالكة الشريفة ، انه ولـــي التوفيـــق .

الرد القرآني

على كتيب: "هل يمكن الاعتقاد بالقرآن؟"

للأستاذ عبد الله كنون

من هم المستفيدون من الصلوات :

اطلعنا فيما مضى على مهاترات هذا الكتاب فى المسائل الاساسية كحقيقة القرآن وموقفه من العمل وخلق العالم ، والسلم والصداقة بين الشعوب ، وقضية المرأة ، وما سطره فى هذه الفصول من ادعاءات باطلة ، وتقول على الاسلام وكتابه المبين ، وفضحنا ما فى كلامه من تزوير ودس ، وجهل بهذه الموضوعات فى أصلها ، بقطع النظر عن كلمة القرآن فيها ؟ فأما حين يتعرض لاقوال القرآن ، فانه لا يبين عن جهله فحسب ، ولكنه يعمد الى الكذب والبهتان مدفوعا بعامل التعصب المقيت والثقة العمياء فى ما لقنه اياه اساتذته الشيوعيون ، وشحنوا به فكره العاجز عن التأمل واعمال النظر فيما يقرأ او يسمع !

والآن ينتقل الى الكلام على امور اخرى من شعائر الدين كالصلاة وما اليها ، ليملى رأيه الالحادى المتعفن ، متذرعا بذلك الى نقد القرآن والطعن فى الاسلام ، فلنستمع اليه حين يقول تحت العنوان السابق :

« الغاية من الصلوات التى ينظمها القرآن والشريعة الاسلامية لاتباعها المؤمنين بها هى الشعور بالخضوع المهين ، ويقوم المسلمون بالصلوات كل يوم بانتظام واحيانا عدة أيام متوالية ، وبالاضافة الى الصلوات الخمس التى يؤدونها فى كل يوم كما فرضها القرآن فانهم يستعينون بالله فى كل مناسبة وفى كل الظروف ، قبل طلوع الشمس ، وقبل الاكل واثناءه ، وقبل غروب الشمس ، وعند غروبها واثناء الليل » .

ان شخصا ملحدا ، يعيش فى غمرة المادة ، ولا يعرف شيئا عن الحياة الروحية ، كهذا الكاتب ، لا يمكن أن يفهم معنى الصلاة أو يدرك لها مغزى ، ولا يستطيع ان يتصور السمو الروحى الذى توحى به الصلاة لمن يمارسونها ، لان ما ران على احساسه من جساوة المادة ، يجعله بعيدا عن هذا الجو ، وبما انه يعيش حقيقة فى تبعية مطلقة وخضوع مهين ، لسيطرة الحزب الرهيبة ، وتسلط الحاكمين بأمرهم ، فهو انما يصدر فى احكامه وآرائه ، عن تجاربه الشخصية ، وبما عرفه فى حياته اليومية من اذلال وتسخير . وما مثله الا مثل ولد الوزير الذى نشأ فى السجن مع أبيه ، فلم ير فى حياته الا الفار ، فكان كلما حدثه والده عن شىء مما هو خارج السجن ، الا قال له : اتراه مثل الفار ؟ .

ان الصلاة — يا هذا — ضمير حى لا ينشأ الا عند المؤمنين بها ، يأمرهم وينهاهم فيكفهم عن الشر ويحضهم على الخير ، ويقوم رقيبا حسيبا عليهم ، فلا تصدر منهم زلة أو هفوة الا واخذهم بها ، وبذلك تصفو نفوسهم ، وتطهر بواطنهم ، كما تطهر ظواهرهم واجسامهم بشرطها الذى لا تصح الا به ، وهو الوضوء ، والاغتسال ان وجد موجبه . وهذا ما يشير اليه القرآن الكريم بقوله (ان الصلاة تنهى عن

الفحشاء والمنكر) وخبراء الاحصاء يسجلون انخفاض نسبة الاجرام فى البلاد الاسلامية عنها فى البلاد الاروبية والامريكية ، برغم تقدم هذه فى العلم والحضارة ، ولا يعرفون أن السبب فى ذلك يرجع الى تدين المسلمين ، وبالخصوص الى هذا الوازع العتيد الذي هو الصلاة فليعرف ذلك من لم يكن يعرفه، ومن يجعل الحسنات سيئات .

والصلاة رياضة بدنية مفيدة جدا يزاولها المصلى من حيث لا يشعر ، فى اوقات متقاربة ، وحصة زمنية قصيرة ، فيقوم ويقعد ، ويركع ويسجد ، على اوضاع متناسقة متعادلة تكسبه خفة ونشاطا ، الى ما استفاده من تهذيب نفسه وتقويم خلقه ، ويقول العلامة الحكيم عبد اللطيف البغدادى المعروف بالموفق فى شرح الاربعين الطبية ، بعد أن ذكر ان الصلاة رياضة جسدية كما هى رياضة للنفس ما نصه : « وقد رايت جماعة من ارباب العبالة والترف محفوظى الصحة ، فبحثت عن سبب ذلك ، فالفيتهم كثيرى الصلاة والتهجد ، وذلك انها تشتمل على انتصاب القامة وركوع وسجود وتورك وغير ذلك من الاوضاع التى تتحرك معها اكثر المفاصل ، وتنتعش فيها اكثر الاعضاء ، ولا سيما المعدة والامعاء وسائر آلات التنفس والغذاء ، عند الركوع والسجود » الى آخر ما قال فى منافعها الصحية ومعالجتها لعدد من الامراض البدنية (1) ، والصلاة فوق ذلك صلة بين الخالق والمخلوق ، يناجى الانسان فيها ربه ، فيقف بين يديه تملأ نفسه معانى القرب والاختصاص ، فينقطع ما بينه وبين العالم السفلى ولو للحظات ، ويسمو الى عالم الملكوت ، حيث يدرك تفاهة المادة وما اليها من هذه الحياة الفانية ، ويتعرف الى الحياة الروحية الخالدة التى لا تنتهى بالموت ، كما يعتقد الملحدون الماديون ؟ وهذا السمو الروحى هو ما اعوز الكثير من شباب الغرب الذى نشأ فى احضان المادية الملحدة فتنكر للدين والايمان بالغيب ، واقبل على تعاطى المخدرات مثل الماريخوانا ، يلتمس فى تخييلاتها العزاء عما فقده من لحظات الاشراق الروحى التى حرم منها لما ولى دبره للحياة الدينية واهم مظاهرها وهو الصلاة .

وعلى كل فالخضوع المهين ابعد شىء عن مفهوم الصلاة وحتى لو جعلنا الصلاة خضوعا فهو خضوع للعلى الاعلى يشرف صاحبه ولا يهينه كما يهينه الخضوع للبشر على ما هو الامر فى خضوع المؤلف لرؤسائه من القادة الحزبيين والحكام حسبما اشرنا اليه آنفا ، ولنعمل مقارنة بسيطة بين الخضوعين لنرى ايهما المهين ، فلو صدر امر لهذا المتمرد على الله من مشغل او مفتش فاجر زعيم ، هل يسعه عدم تنفيذه وان جهل غايته ؟ . الجواب لا طبعا ، ونحن نجد الامر يصدر من الله الى الخلق مع بيان حكمته كالصلاة مثلا ، يقول فيه عز وجل (واقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وكالصيام يقول فيه تعالى (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) وقد بانى الامر تدريجيا على مراحل كما فى تحريم الخمر ، ومع ذلك فان الحسم فيه يكون بعبارة كلها نصح وارشاد واكاد اقول وملاطفة (يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل انتم منتهون ؟) وهذا مع ايجاد المندوحة عند العذر وعدم الاستطاعة (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) وفى الحديث « اذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم »! فاين المهانة والخضوع المشعر بها ؟ الجواب : فى الامر الاول قطعا ، فليخرس الخاضع المهين ! ..

ومن دلائل جهل الكاتب بما يتكلم فيه قوله : « ويقوم المسلمون بالصلوات كل يوم بانتظام ، واحيانا عدة ايام متوالية » فان كان يريد الصلوات الخمس المكتوبة فالجملة الاولى كافية فى الدلالة على المراد ، وان كان يريد صلوات اخرى فاننا لا نعرفها ولا نعرف ايامها مخصوصة يقوم المسلمون فيها بصلوات متوالية غير الصلوات المطلوبة منهم .

ثم يقول : « وبالاضافة الى الصلوات الخمس التى يؤدونها فى كل يوم كما فرض القرآن ، فانهم يستعينون بالله فى كل مناسبة وفى كل الظروف قبل طلوع الشمس وقبل الاكل .. الخ » وليت شعرى اذا لم يستعن المؤمنون ، مسلمين وغيرهم ، بالله فبمن يستعينون ! اما اذا كان يريد للمسلمين أن يستعينوا بالاتحاد السوفياتى ، فقد فعلوا ذلك فى وقت من اوقات غفلتهم وفتنتهم ، فخذ لهم فى اشد ما كانوا بحاجة اليه سنة 1967 ولما راجعوا ايمانهم وبصيرتهم

---

(1) انظر (شرح الاربعين الطبية) لعبد اللطيف البغدادى بتحقيقنا ، نشر معهد المخطوطات بمصر

واستعانوا بالله سنة 1973 نصرهم وهزم عدوهم ، وهكذا تأكدوا أن الله وحده هو القوى المعين

بعد هذا يذكر المؤلف صلاة الجنازة ، وصلاة السفر ، وصلاة المصيبة ، ويقال أن بعض الصلوات تدوم ساعتين أو ثلاثا وكل ذلك في سياق الانكار والاستغراب من كثرة الصلوات عند المسلمين

اما صلاة الجنازة فهي مما يوجد في جميع الاديان ، وحتى الملاحدة لم يستطيعوا أن يلغوها فابدلوها بلحظات الصمت وموسيقى الحزن ، ومع ذلك فان صلاة الجنازة في الاسلام بل الشعائر الجنائزية كلها هي من البساطة ومناسبة الحدث المؤلم الذي هو الموت ، بحيث كانت السبب في اسلام احد المسيحيين (2) واما ما سماه بصلاة السفر وصلاة المصيبة فهو من تقولاته على الدين الحنيف التي ليس لها سند من كتاب او سنة ، واذا كان بعض المتدينين يتطوع بالصلاة قبل سفره ، او يفزع الى الصلاة عندما تنزل به مصيبة ، رجاء وجود بركة الصلاة في السفر ، او تخفيف وقع المصيبة عليه بالاستغراق في حر الصلاة فان ذلك مما يدل على أنه مؤمن فاضل ولا يلومه على فعله هذا الا البطالون ؟ وزعم المؤلف ان بعض الصلوات تدوم ساعتين او ثلاثا هو من التشنيع الذي يريد ان يبث به كراهية الصلاة في نفوس غير المؤمنين ، وليس في الاسلام صلاة تدوم هذه المدة على سبيل اللزوم ، الا ان تكون صلاة الكسوف ، وهي لا تقع الا مرة في سنين عديدة ، ومع ذلك فهي غير لازمة . نعم ان المتطوع بالصلاة كالمتهجد ليلا ، اذا اراد ان يطيل صلاته فذلك على حسب نشاطه وما يجده فيها من المتعة الروحية وليس لنا ان نتحكم في ارادة الناس الا اذا كنا شيوعيين نتدخل حتى في الحريات الشخصية للاخرين ! وبالعكس مما يقول هذا الذي يهرف بما لا يعرف . فان المطلوب في الصلاة الواجبة اذا كانت في الجماعة ، هو التخفيف ما امكن للحديث الشريف الوارد في ذلك ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام : « اذا ام احدكم بالناس فليخفف فان فيهم الضعيف والمريض وذا الحاجة ، فاذا صلى لنفسه فليطول ما شاء » ولننظر الى قوله : « فليطول ما شاء » فانه تخيير له وليس الزاما والا لقال « فليطول » بدون زيادة ما شاء !

وما للمؤلف ينكر على المسلمين تطويل الصلاة في بعض الاحيان ، ويغض الطرف عن الصفوف التي تمتد على مسافات بعيدة في الكرملين لزيارة جثة لينين والتي تدوم عدة ساعات بل اليوم كله ، في خشوع مصطنع ، أليست هذه صلاة اطول من صلاة المسلمين التي يعيبها بالطول ؟

ويزيد المؤلف قائلا على سبيل الاستنكار : « وحسب شريعة القرآن يجب على المؤمن ان يتوضأ قبل كل صلاة » وهذه فضيلة حقه ان يحمدها ، لو لم يكن يتكلم بروح الكراهية والحقد . فالوضوء طهارة ونظافة ، جعلها الاسلام من قبيل العبادة ، وبذلك كان المسلمون منذ اربعة عشر قرنا اكثر الامم عناية بنظافة اجسامهم وطهارة ابدانهم ، بل وثيابهم واماكنهم لان الصلاة لا تصح الا مع ذلك ، وقد جعلهم هذا الامر ينشؤون الحمامات والمغاسل الخاصة في بيوتهم والعامة خارجها للنساء والرجال . وكانت بلاد المسلمين اكثر البلاد حمامات حتى ان من المدن ما كانت الحمامات فيها تعد بالمآت ، وبعضها كان مجانيا ، وهذا في حين كانت بلاد اوربا لا تعرف هذا النوع من المنشآت الصحية والحضارية . بل كان الاغتسال والنظافة البدنية عند سكانها بدعا من الامر ، ناهيك بأنهم في اسبانيا بعد طرد العرب ، كانوا اذا علموا ان احد الافراد يغتسل ويعتني بنظافة بدنه واطرافه يتهمونه بانه مسلم ما يزال على دين العرب الراحلين ويقدمونه للمحاكمة وربما قتل واحرق . ولهذا كان فقهاء الاندلس يمنعون دخول النصارى الى مساجد المسلمين — كما هو مذهب الامام مالك متبوعهم — فاذا كان هناك ما يحمل على دخول احد النصارى الى المسجد ، فانه يجب أن يدخل حسب فتواهم بحذائه قائلين : لان حذاءه انضف من رجله واقل وسخا ونتنا ! ولعل هذا الفقه ما يزال عاملا حتى في مساجد الشرق التي يسمح فيها للمسيحيين بدخولها لكن مع لبس الشيشب الذي يدخلون فيه احذيتهم ويعفون من نزعها كما ينزع المسلمون احذيتهم ونعالهم ! لهذا كان على المؤلف أن يخجل من الكلام على الوضوء والتزام المسلمين به عند الصلاة ، ثم انه كما في كل كلامه قد ارتكب خطأ جديدا حين قال : (ان الوضوء يجب قبل كل صلاة) فالامر ليس كذلك ؛ لانه اذا كان الوضوء لازما للصلاة فانه ليس بلازم قبل كل صلاة اذ قد يكون المسلم ما يزال على الوضوء ،

(2) انظر فصل (هؤلاء اسلموا) في كتابنا على درب الاسلام .

وحينئذ فانه يصلي بوضوئه السابق . وهكذا فان أكثر المصلين يصلون بالوضوء الواحد عدة صلوات فاذا حدث ما يبطل وضوءهم فحينئذ فقط يجب تجديد الوضوء ! .

ويتحدث المؤلف عن شعور المسلم اثناء الصلاة فيقول (انه يفقد معنى الحياة الواقعية ويتخيل انه يحيى مع الله ويكون لنفسه مشهدا فاتنا عن الجنة كما يتمثل رؤى مهولة عن يوم الحساب . وهكذا يقضي المؤمن يومه في الصلاة امتثالا للاية 56 من السورة 51 التي تقول : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وهو في هذه الجملة ينقض ما قاله في اول كلامه من ان غاية الصلاة هي الشعور بالخضوع المهين . والتناقض في كلام هذا المؤلف مما اكلنا عليه وشربنا ، ودلالته الواضحة هي انه دخيل على الكتابة والتاليف وانه يقحم نفسه فيما لا يحسنه ولا معرفة له به . ولولا اننا اردنا ان نرد عليه بكلامه لما نقلنا هذه الفقرة : اذ ليس فيها ما يستحق النظر غير التوهم والرجم بالظنون مع تكرار ما سبق له قوله من ان المسلم لا عمل له الا الصلاة ، والاستدلال بالآية الكريمة على ما لم ترد فيه وقد بينا المراد بها عند العلماء ، في فصل القرآن والعمل

ولا يخلص المؤلف الى الجواب عن السؤال الذي طرحه في عنوان هذا الفصل الا بالتكرار الممل لما قاله منذ البدء . وهذا هو جوابه : « وتنتشر الصلوات على جميع مظاهر حياة المؤمن . فيومه يبتدىء وينتهي بالصلاة ، واذا طغى الجفاف او اذا ظهر مرض او نزلت مصيبة فزع المؤمن مرة اخرى الى الله والى الصلاة وفي الواقع ان الصلاة تستخدم كمخدر وهي وسيلة للاثراء بالنسبة لرجال الدين والبكوات » .

لقد كثر ما قال واعاد ان الصلاة عند المسلمين هي عملهم اليومي . وانها تستعمل في كل المواقف الحرجة التي تواجه الفرد او الجماعة في المجتمع الاسلامي . فاذا كان قد ذكر صلاة الاستسقاء في هذه الفذلكة ، وهي ما يمكن ان يقال انه لم يصرح بها في كلامه السابق ، فانها داخلة في عمومه قطعا . ولا شك ان مدلول الصلاة عنده لا يختص بالقربة الفعلية ذات الاحرام والسجود كما يعرفها فقهاؤنا ، بل يشمل المعنى اللغوي الذي هو الدعاء ، والا لما ذكر اشياء لا تشرع فيها صلاة كالاكل على ما سبق له وكالمرض هنا ، فكيف تتصور الصلاة اثناء الاكل الا ان تكون دعاء . وذلك انما هو التسمية قبله والحمد بعده ولا زائد ، وفي المرض يخفف عن المريض حتى انه يرخص له في الصلاة من جلوس وبالايماء كما هو معلوم ، وعلى كل فمقصوده الاعظم هو ان يقول ان الصلاة مخدر وان المستفيدين منها هم رجال الدين والبكوات ! واذا اعتبر الصلاة مخدرا فلا عجب لان الشيوعيين يعتبرون الدين كله افيون الشعوب ، ولكن الشعوب قد افاقت من سباتها فرات ان اعظم مخدر هو الشيوعية التي كانت تزعم لهم انها جاءت لانقاذهم من استغلال الامبريالية والبورجوازية فاصبحت اعظم حليف لهما ، ولم تزد على ان جردت المؤمنين من ايمانهم والاغنياء من ثرواتهم والملاك من املاكهم . ونشرت الافلاس المادي والمعنوي بين جميع طبقات الشعوب واوتت العداوة والبغضاء بين الامم والدول !

والمضحك في قول حثالة الشيوعيين هو قوله : « ان المستفيدين من الصلاة هم رجال الدين والبكوات » علما بان الاسلام اولا ليس فيه رجال دين وان المسلمين كلهم رجال دين ونساء دين . فالصلاة مطلوبة من الجميع . وهي مما يتعلمه الصبيان في بيوتهم وبارشاد من اوليائهم ولا يحتاجون فيها الى معلم من خارج ، وتسعة اعشار المسلمين يؤدون صلواتهم منفردين بانفسهم في بيوتهم ومعاملهم وحقولهم ومتاجرهم من غير توقف على واسطة مما يسمى في غير الاسلام برجال الدين . والباقون الذين يؤدون الصلاة في المساجد خلف الامام ، ولعله هو الذي يعني هذا الحثالة برجال الدين ، لا ينتفع منهم امام الصلاة بشيء مطلقا لانه واحد منهم قدموه ليؤمهم ، ولو غاب لقدموا غيره ممن حضر فمادا في ذلك من الافادة له ، وخاصة الافادة المادية التي تعني الشيوعيين !

واعجب ما في هذا الكلام هو الزج بالبكوات في المستفيدين من الصلوات ، ان غباء المؤلف مما يبعث الرثاء ولكن اغبى منه الذين رشحوه للدفاع عن الشيوعية والهجوم على الاسلام ففضحوه وفضحوا انفسهم في آن واحد .

ويختم المؤلف كلامه في هذا الفصل بقوله : « ان جذور الدين قد استؤصلت منذ زمن بعيد في الاتحاد السوفياتي وان الذي ساعد على ذلك هو النجاحات المحصل عليها في ميادين العلم والتكنولوجيا وقد قل عدد الكنائس والمساجد ، وفي ايامنا هذه لا يرتاد المسجد الا الشيوخ العاجزون .. » يقول هذا فرحا مستبشرا ولكنه يعود فيقول : « ومع ذلك فكون المسلمين لا يذهبون الى المسجد لايؤخذ برهانا على

انهم قد تحرروا تماما من الاسلام والصلاة فهناك من لا يذهبون الى المسجد ولكنهم يزاولون الشعائر الدينية في بيوتهم ويرغمون اطفالهم على الصلاة وينظمون بمناسبة الاعياد الدينية الحفلات ويضحون بالحيوانات في عيد القربان كما يقومون باعذار الاطفال طبقا لتعليمات القرآن والشريعة الاسلامية » .

ونحن نشكر المؤلف على هذه المعلومات القيمة التي أفادنا بها ولا ندري كيف أفلتت منه على تعصبه وانكاره للحقائق الثابتة . ونذكر له آية قرآنية تزيده غيظا وحنقا على القرآن . لانها تؤيد هذا الواقع الذي يؤذيه وتبشر بان العاقبة ستكون للاسلام لا للشيوعية برغم ما بذلت وتبذل من جهود لصرف المسلمين عن دينهم وتحويلهم عن عقيدتهم وهي قوله تعالى : (يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) .

عبد الله كنون

نحن والمال

وحق الله فيه

للأستاذ حسن التهامي
الأمين العام السابق للمؤتمر الإسلامي

«المال والبنون زينة الحياة الدنيا» والدنيا لهو ولعب فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل ، ولكن الباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا في الدنيا والآخرة وهي وجه الله الذي يبتغيه المؤمن في كل تصرفاته الدنيوية . ونحن لنصرف نصبح متاع الدنيا مقربة الى الله وغرسا في تربة الباقيات الصالحات . واذا كان المال عليا تورث وفيه يستخلف الانسان فاين نحن معشر المسلمين من المال والدنيا ووجه الله ؟

ومصادر المال الطيب في الاسلام كثيرة ووسائل الكسب الحلال شتى والتجارة بانواعها اكثرها تنمية للمال مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم « تسعة اعشار الرزق في التجارة » .

والاسلام لا يضع حدا لوقف انماء الكسب الحلال ولا يعتدى عليه ولا يمنعه ولا يصادره الا ان يخرج صاحب المال حق الله والناس فيه واذا ما التزم صاحب المال المسلك الحلال القويم وكان التاجر الصدوق المستقيم الذي زكاه واعلى قدره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه : التاجر الصدوق الامين في الجنة مع النبيئين والصديقين والشهداء ...

ومارس صلى الله عليه وسلم التجارة بنفسه قبل البعث بمال السيدة خديجة ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها والتي كانت تدعى بالطاهرة وبسيدة قريش والتي ظل صلى الله عليه وسلم يذكرها بالخير فقال في حقها « آمنت بي حين كفر الناس وصدقتني اذ كذبني الناس وواستني بمالها اذ حرمني الناس ورزقني الله منها الولد دون غيرها من الناس » وظل يمارس التجارة الى ان غلبت حياة الجهاد في اتمام الرسالة على كل ما عداها من امور الدنيا .

على انه حين اختار صلى الله عليه وسلم الرفيق الاعلى كانت درعه مرهونة بثلاثين صاعا من شعير لقوته وقوت اهله واوصى بما كان تحت يده من اراضي واموال — كان يضع غلتها في مصالح المسلمين — ان يكون صدقة كما امر صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف « نحن الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة » الا عدة الحرب والجهاد وما بقي في بيته صلى الله عليه وسلم فقد صارت من حق آل البيت .

كما كان كبار الصحابة — وهم قدوة المؤمنين في كل العصور من خيرة التجار واغناهم واسمحهم نفسا بالانفاق في سبيل الله واتقاهم لله في معاملاتهم مع الناس .

فانفق ابو بكر — وكان من اغنى تجار قريش — ماله في اكثر من مناسبة في سبيل الله : في الهجرة وتجهيز الجيوش وعتق الرقيق ذلك المال الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما نفعني مال قط ما نفعني مال ابي بكر » فبكى ابو بكر وقال : « وهل انا ومالي الا لك يا رسول الله » . ولم يترك الصديق دينارا ولا درهما ولم يجد عنده في بيت مال الدولة حين توفي الا دينارا واحدا سقط من غرارة .

وبعد ان بويع بالخلافة شوهد الصديق يخرج الى السوق صباح يوم ليتجر في بردين من صوف على كتفه ليكسب قوت يومه فاوقفه عمر ورجاه الا يفعل بعد ان بويع بالخلافة وقال المسلمون : « افرضوا لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعنيه » قالوا : « رداءاه اذا اخلقهما وضعهما واخذ غيرهما ونفقته على اهله كما كان ينفق قبل ذلك وظهره — دابته — اذا سافر » فقال رضيت .

فلما حضرته الوفاة أوصى بان يرد ما اخذه من ذلك الى موضعه من مال المسلمين وبذلك نزل اولا على ارادة المسلمين فقبل ما عرضوه عليه تواضعا واستجابة لمشاعرهم ثم رده الى مال الله قبل ان يلقى الله تعالى فاستغنى بمال الله عن مال الخلق ؛ ولا عجب في ذلك فقد كان طوال حياته ورغم غناه يابى ان يدخل على ماله درهما من غير حله او يدخل جوفه لقمة او تمرة من حرام ، عارفا موقنا بان كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به .

الصديق .. وعمر

وكان مسلكه هذا ما اتاه الصديق في حق الله في ماله .

وكان الفاروق عمر رضي الله تعالى عنه تاجرا ثريا يعرف قدر التجارة ويحض عليها ويوصي القرشيين الا يغلبهم عليها احد لانها ـ تلك المالك ـ ولكنه كان يرى ان صلاح المال في ثلاث : ان يؤخذ من حق ويعطى في حق ويمنع من باطل . والتزم هذا النهج منذ ان اسلم فشاطر الله ماله ـ اعطى نصفه لله ـ

ولما ولي الخلافة قال : « الا واني انزلت نفسي من مال الله بمنزلة ولي اليتيم : ان استغنيت استعففت ، وان افتقرت اكلت بالمعروف .. لكم علي الا اجبني شيئا من خراجكم ولا ما افاء الله عليكم الا من وجهه ولكم علي اذا وقع في يدي الا يخرج مني الا في حقه ولكم علي ان ازيد عطاياكم وارزاقكم ان شاء الله ، واسد ثغوركم . واذا غبتم في البعوث فانا ابو العيال حتى ترجعوا اليهم » .

ولما سئل عما يحل للخليفة من مال الله قال : « انه لا يحل لعمر من مال الله الا حلتين : حلة للشتاء وحلة للصيف ، وما احج به واعتمر وقوتي وقوت اهلي كرجل من قريش ليس باغناهم ولا بافقرهم ، ثم انا بعد رجل من المسلمين » .

حين اجتاح قحط الرمادة المسلمين نهض له واستجلب القوت من كل مكان فيه مزيد منه وجعل يحمله مع الحمالين ، وشارك الفقراء طعامهم وعطت عليه فترة لا يطعم غير الخبز والزيت ـ كغيره من الناس ـ حتى اسود ما تحت عينيه وآلى على نفسه ذلك حتى يفتح الله على المسلمين جميعا بالرزق . كما انه قدر قسوة ذلك الظرف على المحتاجين فلم يقطع يد السارق .

وكانت خلافته مزدهرة بالاصلاحات الاقتصادية وتوسيع بيت مال المسلمين وتجهيز الجيوش وغزو الامصار وفتحها فكثرت الغنائم ، فاستن شرعية مسئولية الدولة عن كل ابنائها العجزة والايتام وامن المجتمع ماليا حتى اهل الذمة كما نظم العلاقة بين الفرد والمجتمع والحاكم والمحكوم ووفر اقوات المسلمين ومنع احتكارها واقام في الاسلام اول دواوين الخراج وبيت المال والمحاسبة والاحصاء .

وشرع القوانين الاقتصادية التي عرفتها المجتمعات المتحضرة بمفهوم عصرنا الحاضر كقانون « من اين لك هذا » ؟ فكان يحصي اموال الولاة على الامصار قبل ان يتولوا مناصبهم ويدخل ما زاد من اموالهم زيادة غير معقولة في بيت المال ، ويأمرهم ـ عند عودتهم الى بلادهم من ولاياتهم ـ ان يعودوا نهارا حتى يتضح لكل ذي عينين ما حملوه معهم عند عودتهم .

ومن تعلل منهم بالتجارة في ترائه رد عليه دعواه قائلا : « انما بعثناكم ولاة ولم نبعثكم تجارا » فان اشتغال الحاكم بالتجارة مشغلة له عما استرعاه الله ومظنة استغلال المنصب والجاه .

ومن هذا القبيل ما كتب به الى عمرو بن العاص يسأله عن مال ظهر عليه : « من اين لك هذا المال وعجل » .

فرد عليه عمرو بن العاص : « فاما ما ظهر لي من مال فانا قد قدمنا بلادا رخيصة الاسعار كثيرة الغزو فجعلنا ما اصبنا في الفضول التي اتصلت بامير المؤمنين . والله لو كانت جبايتك حراما ما جئتك . وقد اتهمتني فاقصر عني كتابك فان لنا احسابا اذا رجعنا اليها اغتنينا من العمل مع مثلك » . ولما كان عمرو بن العاص تاجرا يتنقل بين الامصار وكان قد حضر الى مصر قبل فتحها وتعرف على قساوسة اقباطها ورجالاتها وسبق له ان زار الاسكندرية في تلك الرحلة فقد فطن الفاروق الى ما في هذا الاتجار من شبهة استغلال النفوذ ولذلك رد على ابن العاص : « انتم معشر الامراء قعدتم على عيون الاموال ولن يعوزكم عذرا وانما تاكلون النار وتؤثرون العار وقد وجهت اليك محمد بن مسلمة فسلم اليه شطر ـ نصف ـ ما في يدك » فانصاع عمرو الى الامر بلا تردد وسلم نصف المال الى محمد بن مسلمة الذي عاد به الى بيت المال .

كما وجه الفاروق ابا عبيدة بن الجراح الى خالد ابن الوليد وقاسمه ماله حتى بقيت نعلا خالد فاعطى ابا عبيدة احداهما واخذ الاخرى على انه حين توفي ولم يخلف الا فرسه وغلامه وسلاحه لتكون في سبيل الله رثاه عمر ووفاه حقه وابرا ذمته فقال : « رحم الله ابا سليمان .. كان على غير ما ظننناه .. كان والله سدادا لثغور العدو ميمون النقيبة » .

ومن فراسة عمر ودرايته بتصرفات الخلق وتوازع النفس الجالية الى الدنيا ان ساءل ابا سفيان عقب عودته من عند ابنه معاوية والي الشام عما اهداه له .. فلما انكر ابو سفيان اهداء شيء اليه تحيل عمر على اخذ خاتمه وبعث به مع رسول الى هند زوج ابي سفيان طالبا اليها ارسال الخرجين اللذين جاء بهما زوجها من الشام . واذ عاد الرسول بالخرجين وفيهما عشرة آلاف درهم طرحهما عمر في بيت المال.

ومع اتساع مسئولية الدولة امام افرادها نظن عمر الى ان ازدهار الامة يستوجب مزيدا من التعديل والتطوير في النظام الاقتصادي بما نصفه اليوم بتقريب الفوارق بين الطبقات فقال قبيل استشهاده في المسجد النبوي الشريف : « لو استقبلت من امري ما استدبرت لاخذت فضول اموال الاغنياء فقسمتها على الفقراء » — اي ما زاد عن حاجة الاغنياء لتكاليف الحياة من مطعم ومشرب وملبس ومسكن وما يحجون ويعتمرون به طيلة عام — مما يدل على نيته النظر في علاج مشكلة الفقر والغنى .

الضرائب التصاعدية

ولعل في اسلوب الضرائب التصاعدية على الاموال والدخول ما يحقق بعض القصد الذي ذهب اليه الفاروق عمر في قولته هذه التي تحمل في طياتها الكثير من العطف والشعور بالمسئولية تجاه فئات من الامة لا تقدر على تكاليف الحياة — على ان الشطر الاخر من قولته يعني اخذ هذه الاموال لتصرف على الفقراء والمحتاجين وان يكون التخصيص في الصرف لهذا الهدف وهو مبدأ يبيح للحاكم او ولي الامر ان يتخذ مثل هذا التشريع او الاجراء وليس للصرف من هذا الدخل بالذات على من هي مقدوره العمل والانتاج ولكنه لا يعمل اذ ان هذا الفضول في المال والاخذ منه يمكن اعتباره سنة تسنن لسد حاجة ولتضامن الامة بعضها مع بعض في السراء والضراء وليس الزاما اي انه تيسير وليس فريضة .

وحين جاءته سكرة الموت لم تشغله عن وصية ولده بسداد ديونه من ماله ومال اهله اذ لم يترك عمر دينارا ولا درهما وبيعت داره بعد وفاته في قضاء دينه فسميت باسم « دار القضاء » .

وقد تصرف عمر في ماله وفق ما رآه من حق الله في هذا المال .

وخلفه ذو النورين عثمان الذي كان من اثرياء واسخياء قريش ، ولما اسلم زادت نفسه سخاء بالبذل في سبيل الله فاشترى بئر رومة لسقاية المسلمين وجهز جيش العسرة بثلاثمائة بعير بما عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما على عثمان ما عمل بعدهن » .

اي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حمد لعثمان ما ارتآه من حق الله في ماله .

وجعل سيدنا علي كرم الله وجهه تجارته كلها مع الله فلم يدخر ابدا — على شرفه ورفعة مكانته في الاسلام — اكثر من قوت يومه فكان حقا — ابا تراب — كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجرى على هذه السياسة في ادارة بيت المال فكان يبادر بتوزيع ما في بيت المال على مستحقيه حتى لا يبقى فيه شيء ثم يصلي فيه شاكرا لله انعمه وتوفيقه .

وظل على هذا الحال حتى لقي ربه شهيدا وكان كل ما تركه الامام ثلاثمائة درهم فقد كان ينفق كل ما يناله على الفقراء والضعفاء انفاق من لا يخشى الفقر ثقة بربه قائلا للدنيا « غري غيري » وكان آخر ما قاله : « لقد فزت ورب الكعبة » لقد فاز حقا في معركته للحياة مع ربه بتجرده عن المادة — تلك فطرة وفقه الله اليها واعانه عليها دون تكلف او افتعال وراى سديد عمل به في حق الله في حالة .

وسمع ووعى عبد الرحمن بن عوف احد العشرة المبشرين بالجنة — ومن اهل الشورى — احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في سماحة البيع والشراء : « رحم الله رجلا سمحا اذا باع واذا اشترى واذا اقتضى » و « ياحكيم ان هذا المال خضر حلو فمن اخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن اخذه باشراف نفس « تطلع وطمع » لم يبارك له فيه فكان كالذي ياكل ولا يشبع » ؛ وعن رحمة الله لرجل اتخذ السماحة مسلكا في تجارته فنهج عبد الرحمن على البيع بالسماحة ينظر المعسر ويتيسر على الموسر .

وساله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم عن سر غناه فقال عبد الرحمن : « ما تركت بيعة فيها دينار ربح الا اتممتها ولم ابع بأجل قط » اي لم يبع بدين مؤجل .

فشرحت سماحته في البيع وقناعته في الربح بتيسيره على المشتري وعدم حبسه المال صدور المؤمنين للاتجار معه وبارك الله له في تجارته وحقق بذلك ما نسميه في عصرنا بتكرار دورة رأس المال وتلك من اكبر دعائم الرخاء الاقتصادي الان في اي مجتمع .

وحين بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رايت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا » بادر الى التخفف من امواله حتى لا تثقله عن الركض - الجري - الى الجنة فجعل سبعمائة راحلة قدمت له من الشام بما عليها في سبيل الله كما قسم اربعين الف دينار في بني زهرة وفقراء المسلمين وامهات المؤمنين اتبعها باربعين الفا اخرى وحمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ثم اردفها بالف وخمسمائة فرس اخرى ..

ان كل صحابي من اولئك الكرام الاسخياء كان بخلقه وسماحته امة وحده فاقاموا دولة الشهامة والجود والاخلاص .

وسار على هذا الدرب الامام ابو حنيفة النعمان فكان - مع اشتغاله بالفقه - يتجر ويبعث بالبضائع الى بغداد ويشتري ما يحتاجه اخوانه وشيوخه معطيا اياه محتسبا ربحه من انمائها ويقول : « هذا رزق اجراه الله على يدي » . ولقد قصده يوما فقيه في ثوب معين فاستدعاه بعد ايام وقال له : « هذه حاجتك وثمنها درهم » فقال الفقيه له : « تهزا بي ؟ » قال : « لا والله اشتريت ثوبين بعشرين دينارا ودرهم ؛ بعت احدهما بعشرين دينارا وبقي هذا بدرهم وما كنت لاربح على صديق » .

الايمان يغلب المادة

لقد كانت هذه الروح شائعة بين المسلمين في ازمان كان الايمان فيها غالبا على المادة والمودة طاغية على الاثرة وصلة الرحم اقرب الى اولى الارحام من مشاغل الدنيا ؛ ولعلنا ما زلنا نعيش الان على بقية هذه الروح نتلمس من خلالها اسباب بعث السماحة والوفاء والاخاء وصلة الرحم واغاثة المحتاج من جديد .

وعلى الجانب الاخر يروى ان ثعلبة احد فقراء الصحابة الذين كانوا يلازمون الرسول صلى الله عليه وسلم صحبة وصلاة مالت نفسه الى الدنيا فسال الرسول صلوات الله وسلامه عليه ان يدعو له بسعة الرزق فلما آتاه الله من فضله وغدت اغنامه تغطي الارض في مسيرها تخلف عن صلاة الجماعة فالجمعة ثم تغيب كلية عن المسجد ورد جباة الزكاة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ولما اختار الرسول صلى الله عليه وسلم الرفيق الاعلى عض ثعلبة بنان الندم وعرض زكاته على الخلفاء فما قبلوها وبقي ثعلبة اسيفا كسيفا وحيدا بعيدا في مجتمع الصحابة والمؤمنين بعد ان آثر المال على الصحبة والدنيا على الآخرة ..

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال فيه : « ويح ثعلبة » .

لقد حث بل اوجب الاسلام على المؤمنين الانفاق في سبيل الله في السلم والحرب سرا وعلانية الزاما وتطوعا وحرم على الاغنياء حبس المال ليكون دولة بينهم وقرع اسماعهم بأن المال مال الله وانهم مستخلفون فيه وان الله يبسط الرزق لمن يشاء بلا حدود فلا راد لفضله ؛ وان المال في الاسلام لا يعدو ان يكون رزقا وميسرة واقامة حياة وتعاونا على البر وانفاقا في سبيل الله وامتحانا في الدنيا لحسن التصرف في النعمة ؛ وان المخزون منه ياتي يوم القيامة عبئا واذى لخازنه يعقبه عذاب . وان المال والثروة والجاه عوارض دنيوية وعوارض زائلة تزول نهائيا بالانتقال الى الرفيق الاعلى ولا يبقى منها وعليها الا الحساب : اما الثواب واما التعزير والعقاب .

وليس معنى هذا ان الاسلام يحض على الفقر او يشجعه او يرضى به بل انه يحث على بذل الجهد والاكتساب وتنظيم حياة المجتمع على اسس تسمح بالرخاء فيحض على الغنى والتجارة بلا احتكار والربح من حلال والانفاق في سبيل الله فالمال الحلال والتجارة والتملك الحلال افضل من النزوع الى الفقر وافقار الناس ؛ فالغني الشاكر الذي يحسن التصرف في ماله خير من الفقير العابد وفي كل خير والذي يجعل الدنيا بما فيها من مال ونعيم في يده خير ممن يجعلها في قلبه .

اللهم اجعلها في ايدينا لنتصرف بها وفيها بما يرضي الله تعالى ولا تجعلها في قلوبنا كما فعل ثعلبة

وعلى ذلك اصبح الغنى والانفاق سمة من سمات المجتمع الاسلامي الحر .

كان ذلك سلوك الافراد فكيف كان حال الدولة.

فاذا كان هذا هو مسلك المتطوعين فلا زالت هناك مهمة المرتبات للافراد قبل الدولة .

واذا كان هذا هو وعي الرجال الذين قامت على اكتافهم دعامات اقتصاد الدولة عن ادراك وايمان واخلاص وتطوع فان الدولة كان لها بجانب ذلك حقوق لسد حاجة الفقير والمحتاج ولتجهيز الجيوش فكانت الزكاة وبيت المال ثم اخذ عمر العشور وحدد الحكم الاسلامي منذ 1300 عام ونيف الفرق بين المال الخاص والمال العام فكانت الارض لمن يقدر على زراعتها وكان الملح اي المعادن ما ظهر منها فوق الارض وما في باطنها مالا عاما .

وبدءا بعهد عمر ضمنت الدولة حق الفقير والمريض والعجز وفرضت الدولة توفير القوت لعامة الناس واستثنت لذلك اول تشريع يحرم الاحتكار خاصة في الارزاق واذا كان ذلك قد تم في عهد اليسر والرخاء في الامة الاسلامية فانه يصبح ضرورة واجبة الاداء عندما تجتاح الامة الاسلامية الشدة والقحط ولنا فيما اتخذ سيدنا عمر عام الرمادة اسوة حسنة .

واذا ما نظرنا الى ما انتهى اليه سيدنا عمر من اخذ فضول اموال الاغنياء لترد على الفقراء فان لسان حال عمر في ذلك المقام يشير اشارة واضحة الى ان امة المؤمنين يجب ان تعرف ان حاجة الفقراء من الامة قد يأتي فيما بعد عهد عمر من طريق العطاء من فائض اموال اغنيائها الى ذوي الحاجات اما تطوعا بروح الصحابة واهل الايمان وذلك من سمات الاخوة في الاسلام واما بنظام مفروض ومنظم من الدولة وذلك هو النظام العمري : تكافل اجتماعي بعدل وبلا اجحاف او ظلم فان الله لا يحب الظالمين .

ولنذكر حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يرجاه لنا رسول الله عندما نلتقي يوم الحساب اذ يقول : « اذا جاع احد من المسلمين فلا مال لاحد » اي ان يصبح اطعام فقراء المسلمين الزاما على اصحاب المال وليس منة .

ان فكر كل مفكر يتدبر امر هذه الامة وينشد لها المخرج من ازمتها المركبة العناصر الى منطلق يبعثها بعثا جديدا يتوقف عند حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجد هذا المخرج في قوله صلى الله عليه وسلم : « لو كان نبي من بعدي لكان عمر » فالامة محتاجة الى عدل عمر وقلب عمر وابوة عمر وسيف عمر وخوف عمر من لقاء ربه عز وجل — عمر الذي كان اذا سلك فجا سلك الشيطان فجا غيره.

واذا كان غنى الافراد غنى للدولة واثراء لها فان الفاق الاغنياء تطوع امر لا مندوحة عنه اذ ان الالزام واضح ومقرر في شريعة مجتمعنا ، فالزكاة باموالها كلها فريضة واجبة الاداء وان اخذ العشور منذ الاقتضاء سنة سابقة والخمس في الركاز واجب — الركاز كل مال وجد مدفونا في ارض موات او طريق سابل — وان في اداء اصحاب الاموال حق الله وحق المحتاجين فيها تطهير المنويهم وتزكية لاعمالهم وعلى من يؤدي اليه ان يدعو لهم امتثالا لقوله تعالى : « خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم » .

واذا حملت الدولة من غنائم والفادين الحقوق الشرعية لاقامة المجتمع ، واذا علت همة المؤمنين وسرت نفحات الايمان بين اغنيائهم والقادرين منهم للانفاق في سبيل الله تطوعا متسابقين على الله غير مدبرين ، واذا تكفل بيت المال بالمحتاجين والضعفاء والعجزة فان ذلك حري بامة المسلمين ان تحل بهذا النظام كل مشاكلها الاجتماعية الاقتصادية دون الحاجة الى نظام يغير النفوس او يقتل الهمم او يضعف الايمان او يحول البشر الى جزء من المادة .

على ان مفهوم الاقتصاد لا يقف عند هذا الحد فالمجتمع يتطلع الى آفاق اخرى خارج حدوده الاقليمية يزيد — عبرها — من قدراته على مواجهة تطلبات كل عصر وان يسترد حقوقه التي بددها في ساعة العسر ومن هنا تنشأ تخطيط التعاون الاقتصادي المتكامل بين الامة الاسلامية كلها الذي كان وما زال موضع الاهتمام الكبير ويحتاج الى مزيد من النور والوضوح نضيف به مداخل جديدة واجبة على ذلك التضامن الاقتصادي العربي والاسلامي فان ذلك هو موطن القوة الحقيقية للدولة الاسلامية الشاملة لكل اقطارها.

تلك معان نحلق في افق افكارنا عندما تتوخى الصلاح لهذه الامة والتي تظهر في اعمارها معاني الايمان والاخلاص والحرص على مصالحها والتطوع لعمل الخير والاستمرار فيه والتزام المجتمع بهذه المثل لترشيد السولة لسلوك الناس واقدام الدولة على ذلك الترشيد بالاسلوب العصري واجب ملح علينا .

الايديولوجية السلفية

- 2 -

للأستاذ حسن السائح

الايديولوجية السلفية :

الايديولوجية مجموعة افكار يطمح الى تحقيقها بالضرورة وقد تكون مجموعة أفكار غير مطابقة للواقع تهدف الى تحقيق هدف غير مرتبط بالحالة الموجودة . فالايديولوجية هي علم الافكار او تنسيق الافكار ممثلا الايديولوجيه تسير للقانون المنطقي . ويبقى القانون نتيجة لها ويصبح علما لها هي فتتابع نشاطها الدائم لغاية اخرى تعتبر القانون تبعا لها . وتظهر الايديولوجية (بالوعي) ، فالامة تعمل دائما وتسير ولابد لها من ايديولوجية لمسيرتها ومن ضرورة استعمالها لمواجهة (عدم التطابق) وذلك ليتم التطابق بين الواقع والقانون .

ان الايديولوجيه السلفيه تعني بأمر الافكار العامه وتشعبها وصياغتها بطريقة علمية محددة وهي ايديولوجية مستمدة من القيم الدينية الاسلامية وواقع المجتمع الذي ، فالدين بصفته ينظم العلاقات بين الانسان وذاته الداخلية وبيئته ومحيطه الاجتماعي وكذلك بينه وبين الكون بأسره لان الفلسفه ليست قادره الا على تنظيم الجماعة بين بعضها ، وليست المذاهب كذلك بقادرة على تجاوز التنظيم الاجتماعي بخلاف الدين الذي يتسع لاعظم من ذلك كله ، للانسان وموقعه من المحيط الاسري الصغير ، والاسري والوطن الكبير والجار والرفيق ، والانسان في كل مكان دون اعتبار اللون او اللغة والتعطف مع الكون كله لانه جزء منه كالنجم الذي لا ينفصل عن المجموعه

ولهذا فميدان الدين واسع جدا يتسع لكل ما في الوجود من ظاهر وباطن ، من طبيعي وما وراءي في البعد الزماني الحاضر والغابر والمقبل .. والاسلام بالضبط فانه آخر الاديان ، واقدرها على الشمولية والاستيعاب سواء على الصعيد العقائدي او الاجتماعي او الانساني .

والاسلام ضرورة للمجتمع الانساني كله فهو (عبادة) اي التزام داخلي ووعي ذاتي ، ولهذا فالفلسفة غير قادرة على امتصاص تهديدات الثقافه فالثقافة الغربية بطبيعتها بمعطياتها بسلطة غير الغربية المتحدة للافريقي والشرقي على السواء متواضعة ، وهي تشكل الشاب امام العمل ولم يستطع الافريقي ان يواجه الحضارة الغربية منذ عصر الرومان الى عصر الاستعمار الحديث الا حين انظم بثقافته ووجداته ملاحما ليواجه التحدي الاوربي فالسلفيه هي هذا الجانب من اسلامي وجداني وملاحم العصر لمقاربة الاعتداء الاوربي . وهذا التحدي ضرورة للحياة الكريمة وقد وجد الافريقي (بمثله) الثقافي في الاسلام ، ولحسن الحظ ، الاسلام ليس دينا جامدا بل هو هي ، شعبي ، وهو صورت هاجس في ضمير كل انسان يسهم في بناء الحضارة الانسانية ، ولقد اصبح الانسان المعاصر يعيش قضايا عصره بكل معطياتها وابعادها وغير معنى ساذا من المسائل المحتمله به والى اذا ما تعقد ويدي رأيه بما كان متدرلا عن حقه بل فضل بحق غيره سبب

هذا التنازل فاذا كان ينال من اتساع مواطنيه فمن الخيانة ان يخذل مواطنيه بسكوته وكبته

واذا كان المسلم فقد سوى بعض قوة الشخصية والمقدرة على ممارسة حريته وحقه في الحياة سياسيا واقتصاديا دون ان يترك لغيره فرصة استغلاله . ولذا فالاسلام بعقيدته كعقود للاصول الرئيسية لمبدأ الاسلامي يقتضي ويفرض كرامة الانسان باعتباره انسانا خليفة للخالق في الارض له من الكرامة والمكانة ما لا يحق لغيره ان لا يحترمها . فالاسلام بتعاليمه يحافظ على مزايا الانسان وشخصيته ولاجل ذلك ينطلق من الايمان بالله ايمانا مطلقا لا شبهة فيه ، ومستوعب العقيدة الصافية بملاءمتها الفلسفية مع الواقع الاسلامي ، والايمان بالله الخالق الكامل الكمال المطلق دون حاجة الى الاغراق في الاستدلالات الفلسفية على الوجود لانه موجود بالضرورة ... وكمال تعاليمه ومعتقداته . الروحي . والعالم الله . من طريق الوعي والاقناع بسمو بشخصيته لان الوعي ضرورة للتكامل الاجتماعي وكما يقول (هيراكلت)
ان للواعين لهم ليم الا عالم واحد ، اما غير الواعين فلكل عالمه . والاسلام لا يمكن ان يعاديها لانه يقر تعاليم الاديان التي سبقته الا ما نسخ ، ويؤكد انها تجاوزت مرحلتها التاريخ

فالمسيحية تجاوزها التاريخ ، وهي كاليهودية تجاوزته الى حالات مرحلتها لما الاسلام فهو دين الفطرة والبساطة طير في مرحلته الاولى في الملة الابراهيمية ، الى تولدت عن اميثاق الازلي ثم الموسوية ثم المسيحية ، واخيرا استكمل الذاتية على يد المحمدية ، وهو من ذلك الوقت قابل للتجديد على يد المجتهدين من مفكري الامة الاسلامية . والاسلام دين الشعب فهو اول من وضع الكتاب بيد الامة كما بطل الاستعلاء العلمي والفكري والكهانة والرهبانية وكل ما يمكن ان يكون اداة للاستغلال ولقد كتب على اكاديمية (افلاطون) ان لا يدخلها الا المهندسون اما الرسول الاعظم فقد قال انا مدينة العلم وعلي بابها .. وقال ايضا نحن امة امية لا نكتب ولا نحسب . فالعلم من خصائص الاسلام والامية اي البساطة والشعبية من خصائصه ايضا ، فهو قادر على تكوين النخبة الفكرية ، وصهرها في الامة كلها دون استعلاء فكري .

ماذا تعني السلفية ؟

قد يكون تعريف السلفية من النظريات الصعبة ذاتها . ذلك لان السلفية ظلت تعني في التاريخ كل حركة تجديدية اسلامية تعتمد على ارضية صلبة وقدرة على المعاصرة دون التخلي عن الاصول الاولى او عن الوعي الذاتي للاصالة مع التطور والمحيط والتطور الواقعي للمجتمع البشري فهي دعوة الى العودة الى الاسلام الاول الذي كان صافيا ، لم يعكر بالتأثرات والشروح والتفسيرات التي املتها المذاهب الفلسفية والكلامية والعلمية . ومن خصائص هذا النقاء ان يكون صادرا عن وعي ذاتي ، وهي في نفس الوقت مسايرة للواقع والمعاصرة

السلفية اليوم :

يجب ان ننطلق من تحديدات معاصرة لعرض اسلامية كعقيدة دينية وذلك بتحليل مفهومها المعاصر وقدرتها على التحديات والمواجهة للمشاكل الحقيقية والوجدانية التي تثيرها لمزامنة للتطورات المعاصرة في ميدان التقنية والعلم والسياسة والاجتماع والاقتصاد والاخلاق والاداب .. ولا شك ان موضوع السلفية كخصص يعتصم به نحو تسعمائة الف مسلم يرجعه تعاليم بالاحاح لابد له ، فاق الشباب وحيرة الكتاب

ان موضوع السلفية بمفهومها الجديد في مواجهة قضايا السبعينات بغير عشرات الاسئلة التي سنجد صعوبة اعترف مسبقا . انها في حاجة الى اكثر من قلم لشرحها وتفسيرها والتعبير عنها ولا يمكن ان نكون واقعيين الا بتحليل الماضي لاكتشاف التجربة وصداها فلم يكن اجدادنا جامدين بل كانوا حركة دائبة للاصلاح ، ولم يكن مجتمعنا (مجتمعا واقفا) (جامدا) بل كان مجتمعا سائرا . متحركا فليس في البحث التاريخي ما يقيد الحاضر ولا ما يكرسه وانما هو لعرض النماذج وبلورتها وتطور ما يمكن ان يطور واجتناب الاصول النخرة ، فالمؤثرات التاريخية والتراث الموروث سواء التراث الثقافي المتمثل في الايديولوجيا او التراث الاجتماعي والاخلاقي المتمثل في السلوك قادران معا على تزويد الحاضر بطاقة قوية وديمومة .. ولن نجد ذلك متمثلا في شيء قدر ما نجده متمثلا في السلفية التي كانت حركة اقتصادية وفلسفية واجتماعية واخلاقية .

ان السلفية اليوم تعنى أن نعيد النظر فى المشاكل والقضايا الاسلامية على ضوء التطورات الحديثة فى ميدان علم النفس والاجتماع والتاريخ والاقتصاد . كما نعيد النظر فى الاراء والنظريات الحديثة من الوجهة الاسلامية لنعيد صياغتها فى اطارها الاسلامى دون السير وراءها دون ترو . ومن الغلط ان نعيد الصياغة الجديدة للفكر الاسلامى مع تجاهل الابعاد التاريخية والجرى وراء المعاصرة .. والاستشهاد بآراء المفكرين المسلمين او المفكرين الغربيين فى قضايا لم تكن مثارة فى عصرهم حيث لم تكن الملابسات كلها متوفرة لنفس القضية فى عصرهم وعمل من هذا النوع لا يفيد المسلمين ولا يخدم الاسلام ، ولكم جر ذلك الى اغلاط كثيرة ، حيث اغرق بعضهم فى العلوم الباطنية عندما عسر عليه أن يجد معنى ظاهرا ، واغرق آخرون فى المقارنات العلمية والفيزية ليثبتوا المعجزة العلمية للاسلام .

ومن التعسف ان تجد فى الاسلام السلفى كل الاجوبة ، بل سيعطل الفكر ويسود الجمود فالاجوبة نجدها بالاجتهاد والتطلع الى اكتشاف المجهول .. لا فى البحث فى التحصيلات والاستنتاجات فى الماضى .

واذا فالسلفية اتجاه واقعى ، وليست باتجاه مثالى ، وهى فى نفس الوقت اجتماعية وليست انعزالية فارة .. ولذا فقد كان السلفيون دوما واقعيين يرفضون الاستعمار والتبعية ويواجهون معركة الفكر التقليدى الثابت الذى لا يتحرك ، والفكر الاستسلامى والمراوغ ، والداعى الى التقية ، والمعرفة المستترة .. والسلفية ليست شرحا للدين فقط ، وانما شرح وتحليل للمجتمع والمعاصرة والاخذ بالبعد الوطنى والاقتصادى وتحدى كل سيطرة اجنبية استلابية فكرية او ثقافية أو اقتصادية .

ان السلفية تعتمد على الارضية الاسلامية والاطار الدينى وتركز على الاسس الدينية وتسرى فى الهيكل الاسلامى روحا جديدة .. فهى حركية دائبة ذات بعد تاريخى ، وبعد معاصر مع وعى تام لقضايا العصر ، ومشاكله الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ومواجهتها باصرار وليس معنى هذا أن السلفية واحدة المفهوم والدلالة فى العالم الاسلامى كله ، بل انها نظرا لوعيها تتأقلم أكثر من غيرها . فالسلفية التى نادى بها الافغانى تختلف عن سلفية محمد عبده فالاولى سياسية ثورية والثانية تربوية مرحلية فقد استساغ محمد عبده الاقتصاد التربوى متحالفا مع طلعت حرب لبناء وطنية مصرية .

ولقد عرف المغرب ثورة الحركة السلفية التى استبطت كل حركة تغييرية ، تطورية سواء كانت فردية او وطنية جماعية . وكل الحركات تولدت عن الاصلاح السلفى سواء بطريق الانضواء او المعاكسة ، والحركة السلفية جررت الانسان المغربى من رواسب انحرافات الماضى القريب بالعودة الى الماضى البعيد ليكون انطلاقا للتغير والتطور والملاءمة مع العصر .

ان الفكر السلفى ينطلق من الواقع ليعالج القضايا فى التجديد والمثالية لا العكس ، اى لم ينطلق من المثالية الى الواقع .. وفرق عظيم بينهما .

وهذا هو الواقع السلفى ، فالافكار التى من الخارج وتستقر فى الذهن لتخرج الى الخارج معبرة فى قالب لغوى عن مضمونها ، فالمعرفة تعنى الواقع ، وهى التى تفهمه وتشرحه وتغيره والثقافة السلفية تواجه الثقافة الاجنبية المستلبة التى هى ثقافة سطحية ان السلفية تعنى العصر والمعاصرة معا ، وتتعامل مع الثقافات على اساس التفاعل الناتج عن الاختيار والوعى لا عن العواطف المرتبطة .

لقد قويت الفكر الثقافى فى بلادنا بعمدة الفكر الثقافى الغربى ، واصبح المثقفون عندنا ممن يمجدون سارتر او فولتير ويتجاهلون رجال الفكر المغربى ويحكمون عليهم قبل معرفتهم ولا شك ان هؤلاء المثقفين مستلبون لغويا واجتماعيا .

ولهذا فالسلفية اليوم تبنى ثقافتها بناء يعبر عن مضامين مجتمعية ، واعية هادفة الى تطوير المجتمع الاسلامى وتغذية تفكيره بكل عناصر القوة والمتانة والثقافة باعتبارها تشخيص للتصورات المعبرة عن الوعى الذاتى والاجتماعى ، سواء كانت تصورات متصلة بموضوعات اجتماعية أو فهم الطبيعة أو العلاقات الاجتماعية ، هى تشخيص لكل الممارسات والطرق والاشكالات والتعبير عن الواقع والعمل على التغيير الممكن والصالح معا .

ولسنا فى حاجة أن نفهم مجتمعنا التفسير التاريخى « أو التاريخاتى » ، وانما يجب ان ننقد ايديولوجيته للكشف عن الحقيقة .. وعن الوعى

الحقيقي لان الوعي الخاطيء ليس بامكانه انتشالنا من الهوة ، ولهذا فالوعي ليس مجرد الشعور باللحظة وانما هو العودة الى التاريخ . فالتاريخ ضروري لكل مجتمع والتركيز عليه وحده تضليل للواقع ، فلا بد من الملاءمة بين الواقع والفابر . وعن خلال المقارنات مع المجتمعات الاخرى سنعرف الثابت والمتحرك في ثقافتنا ونمضتنا ومن المفروض ان نعبر عن سيجب التجربة . فمالة مجتمعنا قلة عنصر الكتابة ، حتى تكاد ان تكون ثقافة غير معبر عنها . وكل مجتمع غير معبر عن واقعه يظل بعضنا غير مفهوم . ان المعرفة تعني سابجاب وحضورها معا . ومع الاسف فقد عمل كثير من المفكرين المسلمين في العصور على احتجاب الاسلام وثقافته بدلا من خروجه كما فعل طه حسين وزكي عبد الرازق جاهلين او متجاهلين ان كل الاراء الغريبة التي يحاولون اخضاع الفكر الاسلامي لها تعتمد على مفاهيم غربية مسيحية لا صلة لها بتاتا باسس الفكر الاسلامي . وتقف مذهب الشك والاقتراض ، التي ثقافة لهما اساسيا ، فاسلامنا في الحقيقة وتقييس الرواية لايناسب ثقافتنا ولا يستفيد بقدر ما نتوفر به وجودنا وحاضرنا لتكون طعمة سائغة للمترجمين .

وتصرف السلفية المعاصرة اهتماماتها بالشباب الذي يعاني من تاثير عالم التقنية ما يعانيه في الشرق والغرب على السواء .. وعندما تحلل السلفية اسباب الانحراف ترى انه يتولد من اسباب اجتماعية متعددة وتخص بالذكر الانحرافات العقيدية المتولدة عن الفراغ الروحي والفقر الديني وترى السلفية ان سبب هذه الانحرافات العقيدية ترجع لزواج الدعايات المادية الالحادية التي تلاقي في روع الشباب انها مذاهب جديدة تقدمية تناسب عصر العصر .

السلفيـــة والثقـــافـــة :

ان المثقف الاصيل هو الذي يستوعب ويعي ثقافة مواطنيه ، فالثقافة تعني وعي الاخلاق والمعاملة والتآزر .. وليست الثقافة حفظ معلومات او فهم النظريات او تعاليا عن الشعب . وكل ثقافة ليست شعبية فهي ثقافة اناية تضر حركة الامة ، اذ ان كل انسان لا يشارك الجماعة في بناء حضارتها فهو عضو مستنزف لطاقتها دون مقابل .

والعجب ان مئات الفرنسيين والانجليز وغيرهم يقيمون ببلادنا سياحا وتجارا وموظفين ولم نجد منهم من يتخلى عن عادته أو لغته او يحيينا بالسلام عليكم .. بينما نرى المغربي المثقف في بلاد اجنبية يبدأ بالتخلي عن قوميته بالتزوج بالاجنبيات والتخلي عن العادات المغربية حتى في اشارات اليد والوجه ثم يعيش في بلاده كمواطن دون عقدة الغربة .

الاقتصـــاد والسلفيـــة :

ان السلفية لا ترى في الاقتصاد اساس العلاقات بين البشر ولا انه سبب التآزر الاجتماعي لهذا راى مادي محض وانما ترى السلفية ان الدين والعقيدة اساس لتقارب الانساني ، وباني الاقتصاد كناحية من نواحي التنظيم الاجتماعي فالاقتصاد هو علاقة بين الناس يوجد بين مصالحهم المادية فلا تتجاهل الاقتصاد بل تراه كاحدى العلاقات ، لهذا فهي تنظمه على اساس ابراز قيمة العمل واعتبار المال ضرورة لرصد العمل وتثبيته .. على ان العلاقة بين الناس هي التآزر والتعاون العملي وامثل يتبع الجهد الانساني ، بهذا فلا تجيز الاستغلال ، ولا الارتشاء ، ولا تعزف الطبقة الشعبية ، وانما تعتبر حرية العمل ، وتقنين المال حتى ينال كل حسب جهده فاذا استطاع احد باذكائه ان يعبر انفر من الاخرين فان حفظ التوازن يصبح اساسا متجاوز للعمل الى تحقيق الوحدة والتضامن

المغـــرب والسلفيـــة :

لقد ظل المغرب وفيا للاسلام الحق الذي لم تكدر صفاءه التيارات الاجنبية عنه .. ، ولذلك كان العلماء المغاربة من دعائم السلفية .. وعندما اشتهر الغزالي في المشرق كان ابو بكر ابن العربي (وهو امام عظيم) اول من حمل (الاحياء) الى المغرب رغم عدم رضاه على بعض آراء الامام الغزالي .. وقد وقف القاضي عياض وقاضي قرطبة ابن حمدين معارضين المفاهيم الغزالية الصوفية ، واحرق كتاب الاحياء في المغرب والاندلس سنة 503 هـ بل احرقت نسخة الاحياء التي كان يملكها ابن العربي رغم مكانته العلمية ويعسر ان نتقصى اسماء العلماء الذين ظلوا مخلصين للسلفية مجددين للدين ، الى ان جاء العلامة السوسي الذي دعا للسلفية الوهابية ، وكان المرلي سليمان وهو عالم كبير وحجة من دعاة السلفية (انظر العلامة ابن زيدان في اتحافه) واخيرا كان الشيخ ابو شعيب الدكالي من اكبر المحدثين الذين مكنوا للسلفية التي وجدت في الحركة الوطنية ميدانا خصبا للدعوة اليها ..

مهام جسام

للدكتور عبد السلام الترابي

ان التفاؤل بانتعاش العالم الاسلامي واسترداد الدعوة الاسلامية لفاعليتها واستعادة مواقع الصدام جراحها لا ينبغي ان يكون حائلا دون ادراك الدعوة المباركة من التداول المستمر فرصة غنية جديرة بأن تستثمر الى اقصى حدود الاستثمار حتى لا تتلاشى - في جو من الحماس والانسياق للصدف وانترقب الغامض !! ان على قادة الراي والعمل في العالم الاسلامي ان يضطلعوا بجسامة المسؤولية التي القاها الله على كواهلهم . ومن المهام الجسام التي تنتظر الشعوب الاسلامية انجازها على ايديهم :

1 — القيام بدراسة خصوم الاسلام واعدائه الكامن له والعاملين على تخريبه من الداخل والخارج حتى تكون المعاملة معهم وفق الخطوات العلمية المحسوبة وليس من خلال العواطف والانفعالات والاندفاعات . وقد علمنا القرآن ان العدو ينبغي ان تعرى حقائقه واعماله ؛ فقد كشف القرآن المشركين وعاداتهم ، وفضح اليهود ومكرهم واحقادهم بتفصيل واستقصاء ودقة . كما وصف ملامح المنافقين ونفسياتهم ومواقفهم وتصرفاتهم ؛ ولم يدع القرآن عدوا او خصما الا قدم للمسلمين عنه وصفا كاشفا شافيا ، مع حثهم على متابعة هؤلاء الاعداء والحذر منهم والاعداد لهم حسب الزمان والمكان .

2 — دراسة تجارب الدعوات الاسلامية وبخاصة الحديثة والمعاصرة منها لاستخلاص عناصر الفشل والنجاح حتى يستعين الداعي بذلك على دعوته ويسير على منهاج لاحب فيقع على بصيرة وتتجنب الاساليب العقيمة ذات المنهج المزيف او المضادة . .

3 — العمل على تقويم الحركات الاسلامية القائمة وتعيير اعمالها بمقاييس موضوعية صارمة لم تكتمل جهود العالج منها وتشيق جيودها ونشاطها واحداث شبه حسبة للدعوة يمسكها التوجيه والاشراف والمراقبة حتى لا تبقى الامور فوضى فيدس في الدعوة الاسلامية الجاهل والمغرور والمتآمر والمورط الذي يحاول تسفيها والدفع بها الى مآزق ومخاطر كما يقع — مع الاسف — في حين كثيرة .

تلك اهم ما يجب على القائمين على الدعوة الاسلامية في العالم الاسلامي ان يعملوا على انجازه قبل ان تفلت الدورة المباركة لتحل مكانها الدورات المشؤومة وما اكثرها !!! نقول هذا ؛ لان هذا التفاؤل العارم الذي يملأ العالم الاسلامي بسبب فشل اعداء الاسلام في القضاء عليه في تركيا وفي غيرها من البلاد التي اعلنوا فيها نهاية هذا الدين او انه في طريق نهايته ، يقابله في جهة اخرى تشاؤم اسود ولكنه عنيد وشرس لا يعرف الاستسلام ويسخر كل امكاناته لتحويل الهزائم الى نصر وانتصار ... وان اصعب من النصر المحافظة عليه ، فكم هم اولئك الذين انتصروا فاغتروا بهذا النصر واستسلموا

لنشوته فذاقوا وبال ذلك من المرارة والويل اضعاف ما ذاقه المهزوم ، ولهذا نرى القرآن الكريم يأمر نبيه ان يكون بعد الانتقال من حالة العسر الى حالة اليسر اشد نصبا ويقظة وتعبا للمحافظة على هذا اليسر حتى لا ينقلب الى عسر فيقول تعالى : « فان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب » . فالفراغ يجب ان يكون من العسر الى النصب حرصا على اليسر وحفاظا على ثمرة النصر لان المهم ليس النصر ولكن ما بعد النصر من التثبت والتمكين ، ولذلك وعد الله المؤمنين به الناصرين لدعوته بتثبيت الاقدام بعد النصر « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » .

فاذا كان المتفائلون قد فوجئوا بالفرج ، بعد شدائد مدلهمة ، يعتمدون على الصدف ويستسلمون للرياح المواتية تدفع بهم السفينة عبر الامواج المتلاطمة في اتجاه مرغوب تحدوهم الامل العميق المشبوب ويهزهم الحنين الى تلك الحياة الشريفة المشرقة الرائعة كما وعدهم القرآن ، فان الجهة الاخرى ، اي اعداء هذه الامة ، لا ينال منهم ما حاق ويحيق بهم من فشل ولا يعتمدون في خططهم وحساباتهم على الصدف الطائشة وانما هم يواجهون كل حالة جديدة بما تستحق من الدراسة العميقة . مستعينين في ذلك بادمغة جبارة وخبراء عمالقة ووسائل علمية كثيرة ومتنوعة وفعالة ومستخدمين عناصر هامة من « المستغربين » و « المضبوعين » من ابناء المسلمين الذين ربوهم تربية خاصة فغسلوا « امخاخهم » وزيفوا مشاعرهم و « ضبعوهم » « ضبعة » متقنة . فاصبحوا يزودون مخابر التحليل وحلقات البحث والدرس بمواد هامة ودراسات مفيدة وبذلك كانوا اكثر نجاعة للقيام بادوار خاصة لا يستطيع القيام بها على نحو منتج الا هذا النموذج المشوه من ابناء هذا العالم الاسلامي . فالمسلمون دائما محل دراسة وتمحيص وابحاث واحصاء وتجارب ، وهناك جامعات ومعاهد وجهات مختصة في دراسة هذا العالم من جميع نواحيه التاريخية والجغرافية والبشرية والادبية والفنية والفلكلورية والاجتماعية ، مما يجعل ادق تفاصيل حياة هذا العالم وتطوراته تنعكس بدقة وتتابع وسرعة على الشاشات المنصوبة هناك ، وهنالك !! لذلك كان تعاملهم مع هذا العالم ليس محكوما بالآراء والاهواء الشخصية للرؤساء والقادة وانما هو خاضع لحسابات دقيقة وقواعد صارمة وتصديرات موزونة ودراسات موضوعية موجهة ومرشدة بل وآمرة مستحكمة . وان اي تغيير في المعاملة او اللهجة او الموقف لا يعني تغييرا في العواطف والاحساسات وانما هو تغيير ضروري في الاساليب والوسائل التي لا تتحقق الاهداف بغيرها . ان الاستراتيجية ثابتة لا يصيبها تبديل او تغيير ، اما الوسيلة واسلوب المعاملة فيتغيران حسب ارتباطاتها مع مقتضيات تلك الاستراتيجية . وقد عبر القرآن الكريم عن استراتيجية الاعداء واهدافهم بكل حزم ووضوح وصرامة فيقول تعالى :

« ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » .

« ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا » .

« ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون » .

« ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء » .

« ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم واسعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » .

« ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون » .

« ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق » .

« وان كان مكرهم لتزول منه الجبال » .

« يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم ... » .

« فلا تطع الكافرين ودوا لو تدهن فيدهنون » .

فالصراع دائم ومستمر ومن توهم انه انتهى او كاد فانما هو ساذج غير اهل لقيادة المسلمين لانه يستهين بحقيقة الحرب المستمرة والمعارك القائمة الشرسة . وقديما استهان الفاتحون للاندلس بالقائد « بلايو PELAYO » الذي لاذ هو وثلة من اصحابه بصخرة عنيدة في شاهق من الجبال الشمالية للاندلس . فقال المسلمون بعد ما اعياهم حصاره ومطاردته : « ثلاثون علجا ما عسى أن يجيء منهم » . قال ابن سعيد المغربي :

« فآل احتقار تلك الصخرة ومن احتوت عليه الى ان ملك عقب من كان فيها المدن العظيمة حتى ان حضرة قرطبة في يدهم الآن جبرها الله تعالى !! » . وهكذا نرى المسلمين الفاتحين استعجلوا الراحة واطمأنوا للكرة . وتساهلوا بنفسهم من الاخطار المحيطة بهم فأضاعوا كثيرا مما فتحوا بسبب تلك الاستمالة البرحاء .

ان ما عاناه المسلمون من اهوال عاتية يجب ان يدفع قاداتهم الى مواجهة الحقائق بالعلم والدراسة والنظر حتى لا تستفحل المصائب وتتكرر الكوارث !

وبجانب دراستنا لعدونا يجدر بنا ان ندرس انفسنا نحن ، فالدعوة أساسا موجهة الى هذا العالم الذي لم يأن له ان يستيقظ اليقظة المفعمة بالوعي والتبصر لتنطلق الانطلاقة التي لا توقف لها ولا اعوجاج ، فعلى قادة الدعوة الاسلامية مدارسة تجاربنا الماضية واستيعابها حتى يضعوا ايديهم على عناصر الضعف فيها وعلى مكامن الثغرات منها حيث يتسرب الفشل والوهن الى داخلها .

فمراجعة الحساب ضرورة من ضرورات العمل الاسلامي ولتكن هذه المراجعة على أسس علمية موضوعية متأنية بعيدة عن الاستعجال والانفعال وذلك بمجابهة الحقائق كما هي ، ويجب تجاوز مرحلة المبادرات الفردية التي تتسم كثيرا بالخطأ والنقص والاضطراب رغم ما يبذل فيها من مجهود كبير ، وهناك محاولات لا بأس بها في هذا المجال وفي المجال الاول ، لكن عيبها انها ناقصة وكثيرة الفجوات لان مثل هذه الدراسات لا تؤتي اكلها الا اذا عالجت في جو علمي متكامل العناصر مهيأ الوسائل متعدد الافراد فتضبط التسيير والادارة !!

ان عودة العمل الاسلامي والدعوات الاسلامية الى مسرح الحياة في البلاد الاسلامية شيء مرغوب فيه ويبعث على السرور ويعشق الآمال ، لكن ، ان تكون هذه العودة دون زاد من التجارب ودون وضوح الرؤية على ضوء معطيات الاعصار والامصار والظروف والملابسات والتطورات ، فأمر يدعو للأسى والأسف!! وبكل صراحة ان بعض الامراض التي كان بعض الدعاة المسلمين يشتكون منها ويجعلونها مسؤولة عن التعثرات والانتكاسات لا تزال تظهر على السطح خلال ما يقال ويعمل ويكتب . وهذا يفضي بنا الى القول ان من اوجب واجبات الدعوات الاسلامية التنسيق فيما بينها والتعاون على الخير والتواصي بالحق والتواصي بالصبر والكف عن كل ما يبعث الشقاق والخلاف بين الاخوة ، وان امكانات ذلك اليوم لكثيرة ، فعلى ذوي النيات الطيبة والارادات الحسنة والرأي السديد أن يسارعوا الى رأب الصدعات وتمتين الروابط وتصفية القلوب وتوحيد العزائم في وجهة واحدة وتنسيق الوسائل وأحكام الحركات والاعمال حتى تكون الحركات الاسلامية اكثر عطاء وايجابية واستجابة لتطلعات هذا العالم اليتيم الضائع بين ضراوة الخارج وتمزيق الداخل . واقصد بالداخل تلك المجموعات من دعاة هذا الدين وبخاصة في المشرق العربي حيث كان الامل ولا يزال في نهضة اسلامية سديدة تأخذ بيد العالم الاسلامي وتنفخ فيه روحا جديدة تجعل منه عالما ذا حجم وموقع وشخصية يحسب له حسابه ويحترم جانبه ويفسح لخطواته للتحرك نحو المستقبل العظيم المنتظر .

فاس : د. عبد السلام الهراس

الجانب السياسي في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم

للدكتور عبد الكريم كريم

الى جانب ايماننا ويقيننا بعناية الله تعالى بالرسول عليه السلام وهدايته وتوفيقه علينا ان نهتم بالجانب السياسي لشخصيته صلى الله عليه وسلم ، وذلك لنتمكن من ابراز بعض ما كان يتمتع به عليه السلام في هذا المجال ، ولنفهم المواقف المختلفة التي كان صلى الله عليه وسلم يقفها من قريش ومعارضتها لدعوته .

فخلال ثلاثة عشر عاما من وجود الرسول عليه السلام في مكة ، كان يواجه تحدي قريش باتحاد موقفين متلازمين :

اولا : بما يدفع عنه وعن اصحابه خطر قريش ويبعد عن المسلمين اذاهم .

ثانيا : بما يحقق له الفوز على قريش ويمكن بالتالي دعوته من الانتشار .

ولعل من ابرز الجوانب السياسية لشخصية الرسول عليه السلام تخطيطه للهجرات الثلاث التي وقعت :

اولا الى الحبشة في العام الخامس للبعثة .

ثانيا الى الطائف في العام العاشر للبعثة .

ثالثا الى يثرب في العام الثالث عشر للبعثة : وهذه هي موضوع دراستنا :

لقد عقد زعماء قريش في دار الندوة اجتماعا للتداول في امر الرسول عليه السلام ، وحسب ما اورده ابن هشام في السيرة عن هذا الاجتماع ، نستخلص ما يلي :

أولا : حضور عدد كبير من زعماء قبائل قريش يدل على اهمية هذا الاجتماع وخطورة الوضع بالنسبة لقريش .

ثانيا : ان تشاور زعماء قريش في امر تفادي هجوم اسلامي خارجي قيدهم في مكة او مصالحهم يؤكد حقيقتين هما : ايمان قريش بالقوة التي اصبحت للمسلمين في يثرب التي تجمع بها معظم المسلمين المهاجرين بالاضافة الى من اسلم من الاوس والخزرج . وادراك قريش بأن مصالحهم قد اصبحت مهددة وذلك لاهمية يثرب الستراتيجية : فهي تشرف على طريق التجارة الاولى التي تربط مكة ببلاد الشام .

ثالثا : نستخلص من الاقتراحات المختلفة حول موقف زعماء قريش من الرسول عليه السلام انهم لم يتمكنوا من اتخاذ موقف موحد : هل يحبسونه ام يخرجونه ام يقتلونه . والتطورات التي حصلت فيما بعد تؤكد ذلك .

اذنت السماء للرسول عليه السلام بالهجرة ونزل قوله تعالى : (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله

والله خير الماكرين) ؛ كما أوصى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم حسب سيرة ابن هشام :

« لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه » .

فأسرع صلى الله عليه وسلم الى بيت ابي بكر الصديق ليبشره الخبر وقد جاء في الهاجرة على غير عادته اذ كان يأتي بيت ابي بكر كل يوم اما في الصباح او في المساء كما جاء عن عائشة ام المؤمنين .

ومن دراسة الاحداث والتطورات نصل الى ان مؤامرة الهجرة قد نظم بين الرسول صلى الله عليه وسلم وابي بكر الصديق وعلي بن ابي طالب :

فقد كلف ابو بكر بتنظيم وسائل السفر بما في ذلك الدواب والدليل . وبأن يقوم ابنه عبد الله بنقل اخبار قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر في الغار ، كما امر ابو بكر مولاه عامر بن فهيرة بأن يرعى الغنم لطمس آثار الاقدام .

اما علي بن ابي طالب فقد كلف بأن ينام على فراش الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة وأن يرد الودائع الى اصحابها .

وفي ليلة الهجرة حاصرت قريش بيت الرسول صلى الله عليه وسلم فخرج عليه السلام وهو يتلو آيات من سورة يس (وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون) .

فما هي الخطة التي بيتتها قريش عندما حاصرت الرسول عليه السلام في بيته ؟

ان الاحداث والوقائع تؤكد بأن قريشا كانت تحرص في تلك الليلة على محاصرته في بيته كمرحلة اولى لمكيدة دبرتها له ؛ بدليل :

— **ان قريشا اعتادت ان تحاصر المسلمين منذ عشر سنوات في بيوتهم تمهيدا لتعذيبهم .**

— **وان النبي صلى الله عليه وسلم قد ادرك هذا الجانب فناب عنه عليا وطمأنه كما جاء في سيرة ابن هشام (نم على فراشي هذا وتسجج ببردي هذا الحضرمي فنم فيه فانه لن يصل اليك شيء تكرهه منهم) .**

— **وبدليل ان قريشا ما ان تأكدت من ان النبي صلى الله عليه وسلم نائم على فراشه — وكان علي هو الذي ينام عليه — حتى شددت الحصار حول البيت دون القيام بشيء آخر ، والا ، فلماذا لم يهاجموا بيت الرسول المتواضع الذي مكنهم من معرفة ما يجري بداخله ؟ فاذا قلنا بانهم كانوا ينتظرون النبي صلى الله عليه وسلم الى ان ينام فلماذا لم يهاجموا عليا الذي كان ينام على فراش النبي صلى الله عليه وسلم ؟ كما ان القول بانهم هموا باقتحام الدار وسلق الجدار القصير الا ان امراه من الدار صاحت فتراجعت قريش كما جاء في بعض كتب التفسير ، رأي لا نطمئن اليه بل ويتناقض مع ما كانت قريش تقدم عليه من هتك حرمات بيوتات المسلمين وتخريبها وحرقها .**

ومما يؤكد حرصهم على محاصرته أنهم لما تأكدوا من خروجه وبحثوا عنه جعلوا لمن يدله عليه جعلا قدره مائة جمل لمن يرجع به حيا لا لمن يأتي برأسه .

وهذا يسأل ابي سؤال هام : لماذا كانت قريش تحرص على حصار النبي صلى الله عليه وسلم في بيته ؟

لقد أصبحت قريش تدرك مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد نجاحه في ادخال عدد من زعماء يثرب في الاسلام . وبعد أن هاجر معظم المسلمين الى هذه المدينة ؛ اي ان الرسول عليه السلام قد اصبحت له قوة سياسية هامة . ووضع ممتاز في الحجاز يمكنه من تهديد مصالح قريش التجارية وضرب حصار اقتصادي عليها . وكانت قريش تدرك في اعماق نفسه أن لمكة والبيت الحرام المقام الاول في الدعوة الاسلامية وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لن يبقى بعد هجرته وتنظيم انصاره ان يسعى جادا لفتح مكة .

تحرص اذا اصبحت مهددة بحصار اقتصادي وهجوم اسلامي . فان كانت ترى في حصار النبي صلى الله عليه وسلم والضغط عليه وسيلة تتمكن بها من الحصول على تعهد خاص منه صلى الله عليه وسلم بألا يهاجمهم او يتعرض لمصالحهم ؟ فاجتماع دار الندوة وما جرى به من مداولات تعكس تخوف قريش من ذلك بالدرجة الاولى ، ثم ان اقدام الرسول صلى الله عليه وسلم ولما تمض غير بضعة اشهر على

اقامته بالمدينة على تهديد مصالح قريش التجارية يزيدنا ايمانا بان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدرك هذا الجانب الهام .

اما عن تنظيم الرسول صلى الله عليه وسلم للهجرة ، فدراسة الاحداث تعكس جانبا هاما منها :

جاء في سيرة ابن هشام قوله (لما كانت عتمة من الليل) ، العتمة : الثلث الاول من الليل اي ان الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ان حاصرت قريش بيته خرج في الثلث الاول من الليل ثم قصد بيت ابي بكر حيث خرجا معا من (خوخة لابي بكر في ظهر بيته) ، فهل نفهم من هذا ان عيون قريش كانت حول بيت ابي بكر ايضا ؟

وبعد ان قطعا مسافة تقدر بنحو ثمانية عشر كيلو مترا جنوبي مكة وصلا الى غار ثور حسب تخطيط سابق . فكم مكث الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديق في الغار ؟ يبدو انهما لم يمكثا طويلا في الغار :

اولا : لان الاقامة بالغار كانت مرحلة اولى للهجرة ولتضليل قريش بالدرجة الاولى .

ثانيا : لقد طوقت قريش مكة وضواحيها ، فكيف يعقل ان يبقيا في الغار ثلاثة ايام كما جاء في بعض كتب السيرة وان يتردد عبد الله بن ابي بكر واخته اسماء على الغار عدة مرات دون ان تنتبه قريش الى ذلك ، علما بان قريشا قد حاصرت بيت ابي بكر منذ الساعة الاولى لقيامها بالبحث عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد جاء في السيرة لابن هشام ان اسماء بنت ابي بكر قد روت بأن قريشا قد حاصرت بيتهم وان ابا جهل قد سألها عن ابيها وعندما اجابته باته خرج لطلبها لطمها لطمة قوية . وهكذا يبدو ان عبد الله بن ابي بكر قد استقل انيماك قريش في البحث عن الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة وضواحيها وقصد الغار مع اسماء والدليل عبد الله بن اريقط وخلفيه عامر بن فهيرة الذي كان يرعى الغنم لطمس آثارهم ، وما ان وصلوا الى الغار حتى خرج الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديق وبدات الهجرة نحو يثرب في مساء ذلك اليوم او فجر اليوم التالي .

واذا اخذنا بما جاء في كتب السيرة بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد خرج من الغار يوم الخميس فاتح ربيع الاول (من السنة الاولى للهجرة) الموافق ليوم 24 غشت 622 م فان خروج الرسول صلى الله عليه وسلم من بيته الى الغار يكون ليلة الاربعاء 30 صفر الموافق 23 غشت 622 م .

وعن الطريق التي سلكوا الرسول صلى الله عليه وسلم في هجرته : اتجهوا جميعا من الغار نحو الشاطىء في اتجاه من الشرق الى الغرب ، وظلوا محاذين للطريق الساحلي من الجنوب الى الشمال ، الى ان وصلوا الى مكان في الساحل يرسم مع يثرب خطا افقيا (يقرب اليوم من الينبوع) فاتجهوا من الساحل نحو يثرب اي من الغرب الى الشرق . وقد كان وصول الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة زوال يوم الاثنين 12 ربيع الاول (من العام الاول للهجرة) الموافق 4 شتنبر 622 م اي في اليوم الذي يصادف الذكرى الثالثة والخمسين لميلاد الرسول الكريم .

الإجماع في الشريعة الإسلامية

للأستاذ محمد المنتصر الزيسوفي

يقول المستشرق (جولد تسيهير) في دراسته (العقيدة والشريعة في الاسلام) عن فكرة الاجماع التي ثبتت قواعدها خلال هذا التطور الذي مر بالشريعة الاسلامية : اصبحت عنصرا من عناصر التوفيق والتقريب بين السنة والبدع المستحدثة ؛ وذلك ان المسلمين اذا ابتدعوا عادة من العادات او الفوا تقليدا من التقاليد وارتضاها جمهورهم طويلا ولم ينكره اصبحت هذه العادة او التقليد في النهاية جزءا من صميم السنة .

وقد ترتفع أصوات الفقهاء الرسميين خلال عصور احيال مظفرين استياءهم وتذمرهم من هذه البدعة ، غير ان هذه البدعة كلما طال الزمن عليها واعتاد اجماع المسلمين على اقرارها عدت مباحة ، بل قد يشترط المسلمون مراعاتها ويرون البدعة كل البدعة في مخالفتها واطراحها ؛ واذا فهم يخطئون كل من يطالب باعادة السنن المهجورة واحيائها » [1] .

ولعله غنيمة لنا نحن مع هذه الفكرة اسمح ان اتوغل - كباحث مجتهد من المسترفين - حيث في طويته كعادته في كل ما كتبه عن القضايا الاسلامية ؛ لذلك يجب قراءة كتاباته بحذر شديد وتبصر واع بالنسبة لبعض الشباب الذي ليس له المام كاف بحقائق دينه .

والفكرة الآنفة تهدف الى جعل الاجماع في الشريعة الاسلامية اداة لخلق البدع ، وطبعا هذا تجريح عمد اليه (جولد تسيهير) عمدا كي يبث في عقول السذج والجهلة من المسلمين ان اجماع العلماء يقرر امورا متناقضة لعقيدة هذه الامة ، وبذلك يسهل له ان يلصق بشريعة الاسلام بأنها مجموعة من آراء الناس وعقائدهم وعوائدهم وميولاتهم كما حدث في اليونان والانجيل الذين نسلت السماء التحريف بما اضيف اليهما من افكار ابتدعها اليهود والنصارى لاجل اغراضهم الشخصية .

وبالمناسبة احدني مضطرا الى الحديث عن الاجماع في الشريعة الاسلامية بايجاز دون التعرض الى جزئياته وحجيته وطبيعته وامكانه ؛ فذلك يعرفه من له المام بأصول الفقه والمصادر التي تولت شرحه بالتفصيل والاطناب وتحليل آراء الائمة فيه ، لان غرضي هو بيان تهافت آراء (جولد تسيهير) والاقتصار على رفع الغبش الذي غلف به دسيسته على غير طريقة العالم المتعمق الذي يعرف دقائق الحقائق .

والاجماع في اللغة العزم والتصميم على الامر والاتفاق عليه من ذلك قوله تعالى : ﴿ فجمعوا امركم وشركاءكم ﴾ (2) . ويقولون اجمع القوم اذا اتفقوا وعند الاصوليين [هو اتفاق المجتهدين من امة محمد

---

(1) ص 253 ـ 254 ط. 3 ـ نقله الى العربية الدكتور محمد يوسف وآخرون .

(2) سورة يونس الآية 71 .

صلى الله عليه وسلم في عصر من العصور بعد وفاته على حكم شرعي) (3) .

وهذا التعريف الاصولي للاجماع يقتضي الوقوف امام كل كلمة فيه ، ولكن ذلك يجر الى الحديث عن التفصيلات والاختلافات (4) بين الائمة . وهذا ليس من بحثنا — كما مر سابقا — .

والمهم عندنا في هذا الحديث هو دحض افتراء (جولد تسهير) الذي رمى علماءنا بالاحتيال في جعل الاجماع تبريرا للبدع التي استحدثت في دينهم فأصبحت من صميم السنة ، والهدف واضح جدا من هذه التهمة هو ان شريعة الاسلام دخلتها الاهواء ، وتلبستها آراء بشرية ، لذلك فالاسلام — في النهاية عند (جولد تسهير) — خليط من البدع والخرافات الشعبية عبر العصور اجمع على ترويجها واذاعتها علماؤنا .

وعرفنا في التعريف السابق للاجماع ان المجتهدين هم الذين يقومون بعملية الاجماع ليتحقق الحكم الشرعي ، ويعني ذلك أن الاتفاق مقيد بالمجتهدين ، ويستثنى في هذه الحالة غير المجتهدين ، وبالاحرى من ليس له المام بشريعة الاسلام . فكيف يتصور (جولد تسهير) اجماع المسلمين على اباحة ما ليس من الدين من قريب او بعيد ، كما لو كان المسلمون كلهم علماء مجتهدين وليس فيهم من هو دون درجة الاجتهاد .

فاية حجة استند عليها (جولد تسهير) لاقرار هذا الحكم الجائر الفج ؟ ، عندما نستعرض كلامه لا نجد في الحقيقة حجة علمية غير الهوى والخبث لبلبلة الافكار ، لانه من المستحيل ان يتخذ علماؤنا الاجماع مطية لارضاء شهوات العامة . ويجمعون على بدع يرفضها التصور الاسلامي القائم على الكتاب والسنة ، لكنني لا اعفي بعضا ممن نخر الشيطان قلبه فافترى على الدين حفاظا على مركزه او ابتغاء منصب الا ان امثال اولئك لا يلبثون ان يتفضحوا ويعرفهم المسلمون على حقيقتهم ، ولا يمكن ان يشملهم التعريف الاصولي للاجماع .

وان (جولد تسهير) اعتبر سكوت الامة الاسلامية في عصر من العصور على مظاهر غير اسلامية اجماعا ، مع العلم انه ما مر عصر من العصور الاسلامية الا ووجد فيه من وقف في وجه هذه المظاهر صارخا مستنكرا ابتداء من الصحابة والتابعين الى الائمة الاربعة الى العز بن عبد السلام وابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب وعبد القادر عودة والشهيد سيد قطب رضي الله تعالى عن الجميع ، فما كان هناك عبر العصور اجماع ابدا او سكوت على امر يخالف المنهج الرباني .

ومن الممكن ان (جولد تسهير) قد جلب بعض البلدان الاسلامية واسترعت نظره عادات مخالفة للاسلام ، فاعتبر انتشارها بين الطبقات الشعبية وشيوعها بين بعض الفقهاء اجماعا على اباحتها كالاحتفالات المتعددة لمراسم الاولياء والتمسح بأضرحتهم والتظاهرات (التعبدية) التي تجري فيها ما يخالف خصائص التوحيد الالهي .

فما حدث من بدع وعادات سيئة لا يمكن بحال ان نشبه الى اجماع المسلمين لقوله صلى الله عليه وسلم (لا تجتمع امتي على ضلالة) ولو كلف (جولد تسهير) نفسه مئونة الرجوع الى مواقف علمائنا من البدع لتأكد ان امة المسلمين — ويقودها اهل الحل والعقد فيها — ما سكتت ابدا على منكر ، ومبدؤها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال تعالى : (كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (5) .

(3) انظر التعريف في اصول التشريع الاسلامي للاستاذ علي حسب الله — ط. 3 — ص 95 عام 1383هـ 1964 م) .

(4) للوقوف على التفصيلات راجع على سبيل المثال ارشاد الفحول للشوكاني — ط. البابي الحلبي (عام 1356 هـ — 1937 م) . والمستصفى للغزالي — ط. 1 — (عام 1356 هـ — 1937 م) .

(5) سورة آل عمران الآية 110 .

وكان (جولد تسيهر) بهذا الافتراء ـ بالاضافة الى ذلك كله ـ يود أن يلقي في روع من يجهل خصائص هذا الدين ومقاصده وفلسفاته أن علماءنا يشرعون للناس بابتداع من اهوائهم وتطلعاتهم أو وحيا من غضبه العامه ، على حين أن التشريع من الله تعالى ، بمعنى أن الحاكمية لله تعالى لا لاحد ـ كائنا من كان ـ وهو اعلم بمصالح البشر من البشر نفسه (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) (6) ، لهذا ليس لواحد من الناس أن يزعم انه المشرع للحلق الا اذا كان ذلك في اطار التصور الالهي الحق لا يحيد عن جوهره بدعوى المصلحة او بدعوى سبب من الاسباب التي تتعارض وكلياته ومقاصده . ومن هذا المنطلق يعمل المجتهد الذي تتوافر فيه شروط الاجتهاد على استنباط الاحكام الجديدة المتواكبة وما جريات الحياة .

ولا اريد ان انهي موضوعي دون أن اشير الى ان تصورات الناس ومعاملاتهم وما يرتكبون من بدع فانه ليست هي المرآة الحقيقية التي تنعكس عليها حقيقة الاسلام المشرق ، ذلك ان الممارسة الفعلية للنظرية الاسلامية غير متوافرة في اخلاق الافراد ، كما ينبغي ان تتوفر ، ومن خلال هذا الانفصام البشيع بين النظرية والتطبيق أطلق (جولد تسيهر) هذا الحكم فجار على الاسلام دون أن يرجع الى منابعه ويمعن النظر فيها ، ويعقد المقارنة بينها وبين التصرفات السيئة التي يرتكبها المنتسبون للاسلام .

ان التوفيق بين النظرية والممارسة امر ضروري في هذا الدين والا بهتت في الوجدان تصوراته الخالدة عن الانسان والكون والحياة ، وذلك هو مات هذا المستشرق فانطلق يرسل الاحكام في كتاباته دون تبصر .

وقد شجع على انتشار هذا البدع ما اشاعه اعداء (7) الاسلام من احاديث مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان لها وقع سيء على الامة الاسلامية في شتى المجالات ، ولكن الله تعالى قيد من كشف عن هذه الاحاديث الموضوعة وبين زيفها من علماء الحديث ونقاده فصلوا الاصول وقعدوا القواعد ، فعرف ما يسمى بعلم اصول الحديث ، وقد نبهت دقة هذا العلم مستشرقين ، وتمنوا لو طبقوا هذا العلم على التاريخ الانساني كله ، نظرا لما يحتوي عليه من طرق دقيقة محكمة تقطع الطريق على كل عابث (8) وتسد المنافذ في وجه الدسائس والمكائد .

تطوان : محمد المنتصر الريسوني

(6) سورة الملك الآية 14 .

(7) من بين هؤلاء الوضاعين الزنادقة عبد الكريم بن ابي العوجاء الذي وضع باعترافه اربعة آلاف حديث ولما سيق الى المولى العباس ليضرب عنقه صرخ في حدة : « لقد وضعت فيكم اربعة آلاف حديث احرم فيها الحلال واحلل الحرام » . انظر علوم الحديث للدكتور صبحي الصالح ص 290 ـ 291 مطبعة جامعة دمشق ـ (1379 هـ ـ 1959 م)

(8) راجع سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة للعلامة المحدث محمد ناصر الدين الالباني ـ المجلد 1 ـ ص . 3 .

● من أساليب الحرب الفكرية والنفسية :

عزل الإسلام وعلمائه وتغريب المجتمعات الإسلامية

د/ معاذ أبو غدنان عبد القادر البوعيني

ما قبل التغريب :

لقي بنكشف الهدف الحقيقي من الدعوة الى ابعاد الانظمة والتشريعات الاسلامية عن الحياة العملية ، وتغريب ظاهر المجتمعات الاسلامية (سمية التغريب الباطن : تمسيحا وتلحيدا وتهويدا) لابد من الرجوع الى اوراق خطوتين لنقف عند نقطة البداية في عملية الغارة على العالم الاسلامي لنرى كيف تطور الاسلوب والوسيلة مع بقاء وثبات الهدف الاصلي الذي هو « الابادة » والاستعباد والتسخير والاستغلال الامثل لثرواته الروحي والمادي :

1 — الخطوة الاولى كانت سلبية وهجومية : « كان المسيحيون الهمجيون في غارات مظفرة ، وليس في وجوههم نقاب ، ولا دون جانبهم ستار ، يرمونهم بحق القضاء على الاسلام بالسيف ، فكان ذلك لون من الجهاد يتمثله رد فعل شامل في الاقطار الاسلامية ، اذ يجمع ويعرفها ويضحي بالنفوس ، ويسير في ذلك العالم وطأة الحواري ، ان لم يتركوا من الايمان امام عقول الكافرين ، وذلك لشدة مقاومة المسلمين لهذه الهجمات ، وما احدثوه في عزيمة لا تنادي فاصيب وذائبة اذ اطفأت ، واستردت ما فقدوا . . . وكان ذلك من اسباب فشل الصليبيين آخر الامر بعد قتال دام وغلبة مائتي سنة [1] »

2 — الخطوة الثانية كانت انجيلا وعلما لاهوتيا : « . . . وبعد هزيمتهم — في الحرب الصليبية — مكررا وجربوا فقضى تدبرهم ان يعدوا اسلحة اخرى غير الحديد واشار لمحاربة الاسلام ، ومكافحة مبادئه ، وزرعه من نفوس اهله وحملة رسالته — لنعط لكلمة « حملة رسالته » وزنها الثقيل . ذلك ان الحرب الفكرية العقائدية تعطي اهميه قصوى لاستغلال بعض « علماء » الاسلام في تنفيذ مخططها ، نظرا لمكانتهم ونفوذهم وتاثيرهم على الجمهور ، وساعطي امثلة لاستغلال بعض هؤلاء العلماء عند الحديث عن اساليب « الاختفاء » — تلك الاسلحة هي اسلحة المقاومة لهذا الدين ، وسائل علمية ، وعن طريق أهلهم المعنوي وهدم الحصون من داخلها وعلى ايدي اهلها (2) » واول رسالة علمية حربت لهدم الاسلام هي التنصير ، ارجو الا يتعجل القارىء الكريم ويعترض بان التنصير وسيلة دينية لا علمية فسأقدم من الحجج والبراهين ما يكفي للتأكيد على ان الهدف الحقيقي من التبشير هو تسرب الافكار والمبادىء والمذاهب الغربية المادية — المتحررة الى نفوسهم من رواسب العصور البونانية والرومانية الوثنية — وبما المسيحية الا قناع وطاقية اختفاء سيشار اليها الى غرس هذه الافكار في نفوسنا كما سنرى في اسلوب « الاختفاء ») فمت ان الخطوة الثانية كانت على الفور ، وهذا ما يقوله احد اعلام المبشرين ، وهو « ادوين لمس » في كتابه « مشروع التنصير » قال : « ان « ريمون لول » الاسباني هو اول من تولى التنصير بعد ان فشلت الحروب الصليبية في بغيتها ، فتعلم « لول » اللغة العربية بكل مشقة ، وجال في بلاد الاسلام وتاثر عليه الاسلام في بلاد كثيرة (3)

1) الاستعمار احقاد واطماع . ص 393
2) المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام . ص 116 .
3) الغارة على العالم الاسلامي . الطبعة الثانية ص 29 .

ورغم ان الكلام عن التبشير واهدافه الحقيقية سيأتى فى اسلوب « لاخفاء » فانى ارى من المفيد هنا أن أقدم استشهادا واحدا يكشف هذا الهدف الاستعمارى : عندما فوجىء صفار المبشرين والمرتزقة الذين يحملون اهداف التبشير الخفية بفشل مهمتهم ، واكتشفوا ان الاسلام متجذر فحميه عميقة الجذور فى قلوب ووجدانات المسلمين ، وانه من المستحيل اجتثاثها واقتلاعها : جاء كبيرهم ومرجعهم العارف بالخفايا والمقاصد لاعمالهم — جاء يقف عند دول الصدمة ، ويرسم لهم الهدف بكل الوضوح فقال الشيخ « زويمر » الملقب « بالرسول المختار الى العالم الاسلامى » فى اجتماع « لاطفائه » التبشيرى : « ايها الاخوان الاعمال والمرسلون الذين كتب لهم الجهاد فى ارض المسيحية واستعمارها بلاد الاسلام ، عاحظكم ربكم الرب بالترياق الجبل المقدس ، لقد ادركم الرسالة التى نيطت بكم احسن اداء ، ووفقتم لها أسمى التوفيق ، وان كان يخيل الى انه مع اتيانكم افضل على اكمل الوجوه ، **لم يفطن بعضكم الى الغاية الاساسية منه** ، انى اقركم على ان الذين دخلوا من المسلمين فى حظيرة المسيحية **لم يكونوا مسلمين حقيقيين** لقد كانوا كما قلتم احد ثلاثة . . . اما صغير لم يتن له من امره ما هو الاسلام ، او رجل مستخف بالاديان لا يبغى غير الحصول على قوته وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش ، وآخر يبغى الوصول الى غاية من الغايات الشخصية ، ولكن مهمة التبشير التى تدبتكم دول المسيحية للقيام بها فى البلاد المحمدية ، **ليست هى ادخال المسلمين الى المسيحية** ، فان هذه هداية لهم وتكريما — كذا — **وانما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الاسلام ليصبح مخارقا لا صلة له بالله** وبالتالى فلا صلة تربطه بالاخلاق التى تعتمد عليها الامم فى حياتها ، وبذلك تكونون انتم بعملكم هذا طليعة جيش الاستعمارى فى ممالك الاسلامية ، وهذا ما نعمل له فى خلال الاعوام المقبلة بمساعدة خير انام ، وهذا ما هنالك عليه ويسكم دول المسيحية والمتعصبين جميعا كل الميعة (4) .

هكذا يصرح زعيم المبشرين « زويمر » ان مهمة مرؤوسيه هى ان يكونوا « طليعة الفتح الاستعمارى فى ممالك الاسلامية » اما تنصير فى ادخال المسيحية الى قلوب المسلمين فلا يعملون عنه ولا يعتبر مقصودا ، اذ جعل فى زرع الافكار المبدد للاستعمار والتمهيد لخلق الحالة المساعدة للاستعمار المباشر او القضاء عليها هو ما عناه رئيس الجمعية الامريكية فى عبارته : « ان المبشرين يمكن ان يكونوا قد خابوا فى هدفهم الاكثر وهو تنصير المسلمين جماعات جماعات لا انهم قد انجزوا به امر جسيما (5) » والمقصود بقوله « انجزوا جسيما » قيام نهضة اسلامية حديثة — على الطريقة الغربية — مجردة من روحه ، ويوضح هذا المعنى اكثر « شاتليه » فى مقدمة لكتاب اغارة على العالم الاسلامى . قال : « ولا شك فى أن ارساليات التبشير من بروتستانية وكاثوليكية تعجز عن ان نرجع بعقيدة الاسلامية من نفوس بفتحليها ، ولا يتم لها ذلك الا **بث الافكار التى تتسرب مع اللغات الاوروبية** ، فبنشرها اللغات الانكليزية والالمانية والهولندية والفرنسية ، يحتك الاسلام بصحف اوروبا **وتمهد السبل لتقدم اسلامى مادى** . (6) » وهذه هى بداية التغريب . (7)

اعتقد ان خط المسيرة قد توضح ، وان الهدف يلمع لمعان الشمس ، الهدف دائما هو هدم الاسلام واستعمار اراضى المسلمين ، والوسائل متنوعة

---

(4) المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام 78 .

(5) المخططات 277 .

(6) الغارة 17 .

(7) يقول الاستاذ محمد جلال كشك فى كتابه الهام جدا « ودحلت الخيل الازهر » : كان الاسلام هو السد الوطنى الذى تتكسر عنده امواج الغزو الغربى . لان الاسلام هو الرفض الحضارى للغزو الغربى ، وكان الاسلام يتمثل فى الرفض الغريزى من جانب الجماهير للغزاة الاجانب الذى يهددون وجودنا الحضارى ، ومستقبلنا ومصالحنا ... وكان يتمثل ايضا فى القيادة المثقفة ثقافة اسلامية ، اى فى شيوخنا وتجارها واعيانها . لذلك كان على الغزوة الاستعمارية الغربية أن تفتت مقاومة امتنا بتحريدها من الاسلام ، وقد جربت اوروبا اعداء الاسلام بقتل المسلمين فى الحروب الصليبية لكنها اكتشفت فشل هذا الاسلوب ، وحاولت مرة اخرى ان تخرج المسلمين من الاسلام بحملات التبشير ، والمؤرخون الاستعماريون لا يخفون مراراتهم وهم معترفون عن فشل جهود مبشريهم فى كسب مسلم واحد الى معسكرهم ، لكن التبشير لم ينجح . فكان الغرب : اى دفع المسلمين الى استبعاد الدين عن حياتهم وتفكيرهم ، عزل القيادات المثقفة ، بصفة دورها فى المجتمع ..
ودحلت الخيل الازهر ، الطبعة الاولى ص 10 و 11 .

متطورة حسب الظروف والعصور . عندما كان الهدف تصفية جسدية كانت الوسيلة سيوفا ومدافع وعندما اصبح الهدف الآن تصفية حضارية وتغريب المجتمع الاسلامي وطبعه بالطابع الغربي ، صارت الوسيلة اقلاما ومطابع تقذف قنابل اسمها افكار ومذاهب

عزل القيادة الاسلامية وغرس قيادة مغتربة :

قبل الحديث عن الدعوة الى التغريب ، وعن الوسائل المستعملة لتحقيقها ، ونتائجها في المجتمع الاسلامي ، لابد من الحديث اولا عن القيادة الاسلامية وعن موقفها من دعوة التغريب ، وفضح الوسائل التي استعملها دعاة التغريب لابعاد القيادة الاسلامية وتضييق نطاق عملها ومحاصرتها في الزوايا والمساجد ، واتاحة الفرصة للقيادة التي كونها في مدارسه لتولي قيادة المجتمع الاسلامي وتوجيهه نحو التغريب والعبودية والخضوع للاستعمار المقنع :

يقول الاستاذ انور الجندي : « هدف التغريب كما اورده رجاله هو : انشاء عقلية عامة تحتقر كل مقومات الحياة الاسلامية بل الشرقية ، وابعاد العناصر التي تحمل الثقافة الاسلامية عن مراكز التوجيه ، وبذلك يستغني الاستعمار عن مواجهة الشعور الديني بانعداده السافرة ، ويمكن للتغريب ان ينفذ الى كل المجالات دون اي مقاومة تذكر (8) » وفي نفس المعنى كتب الاستاذ يوسف القرضاوي : « لقد صمم الغرب الصليبي الزاحف ان يهدم ويدمر ، ولكن باسلوب غير اسلوب التتار والصليبيين القدماء ، لقد اتجه الى تدمير العقائد والافكار ، وهدم القيم والاخلاق ، وتحطيم الآداب والتقاليد ، بمعاول خفية لا تراها الاعين بسرعة ولا تلمسها الايدي بسهولة ، وباساليب ماكرة لا تثير الشعوب ولا تغضب الجماهير . . . ولم يكن من هم المستعمر الدخيل في اول الامر ان يوجه عمله الى الشعب ليزحزحه عن دينه ، ويشككه في منهجه الالهي ، فيهيجه على حكمة ويحرضه على مقاومته ، بل ترك الشعوب في غفلاتها **ووجه اكبر همه الى تكوين قادة المستقبل** ، قادة يصطنعهم لنفسه ، ويضعهم على عينه ، ويربيهم في احضانه ، ويغذيهم بثقافته وافكاره ، ويغرس فيهم الخضوع — عن طواعية — لنظمه وتقاليده ، والتقديس لمناهجه وفلسفته ، ان صناعة هذا الجيل الذي سيقود السفينة فيما بعد ، ويقبض على زمام التوجيه والتثقيف والتربية والادارة والسياسة والتشريع ، كانت اهم ما عني به الاستعمار الخبيث ، وكان لنجاح في صناعته اعظم نصر حققه في المعركة بينه وبين الشرق الاسلامي ، منذ عهد هرقل ومعركة اليرموك وما بعدها حتى اليوم » (9)

فكيف ينفذ هذه القيادة المصطنعة عملية التغريب وما هو موقفها ازاء الاسلام وعلمائه ؟ القذيفة — الفكرة — الاساسية التي يصوبونها الى « سد الدين » الحاجز لموجات التغريب ، والغزو الاجتماعي هي القول بفصل الدين عن الدولة (10) وتطبيق المفهوم الغربي للدين الذي يحصره في علاقة المرء بربه ، وهنا يقول الاستاذ يوسف القرضاوي : « وعمل القادة والزعماء الذين « علمنهم » الغزو الثقافي من قبل — على علمنة الافكار والمشاعر والاوضاع ، بحيث حصر الدين في المساجد وبعض زوايا الحياة التافهة ، وفرض على الشرق المسلم مفهوم الغرب المسيحي للدين : اي انه مجرد علاقة بين المرء وربه ، وشاعت في الناس كلمات غامضة مضللة مثل « الدين لله والوطن للجميع » وبذلك ثبت المفهوم الاستعماري الدخيل الخبيث : ان الدين لا شأن له بالسياسة وان الدولة لا علاقة لها بالدين (11) ، اما موقف هذه القيادة المصطنعة من الدين والقيم والاخلاق والثقافة الاسلامية والتراث الاسلامي عامة ، فهو موقف التنكر والاهمال والعزل ، والمقاومة والمحاربة والتصفية ما وجدت الى ذلك سبيلا ، ويقابل التنكر لكل ما هو اسلامي الدعوة والتبشير بكل ما هو غربي ، فيدعوه الى تقليد الغرب في كل شيء ، والسير وفق منهجه ونظرته للحياة ، واقتباس انظمته وعاداته وتقاليده و « اخلاقه » يقول احدهم : « .. ولكن السبيل الى ذلك — التجديد — واحدة فذة ليس لها تعدد .. وهي : ان نسير سير الاوروبيين ونسلك طريقهم ، لنكون لهم اندادا ولنكون لهم شركاء في الحضارة : **خيرها وشرها حلوها ومرها ، ما يحب منها وما يكره ، وما يحمد**

---

8) مجلة الفكر الاسلامي اللبنانية ، السنة الثالثة العدد الثالث ص 4
9) الحلول المستوردة 20/1
10) للحديث عن الدعوة الى فصل الدين عن الدولة والفكرة الاساسية التي تنبني عليها حلقة خاصة ، هي حلقة « القرآن والمبشرون »
11) الحلول المستوردة 55/1 .

منها وما يعاب » !!(12) ثم يقول : « ولنشعر كما يشعر الاوروبى ولنحكم كما يحكم الاوروبى ثم لنعمل كما يعمل الاوروبى، ونصرف الحياه كما يصرفها» (13) ثم يقول : « فاما الان وقد عرفنا تاريخنا واحسسنا انفسنا ، واستشعرنا العزه والكرامه ، وايقنا **ان ليس بيننا وبين الاوربيين فرق فى الجوهر والطبع والمزاج** ، فانى لا أخاف على المصريين ان يفنوا فى الاوربيين » (14) ، ويقول آخر سلامة موسى — « انا كافر بالشرق مؤمن بالغرب ، يجب علينا أن نخرج من آسيا وان نلتحق باوروبا » (15) ويقول ان ادبنا يجب أن يكون ادبا اوروبيا 99 ٪ وان التعليم كذلك يجب « ان يكون اوروبيا **لا سلطان للدين عليه ولا دخل له فيه** ... واننا فى حاجة الى ثقافة ابعد ما تكون عن الاديان ولا بأس أن نعتمد على الترجمة الى حد بعيد » (16) وينكر الدعوة الى تعاون المسلمين وتكاتفهم وتوثيق الروابط بينهم فيقول : « ان الرابطة الدينية وقاحة فاننا ابناء القرن العشرين اكثر من ان نعتمد على الدين جامعة تربطنا » (17) وبماذا نرتبط اذا تحللنا من روابط الدين ؟ يجيب سلامة موسى — المبشر بنظرية دارون فى الشرق العربى » نرتبط باوروبا ، وان يكون رباطنا بها قويا ، نتزوج من ابنائها وبناتها ونأخذ عنها كل ما يجد فيها من اختراعات واكتشافات — وهنا نقول معه نعم للاختراعات والاكتشافات العلمية — وننظر للحياة نظرتها.. ونجعل ادبنا يجرى وفق ادبها **بعيدا عن منهج العرب** ، ونجعل فلسفتنا وفق فلسفتها ، ونؤلف عائلاتنا على غرار عائلاتها » (18) يقول الاستاذ يوسف القرضاوى معلقا على كلام موسى : « وهو يدعو فى غير مواربة الى التعاون والاتفاق مع المستعمرين المحتلين الانجليز ، وهدفه من ذلك تصفية الرجعية فى مصر ، ويعنى بالرجعية — ولعله أول من استخدم هذه الكلمة — القوى الاسلامية كالازهر الذى يمثل بقايا الثقافة الاسلامية ، والمعالم الشرعية التى تمثل بقايا القوانين الاسلامية ، والاوقاف والمساجد التى تمثل بقايا التقاليد والعبادة الاسلامية ، والجماعات العامة التى تمثل التطلع الى دولة اسلامية ووحدة اسلامية وحضارة اسلامية » يقول المؤلف الجرىء — يعنى سلامة موسى — « اننا اذا اخلصنا النية مع الانجليز قد نتفق معهم اذا ضمنا لهم مصالحهم ، وهم فى الوقت نفسه اذا اخلصوا النية **فاننا نقضى على مراكز الرجعية فى مصر وننتهى** منها ، فلنول وجهنا شطر أوروبا » (19) ويقول « جميل معروف » : « ان خلاص الشرق يتوقف على تفريج الشرقيين بكل معنى الكلمة .. لا عبدة شرعية تربطنا باسلافنا . يجب أن نكون ابناء اليوم لا بقايا الامس : كل جيل يجب أن يعمل لذاته ، وكل سلالة يجب أن تشرع لنفسها »(20) ثم يضيف : « واستناد الشرقيين على الدين فى احوالهم العالمية عمل عقيم يبعدهم عن محجة التقدم ، لا بل انى أجد بلاء الشرق كله من الاديان ، ومصيبة الشرقيين من الانبياء » (21) .

ونلاحظ ان هذه الآراء « والفتاوى » وامثالها كثير تهدف الى غرض واحد ، وهو هدم الدين الاسلامى والثقافة الاسلامية ، لا بمهاجمتهما مهاجمة سافرة تثير غريزة الدفاع — ولكن بالدعوة الى سلخ الدين والثقافة الاسلامية وخلعهما ووضعهما كاردية اثرية فى المتاحف ، الى أن تتلاشى وتضمحل تلقائيا بفعل عامل الزمن والاهمال وعدم الاستعمال (والعضو الذى لا يستعمل يضعف ثم يتلاشى ويضمحل كما يؤكد ذلك العلوم)

وماذا كانت نتيجة عزل الدين والقيم والاخلاق الاسلامية ؟ وبالتالى ما هى ثمار غرس افكار التغريب؟ الجواب ليس هو ما نقرأه فى الكتب المسطورة ولا ما نشاهده فى الكتب المصورة ، وانما ما نراه فى « الكتب المنشورة » فى الشوارع والازقة والمقاهى والحانات والمراقص وعلب الليل ، هو ما « نقرأه » على رمال الشواطىء وأحواض المسابح . والاعراس والافراح. وبالاجمال فان حياتنا اصبحت كتابا حروفه ناطقة

---

12) الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار ، الطبعة الخامسة ص 201 .
13) نفس المصدر 202 .
14) نفسه 205
15) الحلول المستورده 42/1 .
16) نفسه 42/1 .
17) نفسه 42/1
18) نفسه 44/1
19) نفسه 43/1 .
20) نفسه 43/1
21) نفسه 44/1

متحركة صارخة : ان الاخلاق الاسلامية قد تفسخت وتحولت ، وانها في طريق التلاشي والاضمحلال ؛ والنتيجة الحتمية لتلاشي الاخلاق الاسلامية هي انحلال المجتمعات الاسلامية وتفككها ، واضمحلالها ودوننا في سنة غريبة اي بوبها روحا ومعنويا فالامم الاخلاق ما بقيت ، فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا.

واذا اصيب القوم في اخلاقهم
فاقم عليهم مأتما وعويلا (22)

وبعد ... اننا لسنا من دعاة التقوقع والانغلاق والانكفاء على الذات واجترار انتصارات الماضي ؛ فالعالم حولنا يتقدم بسرعة خارقة ؛ ولكي لا نتخلف لابد من مسايرة الركب وتحديث وتجديد (23) وسائلنا. ولكن الذي نلح عليه هو بناء الجديد الارقى على الاساس الاصيل الاقوى . فلا تناقض اطلاقا بين الاصالة والمعاصرة ؛ والاصالة تعني فتح الابواب والنوافذ لكن دون ازالة الرفوف والسقوف .

---

22) انظر خطاب زويمر فيما سبق خاصة قوله للمبشرين : « وانما مهمتكم ان تخرجوا المسلم من الاسلام ، ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله ، وبالتالي فلا صلة تربطه بالاخلاق التي تعتمد عليها الامم في حياتها » .

23) للحديث عن الفرق بين التحديث والتغريب والمقارنة بين تغريب تركيا وتحديث اليابان ، انظر « ودخلت الخيل الازهر » ص 12 . وانظر ايضا في نفس المقارنة الحلول المستوردة ص 109 و 136 .

في فقه الدعوة

العقيدة أولاً

للاستاذ أحمد البوريقادي

ان اهم ما يشغل المسلمين الان وعلى الاخص الشباب منهم ، مسألة العقيدة التي تذبذبت في النفوس بفعل التمرد على الفطرة تارة ، وبالابتعاد عن جادة الاسلام واهمال تعاليمه تارة اخرى .

ومرد ذلك في نظرنا الى شيء واحد هو انعدام التوجيه والتربية الاسلامية ، أو فشل القائمين بهما في توعية الشباب المسلم ، وهدايته الى الخير والرشد .

والانسان فطري النزعة قبل ان تتوزعه المغريات، وقبل ان تتملكه الشهوات ، وتأخذ بلبه المظاهر والصداقات . وقبل ان تتلقفه الشوارع والمنديات كالارض البكر الخصبة التي ان وجدت الوسائل اتت اكلها ضيا ، وما الوسائل الازرع الايمان في القلوب ، وتعهد ذلك الايمان بالتربي والتوجيه . والتذيب والتشذيب حتى يرسخ ثابتا لا يتزلزل ، مطمئنا لا يتذبذب ، وتلك ثمرة التوجيه والتوعية ، وهي مهمة صعبة يجب ان نعد لها العدة ، ونخلص لها الدعوة ، ونجند لها الطاقات ، ونيسر لها الاكفاء من العلماء ، ونهيىء لها الصالحين من الآباء والصالحات من الامهات ، ونوفر لها المخلصين من الدعاة والاساتذة.

ان مسألة العقيدة والايمان مسألة المسلمين الآن ، يجب ان نفكر فيها ونعمل لها خصوصا وانا نرى الاسلام اليوم تتقاذفه الامواج من كل جانب ، وتعتوره سهام الاعداء ، وتتشابك ضده الايدي وتتحالف ، وتتضافر حوله الجهود « يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون »(1).

والى جانب هذه اللمزات والغمزات ، نرى الامة الاسلامية وقد انحنت في ظلم نفسها ، وأوغلت في اجترأة على المحارم وتعدي الحدود ، وسيب او تناست دينها وتعاليمه ، فاعانت بذلك عدوها على نفسها دون أن تشعر وسلمت او كادت ان تسلم في مفتاح القيادة والسيادة ، وتركت الجهاد من اجل ذلك : « وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس »(2).

ان الاسلام بتشريعاته واحكامه خالد أبدي لا تزيغ به الاهواء ، ولا تلتبس به الالسنة مشع كالشمس ، فياض كالنور ، ضروري للانسانية كالماء والهواء عذب كالزلال سهل في تعاليمه ، لا حرج فيه ولا عنف ، ولا حيف فيه ولا ضعف ، وحي من الله لا من وضع البشر ، عليه وبه صلح امر الدنيا والآخرة ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون »(3) .

---

(1) سورة الصف الآية 8
(2) سورة الحج الآية 78 .
(3) سورة الروم الآية 30 .

ان جدار الاسلام هو اقوى جدار في الوجود ، عليه تتكسر امواج المطامع والنزعات ، ولا تفت فيه تلك الاهواء الدخيلة ، ولا تنال منه تلك السهام ولو كثرت لان مشكاته سماوية ، وعينه قدسية ، وكوكبه دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية .

الاسلام كالمصباح المضيء ، وكم تحيط بالمصباح من جيوش الفراش والناموس وكم يتلقى من هجماتها ، وتتحلق حوله في دوران مستمر ، ولكنها لا تنال من ضوئه اذا قدر لها ان تنال من سطحه ، ولا تستطيع ان تنفذ الى قلبه ولو شوهت وجهه .

اوردت هذا المثال لادلل على ان العقيدة هي السلاح الذي لا تفل عزيمته ولا تهن قوته ، فلو جمع الغرب والشرق الجموع ، وسددوا السهام ، وعقدوا العزم على الشر والكيد ، وبيتوا الغدر للاسلام والمسلمين ، فان ذلك لا يجدي شيئا اذا كانت العقيدة متمكنة من النفوس ، راسخة في القلوب نغار عليها ونفني حبا فيها ، وندافع عنها باستماتة ليبقى نورها دائما لا يخبو ، ولهيبها شعلة لا تنطفيء وسرها مغلقا لا ينفتح .

هكذا اراد الله ويريد ان تكون عقيدة المسلم ، وهكذا طهرها من الشوائب ، فلو وردت آلاف التيارات ، وصمت على اسس المظاهر والشكليات وغزت عقولهم الايديولوجيات ، وملأ اسماعهم وحياتهم ما جد وفسد من العقائد الزائغة ، والمذاهب الهدامة ، وما حاكه اعداء الله من المؤامرات للاسلام ، وما دبروه من خطط وشيطنة لاضعافه ونخر عظامه بل ولمحوه من الوجود « لا قدر الله » من وسائل الدس وبعوث التبشير وملايين المطبوعات والكتب ، وسعيهم الحثيث للقضاء على اخلاق المسلمين ومبادئهم بكل ما يملكون من قوة وحول ، ومحاربتهم الاسلام في شتى بقاع العالم وتقتيلهم للمسلمين ليفتنوهم عن دينهم وربهم ، فان المسلم الحق رغم هذه الدسائس والمكائد قوي في عقيدته ، شديد الايمان بها ، متصل بالله عن طريقها لا يبغي بديلا بها ، « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » (4)

ان قوة المسلم تكمن في عقيدته ، فبقدر ما تكون هذه العقيدة شديدة متماسكة يكون المسلم قويا بها ، حريصا عليها ، عاملا لاجلها ، وبقدر ما تتخاذل هذه العقيدة وتتهلهل بقدر ما يهون المسلم وتصغر نفسه ، ويغلب على امره ، ويكون عرضة للانهزام والتخاذل .

ومهما حاول المسلمون الآن ان يبحثوا عن انفسهم ، ويتداركوا امرهم ، ويهيئوا للمعركة : معركة الايمان والكفر ، معركة الحق والباطل ، ويستعدوا لهذه المعركة بشتى الاسلحة الثقيلة والخفيفة فانهم يحاولون عبثا اذا لم يسلحوا اولا وقبل كل شيء بسلاح العقيدة والايمان ، انه السلاح الوحيد اذا حمي الوطيس ، وادلهمت الحوالك ، انه السلاح الغالب في معركة فاصلة كالتي يخوضها المسلمون الآن ضد اعدائهم المتربصين بهم وضد العالم المتنكر لهم ، وضد العدو الذي لا يرحمهم ، وضد الركب الذي لا ينتظرهم ، واخيرا ضد انفسهم الساردة في غلوائها المنحرفة عن طريقها ، الا ما اجرى المسلمين وهم يعيشون احلك الازمات واشقى الظروف ان يرجعوا الى الوراء قليلا قليلا ، ويتلمسوا النور من بعيد ، فيروا هذا النور وقد ملأ الكون سماحة وعدلا ، وحضارة ومجدا ، وفتوحات شاملة قد عمت الدنيا ، ويتحققوا بانفسهم من سر ذلك وعلته : وما اسر الا ايمان كامل ، وعقيدة لا تلين ، ومبادىء عليا ، واخلاق مثلى ، ومعاملة برفق وحسنى ، وعدل شامل ، واخوة في الله عظيمة ، والفة متماسكة وبنيان مرصوص يشد بعضه بعضا ، وسلف صالح لا يعرف الخنا ويترفع عن الدنايا ، ولا يرضى بالضيم ، ولا يخاف في الله وفي الحق لومة لائم ، فدانت لهم الدنيا بذلك وكسوا انصع الصفحات ، وبيضوا وجه الدين واستنار بهديهم الناس في كل زمان ومكان ، وعاشت الامم الاخرى على موائدهم قرونا واحقابا . انهم لم يبلغوا تلك العظمة ، ولم يمتطوا ذلك المجد ، ولم تذلل لهم الارض مناكبها واكنافها الا لانهم انصاعوا للحق واذعنوا له ، وتمكن الايمان منهم وخالطت بشاشته قلوبهم ، وحكموا عقولهم في شهواتهم ، ولم يستمرئوا لذاذات الدنيا ومتعها ، ولم تطس الاهواء باحلامهم ، وجعلوا القرآن والسنة حكما بينهم ،

(4) سورة آل عمران الآية 85 .

وآثروا الآخرة على الدنيا ، والثواب على الطمع ، وعرفوا انفسهم فعرفوا الله ، وعرفوا الله فلم يشغلوا سواه .

وبالنظر لحال المسلمين وواقعهم نجد الفرق واضحا ، والبون شاسعا بين سلف كتب العزة لنفسه بعقيدته وعمله فادركها ، وبين خلف تخلى عن العزة واسبابها فهان في نفسه ، وانمحت مقوماته ، فضيع العزة الموعودة في قوله تعالى : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » (5) .

وكيف يدرك العزة ويحققها من كان على ضعف في الايمان ، وتضعضع في العقيدة ، وتغلغل في الشهوة ، وانحراف عن الجادة ، وتمرد على الاوامر والنواهي ، وتحاكم الى القوانين الوضعية ، واتسباق وراء المادة وشغف بها ، وانشغال بالسفاسف والتوافه ، وتعلق بقشور الحضارات الدخيلة ، وتقليد اعمى لما يرد من الموضات الخليعة المزرية .

كيف يدرك العزة من ضيع الامانة ، وركب نفسه ، وحكم شهوته على عقله وساءت اخلاقه ومعاملاته ، فلم يراع الا ولا ذمة ، ولم يحفل بكتاب ربه ، وانتظمت حبله بالله ، وتفلت احلاف والكثر أوداجه واعشى الزيف في الترهات والاوهام .

ان الشرط الوحيد للعزة في الآية الكريمة هو الايمان الحق ، هو الايمان الصادق الذي يقهر الشح الغوالي ، ويجعل من المؤمنين قوة لا تجابه ، وعافة لا تقهر ، وسلاحا لا يفسل .

والمسلمون اليوم بغير هذا السلاح تائهون في قفر يباب ، قد أضاعوا انفسهم ورشدهم ، وتحكم الشيطان فيهم ، وتغلبت الشهوة عليهم فصاروا نهبا ليها ، وطوع أمرهما ، وبهم تغلبت الشهوة على العقول ، وجرى الشيطان من الانسان مجرى الدم ، فلم يحكم الفساد ولم يلجم النفس بلجام العقل والتبصر الا ضاع في خضم شهوته ونزل لسوء حظه الى دركات البهيمية ، وبذلك يسهل استعباده والتحكم فيه والسيطرة على حريته وأمواله وبلاده ، وهذا ما وقع للمسلمين فعلا ، وهذا من اهم الاسباب المباشرة في انهزامهم امام قوى الشر من اليهود والصهاينة ، فاحتل القدس الشريف ووطئت اقدام العدو وحابه الطاهرة ، وعاث في فلسطين فسادا وافسادا ، والعقل مع الشهوة في صراع مستمر ، فهناك من يتغلب عقله على شهوته وهم الملائكة : « عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » (6) .

وهناك الحيوانات التي تغلب شهوتها عن عقلها : « والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم » (7) .

والانسان بين بين . فالسعيد من الناس من تغلب عقله على شهوته فارتفع الى مصاف الملائكة الابرار ، والشقي من الناس من تغلبت شهوته على عقله فهوى الى دركات الحيوان الاعجم .

والمسلمون اليوم للاسف الشديد غلبت على عقولهم شهواتهم ، واستعبدتهم رغباتهم فأثرت على حاضرهم ومستقبلهم .

والقرآن الكريم يورد لنا نماذج ممن استعبدتهم الشهوة وجرت في دمائهم وجعلتهم سجناء بين اسوارها ، ينظرون بمنظارها ، ويصدرون عنها والبها ، فأورثتهم تلك الشهوة انواعا شتى من الامراض ، واشكالا مختلفة من الاخلاق السيئة السافلة .

فمنهم من ابتلي بالنفاق فحكى الله عنه : « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين » (8) ، يصدق ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها : اذا اؤتمن خان ، واذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر . (9)

ومنهم من ابتلي بضعف العقيدة والتبعية المطلقة لغير الله في قوله تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله » (10) .

---

(5) سورة المنافقون الآية 8 .
(6) سورة الانبياء الآية 27 .
(7) سورة محمد الآية 12 .
(8) سورة البقرة الآية 8 .
(9) رواه الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص
(10) سورة البقرة الآية 165 .

ومنهم من أورثته الشهوة حب دنياه واستحب آخرته في قوله تعالى :

« فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق » (11) .

ومنهم من أعمت الشهوة عينيه وخلد به المال الكثير والجاه العريض فلم ير السعادة الا في ذلك فقال تعالى :

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا » (12) .

وهناك طائفة من الناس تخلت عن الاخلاص لله في عبادتها وعملها وأصبحت تعمل ليراها الناس ، قال تعالى :

« والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ، ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا » (13) .

فهؤلاء قرناء الشيطان وفقاء السوء ، عناصر فساد وافساد في الامة والمجتمع تخلوا عن الاخلاص الذي هو سبيل النمو وطريق النهوض يجب ان نحذرهم ونجتنبهم .

وهناك طائفة اخرى تجرهم شهوتهم للافساد بين الناس والخوض في الفتنة وايقادها لتطير شرارتها في كل مكان فتهلك الحرث والنسل قال تعالى :

« ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام ، واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ، واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد » (14) .

ومن الناس من تؤدي به شهوته الى الجهل المقيت فيتبع كل هوى مضل ويصفق لكل ذي باطل ، ويجهل انه على جهل لغروره وبطره ، وقد حكى الله عن هذا الصنف فقال : « ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله ، له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق » (15) .

وقال عنه ايضا :

« ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير » (16) .

وهناك صنف آخر من الناس تذبذبت عقيدته وتقلب كالمتلوف لا يريد الا ان تبسم له الحياة ، ولا يطمئن اليها الا اذا كانت مستبشرة ضاحكة كانها ما خلقت الا لاسعاده وهدئته وحده ، فاذا اصيب بما ما بارت تجارته وقامت قيامته وضل ضلالا مبينا :

« ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين » (17) .

وهناك صنف آخر ايضا تزين له شهوته ان يتاجر في اللهو والعبث وينفق اوقاته في عبث طائل ، ويستهزىء بآيات الله واحكامه ويتبع كل ناعق ، ويتعصب لكل راي دخيل حتى اذا حاججته بمنطق الشريعة وادلتها العقلية والنقلية ادبر ادبارا ، وتكص على عقبيه فرارا ، حكى الله عنه فقال :

« ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين ، واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كان

---

(11) سورة البقرة الآية 200 .
(12) سورة آل عمران الآية 14 .
(13) سورة النساء الآية 38
(14) سورة البقرة الآية 204 .
(15) سورة الحج الآية 8 .
(16) سورة الحج الآية 3 .
(17) سورة الحج الآية 11 .

لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم » (18) .

هذه أصناف وأصناف عرضها القرآن ليفهمنا أن صنف العقيدة والايمان منزه عن هذه الشهوات الدنيئة ، مترفع عن سفاسف الامور واباطيلها متجرد لله في عمله معرض عما يغضب الله ويرضي الشيطان.

صنف الايمان صنف من طراز ممتاز لا يبيع آخرته بدنياه ولا يسفل في اخلاقه ومعاملاته ، ولا يقف مواقف الاتهام .

صنف الايمان معتز بعقيدته محافظ عليها ، متشبث بها ، باع نفسه لربه فلا يقيل ولا يستقيل ، لان الربح عظيم والثواب جزيل .

صنف الايمان صنف طهر الله قلبه ، واجرى الخير على يديه ، ونفخ فيه من روحه ، وأمده بعونه، قد استكانت للحق نفوس اصحابه واهتدت للخير قلوبهم فلم يضعفوا ولم يهنوا ، ولم يخافوا ولم يحزنوا لان الله وعدهم النصر وكتب لهم العزة .

صنف الايمان صفت سيرته وسريرته ، وكان سره كعلانيته قد تشبعت نفسه من مبادىء الدين ، واستنار بهدي القرآن والسنة ، فوقف عند الحدود ووفى لله بالعهود ، ولم يتجرأ على المحارم والشبهات واخلص لله في الاعمال والنيات .

هذا الصنف هو الذي أثنى عليه ربه بقوله : « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد » (19) .

ولقيمة هذه الطائفة المؤمنة ووزنها أناط الله بها حمل الامانة وكلفها بتبليغ الرسالة ، وحملها الدعوة واجتباها لها فقال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم » (20) .

فاس : احمد البورقادي

---

(18) سورة لقمان الآيتان 6 – 7 .
(19) سورة البقرة الآية 207 .
(20) سورة الحج الآية 77 .

مسيرة التربية الإسلامية

للدكتور أحمد الشرباصي

كان مسيرة التربية في المجتمع العربي الاسلامي قد سلك طريقها المرسوم الواضح منذ اشراق الاسلام . فقد شابت طرق التربية في الجاهلية اعوجاج غير منطقية . لا بأس من خير ، ولكنها لا تخضع لمنهج ، ولا تلتزم بخطة ، فلما جاء الاسلام جعل من اهدافه أن يقيم التربية اسسا وقواعد ومبادىء .

واذا كان الاسلام قد ظهر في امة امية ، وجاء على يد رسول بعثه الله في الامين ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، فان هذا الرسول قد وجه همته وهو يبلغ رسالته الى اعزاز شأن العلم والكتابة والقراءة ، ومن مظاهر ذلك انه جمع حوله طائفة من الذين يعرفون الكتابة ، ليكتبوا له ما نزل من القرآن . وما بعث به الرسول من رسائل ، وقد زادت هذه الطائفة على الثلاثين كاتبا ، وانه لرقم عظيم بالنسبة الى قلة الكاتبين في الامة العربية حينئذ .

وكان الرسول قد اعتزم منذ الطليعة ان يمحو الامية من المجتمع ، فامر عبد الله بن سعيد بن العاص ان يعلم الناس الكتابة بالمدينة ، وكان كاتبا محسنا ، ونرى احدى امهات المؤمنين زوجات الرسول وهي السيدة حفصة رضي الله عنها تتعلم الكتابة على يد « الشفاء بنت عبد الله العدوية » التي كانت امرأة كاتبة في الجاهلية ، واستراح النبي الى ذلك ، وكانت ام المؤمنين عائشة تقرأ وان لم تكتب . وكذلك كانت ام المؤمنين ام سلمة رضوان الله على الجميع .

ولا يقال هنا : لكن الرسول عليه الصلاة والسلام كان اميا ، لان امية الرسول كانت لسبب يتصل بالمعجزة الكبرى له وهي معجزة القرآن الكريم ، فكان مجيء هذه المعجزة على يد نبي امي لا يقرأ ولا يكتب ادل على نبوته ، ولذلك يقول العلماء : ان الامية في الرسول مفخرة ، ولكنها في سواه عيب .

ولما كان طلب العلم فريضة على كل مسلم ، فقد انتهز الرسول صلى الله عليه وسلم انتصار المسلمين في الغزوة الاولى غزوة بدر ، ووقوع عدد من الاسرى في ايديهم ، ووجود عدد منهم يعرف القراءة والكتابة ، واعلن ان الاسير الذي يعلم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة يفدي نفسه بذلك ، ويتحرر من الاسر .

وكانت اول حملة مباركة في تاريخ محو الامية بصفة جماعية ، فقد علم هؤلاء الاسرى عشرات من المسلمين ، وهؤلاء العشرات علموا من ورائهم عشرات وعشرات وعشرات ، وانتشرت الكتابة والقراءة وفتحت ابواب الثقافة والعلم ، وكان من وراء ذلك خير كثير للتربية التي تعتمد على العلم والثقافة .

وتكاثرت حلقات التربية والتعليم في المساجد والزوايا والكتاتيب والربط وقصور العلماء وقصور الخلفاء والامراء ، ورأينا الصلة قائمة بين مكان التربية والبيت ، لان العرب قد ادركوا منذ القدم اثر البيت في الولد ، حتى قال بعض السلف : « الطفل

صورة عائلته ، فكل ما فيها من خير أو شر ، وكل ما سمعه ورآه ينطبع فيه ، وابدأ كل جهد الامهات من اهم الامور في تربية الابناء ، ومن ربى ماله ، ولم يرب ولده ، فقد ضيع الولد والثروة » .

ومن دلائل التعاون المثمر بين البيت والمربين هذه الوصايا التي كان يوجهها عقلاء العرب الى الذين يربون ابناءهم ويعلمونهم . ومن امثلة هذه الوصايا وصية عتبة ابن ابي سفيان المتوفى سنة اربع واربعين للهجرة ، ومنها قوله لمؤدب ولده : « ليكن اول ما تبدأ به من اصلاح بني اصلاح نفسك ، فان اعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما استحسنت ، والقبيح عندهم ما استقبحت ، وعلمهم كتاب الله ، ولا تكرههم عليه فيملوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه .

ثم روهم من الشعر اعفه ، ومن الحديث اشرفه ، ولا تخرجهم من علم الى غيره حتى يحكموه ، فان ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم ، وتهددهم بي ، وادبهم دوني ، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء ، وجنبهم محادثة النساء ، وروهم سير الحكماء ، واستزدني بزيادتك اياهم ازدك واياك ان تتكل على عذر مني لك ، فقد اتكلت على كفاية منك ، وزد في تأديبهم ازدك في بري ، ان شاء الله تعالى » .

ومن هذه الوصايا ما أوصى به هارون الرشيد علي بن المبارك الاحمر مؤدب ولده الامين ، وفيها يقول له : « يا احمر ، ان امير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه ، وثمرة قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، فكن بحيث وضعك امير المؤمنين ، اقرئه القرآن ، وعرفه الاخبار ، وروه الاشعار ، وعلمه السنن ، وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك الا في اوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم اذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه ، ولا تمرن بك ساعة الا وانت مغتنم فائدة تفيده اياها ، من غير ان تحزنه ، فتميت ذهنه ، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فان اباهما فعليك بالشدة والغلظة » .

واتسع نطاق التربية والتعليم ، وظهرت في الامة فقهاء وعلماء وادباء وخطباء وشعراء ، ومؤرخون ولغويون ومفسرون ومحدثون ومؤدبون ، وشاركت المرأة العربية في هذه النهضة ، فما من حقل من حقول المعرفة والثقافة نبغ فيه رجال الا رافقتهم نساء ، وظهر فيمن ظهر طائفة « الكتاب » الذين يقومون بوظيفة « الكتابة » وهي وظيفة ذات شأن وخطر ، لا يراد منها مجرد الانشاء او التسطير ، بل هي وظيفة جليلة خطيرة قد توازي احيانا منصب الوزارة ، وكانت مهمة الكتاب غير بعيدة من مهمة المعلم والمربي ، وهذا عبد الحميد بن يحيى العامري زعيم الكتاب في أواخر دولة الامويين يقول لمن يشتغلون بهذا العمل ان الله « جعلكم معشر الكتاب في اشرف الجهات ، اهل الادب والمروءة والعلم والرواية ، بكم تنتظم الخلافة محاسنها ، وتستقيم امورها ، وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم ، وتعمر بلادهم ، لا يستغني الملك عنكم ، ولا يوجد كاف الا منكم » .

ولقد وجد عبد الحميد الكاتب الى اهل الكتابة وصية تربوية حكيمة تعاون على رسم الصورة الباهرة لهيكل التربية العربية الاسلامية ، ومن هذه الوصية قوله :

« فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الادب ، وتفقهوا في الدين ، وابدأوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ، ثم العربية ، فانها تقاف السنتكم ، ثم اجيدوا الخط ، فانه حلية كتبكم ، وارووا الاشعار ، واعرفوا غريبها ومعانيها ، وايام العرب والعجم ، واحاديثها وسيرها ، فان ذلك معين لكم على ما تسمو اليه هممكم ، ولا تضيعوا النظر في الحساب ، فانه قوام كتاب الخراج .

وارغبوا بانفسكم عن المطامع ، سنيها ودنيها ، وسفساف الامور ومحاقرها ، فانها مذلة للرقاب ، مفسدة للكتاب ، ونزهوا صناعتكم عن الدناءات ، واربئوا بانفسكم عن السعاية والنميمة ، وما فيه اهل الجهالات ، واياكم والكبر والصلف والعظمة ، فانها عداوة مجتلبة من غير احنة ، وتحدوا في الله عز وجل في صناعتكم ، وتواصوا عليها بالذي هو اليق باهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم » .

ومع ان التربية العربية الاسلامية بقي فيها — بصفة مستمرة — قدر من الاسس والعناصر ، رغم توالي الاحداث وتغير الاحوال ، نلاحظ ان هذه التربية كانت تتعرض لجانب او جوانب التكيف الخاص ، بسبب هذا الظرف او ذاك من ظروف المجتمع ، فكان هناك فريق يسيطر عليهم التشدد والتزمت ، فاذا الصبغة الدينية الواضحة تسيطر على زمام تربيتهم ، ثم

يحرفون فى تصور الدين فيجعلونه سلبية وعزلة وزهدا انطوائيا ، وكان هناك فريق يتوسعون فى اخذ انفسهم بالتربية الروحية الصوفية التى تبلغ بهم فى كثير من الاحيان حد الشطح او اتوهم او الخيال ، وكان هناك فريق من الناس تنقيا لهم اسباب الترف واسباع الحياة ، فيؤثر ذلك فى تربيتهم من هذا الجانب او ذاك ، وكان هناك من يخضع لفكرة مذهبية او وجهة سياسية ، فاذا هذه الفكرة او تلك الوجهة تشكل تربيته كلها او بعضها بشكل معين

وكذلك وجدت فى الدولة اعمال ومناصب وحرف ، فحاولت ان يضاف الى المبادىء الاساسية فى تربيتهم بعض العناصر ، فمن كان معد للكتابة يؤخذ بنوع خاص من التوجيه ، وكذلك من كان معدا للوزارة ، او للولاية ، او لقيادة الجيش ، او للقضاء ، او الى سبيل من الاعمال ، او حرفة من الحرف [1]

وحدث بعض النقل الاجتماعية او الاخلاقية التى تجعل طفلا او كبيرا فى طريقه تربية اصحابها ، مثل الفروسية ، والمروءة ، والتصوف ، والحسبة ، وغيرها

وكان لاختلاف هذه الاحوال والاوضاع اثر كبير فى تغير الصورة المتكاملة للتربية العربية الاسلامية التى ازدهرت ومهرت فى صدور الاسلام ، فتقمص منها عنصر ، واندمل عليها اندماج عنصر آخر ، بحيث فقدت الصورة الواضحة التى اراد الاسلام وآثارها كما اراد لها الاسلام ، وان كانت اصولها وقواعدها واسسها بقيت فى بطون الكتب والمصادر ، وظلت مسامع مقبول المستجيبين من العلماء والحكماء .

وجاءت النكبات السياسية ، والمكائد الاجنبية ، والمؤامرات الشعوبية ، والخلافات الدينية ، والمطامع السياسية ، والملاحاة المذهبية ، دمرت الامة العربية وحطمت سيطرتها على الارض العربية وجعلتها تفقد ، فلم يبق لتلك الوحدة الدينية والدنيوية التى كانت سبب هذا الازدهار ، وكانت سر هذه العبقرية الاسلامية وحدها ، تطبع ابناء الامة المؤمنة بذلك الطابع التربوى الديني الاخلاقى الدنيوى المهيء لسعادة الدنيا والآخرة .

— ٣ —

وبرغم كل هذه الاحداث والمحن لم تنقطع مسيرة التربية الاسلامية العربية ، بل تجمعت عوامل التعريق

والترقى ، وبعد ان استخدم العربون المسلمون المسجد والرابطة والقصر والدور والقصور وحوانيت الادب ، عرف المجتمع العربى الاسلامى نظام « المدرسة » بمعناها الخاص ، ووقف قادرون من المسلمين الكثير من الاوقاف على المدارس ودور العلم ورجاله وطلابه

وسجل تاريخ التربية عند العرب يذكر بالتقدير والتبجيل اسم الوزير : نظام الملك الحسن بن على بن اسحاق الطوسى ، وزير الملك شاه السلجوقى ، والمتوفى سنة 485 هـ ، لان هذا الوزير هو الذى انشأ المدارس بمعناها الخاص فى المجتمع العربى الاسلامى فى اواسط القرن الخامس الهجرى ، ونسبت هذه المدارس اليه ، فسميت بالمدارس النظامية ، وبدأ بناء اول مدرسة منها سنة 457 على شاطىء دجلة ببغداد ، وتم بناؤها سنة 459

واذا كان المسجد هو المدرسة الاولى فى المجتمع العربى الاسلامى ، وقام الى جواره « المكتب او الكتاب » والمنزل الذى بدأ فيه الخط والزواية والدور والقصور والمكتبات الخاصة للعلماء ، « بيت الحكمة » فى بغداد ، و« دار العلم » فى القاهرة ، و« بيت الحكمة » فى مصر ، على ما يذكر مؤرخو التربية الاسلامية ، فان تاريخ المدرسة العربية الاسلامية يبدأ بالمدارس النظامية .

ولكن ينبغى ان نذكر ان هناك من يقرر ان المجتمع العربى الاسلامى قد عرف نظام المدرسة قبل المدارس النظامية التى انشأها نظام الملك الطوسى ، فقد ذكر ابن خلكان والسيوطى ان هناك مدارس انشئت قبل المدارس النظامية ، منها مدرسة ابن فورك المتوفى سنة 406 هـ والمدرسة البيهقية ، نسبة الى البيهقى المتوفى سنة 450 هـ .

ولعل السبب فى القول بان المدارس النظامية هى اول المدارس هو انها كانت مدارس كبيرة ، وكان التعليم فيها مجانا ، وكان التلاميذ يأخذون فيها ارزاقا ومعونات . وقد اشار الى ذلك السبكى فى كتابه « طبقات الشافعية الكبرى » ، حيث ذكر ان التعليم فى المدارس النظامية كان مجانيا ، وكان هناك بجوار هذا رواتب للطلاب الفقراء .

والاسلام فيما نعلم هو اول من قرر مجانية التربية والتعليم ، وكان القرآن المجيد اول من وجه الى

---

1) يمكن ان نتعرف الى شواهد لذلك فى مثل كتاب « نهاية الارب » للنويرى ، وكتاب « صبح الاعشى » للقلقشندى .

ذلك ، حيث قال : « قل لا اسألكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين » ، وقال : « قل ما سألتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله » ، وقال : « ام تسألهم خرجا (اى اجرا) فخراج ربك خير ، وهو خير الرازقين » . وهذه آية تكررت خمس مرات فى سورة الشعراء على السنة خمسة من الرسل ، وهى : « وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين » . ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها » .

ومن هنا تخرج كثير من المعلمين والمربين فى صدر الاسلام ، فلم يأخذوا على التربية او التعليم اجرا وكان الاتجاه العام فى صدر الاسلام ان يكون الارشاد احتسابا لوجه الله تعالى ، ولكن حينما احتاجت الامة الى معلمين متفرغين ، كان لابد من صيانة حياتهم وكفالة مطالبهم ، حتى يحسنوا التفرغ لعملهم . وكذلك رأى الامام الشافعى — كما يروى الغزالى فى فواتح العلوم — ان اخذ الاجرة على تعليم القرآن جائز ، وكذلك على الآذان ، واقامة صلاة القيام (التراويح) وكذلك على الاذان ، واقامة صلاة القيام (التراويح) بفرغ قلبه من هم المعيشة ويتفرغ للتعليم ، وقد اجازت ذلك مذاهب اخرى

وقد عاون على تحقيق مجانية التربية والتعليم امام الطلاب والتلاميذ فى المجتمع العربى الاسلامى ذلك الاوقاف الخيرية التى كان يتقرب اغنياء المسلمين والعرب على العلماء والتعليم وطلاب العلم ، ولقد استطاع الجامع الازهر الشريف ان يقضى — عبر الزمن الف عام ، وهو قائم بتعليم علوم الاسلام والعربية للالاف المؤلفة من طلابه مجانا بلا مقابل . وكان كثير من علمائه يتطوعون بالتدريس حسبة لله جل جلاله ، ومنهم من كان يكتفى بأقل الزاد فى مقابل قيامه بالتدريس .

ويزداد افتخار الامة العربية بذلك حينما تذكر ان الازهر الشريف كان اقدم الجامعات واسبقها . فقد تأسس قبل جامعة بولونى فى ايطالية ، وقبل جامعات باريس واكسفورد وكمبردج وبراغ .

— 42 —

اللغة والتربية

اذا كانت اللغة القومية هى الركيزة الاولى التى يجب ان ترتكز عليها التربية ، فاننا نلاحظ ان الاسلام قد اعطى اللغة العربية قداسة وخلودا ، اعطاها قداسة حين جعلها لغة القرآن : « انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » ، « وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا » ، « كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون » ، واعطاها قداسة حين جعل كلمات القرآن وحيا اليها يتعبد المؤمنون به ، ويرددونه فى صلواتهم ، واعطاها خلودا حيث جمع لسانها على هذا البيان القرآنى المعجز الذى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم اللغة العربية هى العنصر الاساسى فى بناء العروبة فقال : « يا ايها الناس ، ان ربكم واحد ، والابا واحد ، وان الدين واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وانما هى اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربى » .

وقد اهتم الرسول بتذكرنا بهذين المقومين والعنصرين حتى يربط فى المجتمع العربى ، وعلى الرغم من المكائد الكثيرة المرصودة لايجاد نوع من التمزق بين العروبة والاسلام ، ظل الحمراء من ابناء هذه الامة العربية دعاة الرسالة المجددة والتراث المعتز بها يؤمنون بأن الانتظام الواعى الجبير بين قوميتنا وعقيدتنا ركن ركين فى بناء حضارتنا ومدنيتنا . وفى سنة 1959 قلت فى كتابى « رسائل تقدم المسلمين » هذه العبارة :

« لقد كان من نتيجة كفاح العرب الاخير فى سبيل حريتهم واستقلالهم ان استيقظت فيهم القومية العربية ، وانتشرت دعوتها بينهم بصورة قوية واضحة ، حتى لقد الكثيرون فيهم على مناهجهم الاساسية وقواعدهم السياسية العامة ، ونحن فى فورة الحماسة لهذه القومية ، وفى ثورة الجد لتحقيقها وتكريمها ، يجب ان نذكر الصلة الوثيقة — التى يلزم ان تزداد على الدوام توثقا بين العروبة والاسلام . وما عقدته يد الله الحكيمة القوية لا يجوز ان تحله يد الانسان او يد الشيطان .

وقد اراد العليم الخبير ان تكون العروبة وعاء الاسلام ، واراد فى الوقت نفسه ان يكون الاسلام روح

تلك العروبة . واعامل المهم فى تحررها وتكريمها وتعظيمها وتخليدها على الايام ، قد شاء الله أن يكون نبى هذا الدين رجلا عربيا من صميم العرب ، واصدقهم فى العرب نسبا ، وجعل الله تعالى مبعث هذا النبى ومبدأ دعوته العالمية الباقية فى أرض عربية وواد عربى هو اقدس مركز الدائرة بين بلاد العروبة ، وأنزل الله دستور هذا الدين المعجز به ، وهو القرآن المجيد المحفوظ ، بلسان عربى مبين ، وفصله بيانا عربيا ، غير ذى عوج ، وجعل مفسر هذا الدستور الاسمى الخالد مفسرا عربيا فى لغته وبيانه ، وهذا المفسر هو الحديث الشريف .

وجعل الله المسارعين الى هذا الدين وحملته الاول المرضيين فى كل عمل صالح بتبليغه للناس اجمعين ، جعلهم قوما عربا من صميم العرب فى دارهم وجنسهم ولغتهم وحضارتهم ، وجعل القبلة التى يتجه اليها المسلمون كل يوم عدة مرات بابصارهم وبصائرهم ، وأشباحهم وارواحهم ، وحواسهم ونفوسهم ، بنية فى ارض عربية عريقة العروبة ، وهى الكعبة الحرام فى مكة المكرمة التى يقول فيها القرآن المجيد : (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) ، ومكة المشرفة التى يشير اليها القرآن وينوه بها ، ويقرر ان الكعبة اول بيت وضع للناس ، فيقول سبحانه : (ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة ...) الآية .

واذا كان الاسلام قد رفع من شأن العروبة بهذا القدر ، فان العرب الاوائل الذين حملوا رسالة هذا الدين قد ادركوا فضل هذا الصنيع من الاسلام ، فاستجابوا له ، واخلصوا فى حبه ، وخضعوا لسلطانه طوائعه واختيارا ، واعتزوا به الاعتزاز البالغ ، وتسابقوا فى سبيله لهاميهم وأسنتهم ، وعتاجيهاتهم وعصبياتهم ، وباعوا له من اجله ارواحهم ، وبذلوا اموالهم وحصروا فخرهم فى الاعتزاز بهذا الدين ، والعمل بمبادئه الانسانية السمحة (2) .

من أعلام التربية فى الاسلام

لقد ازدانت مراحل التاريخ العربى الاسلامى بطائفة من اعلام المفكرين الموجهين الذين كتبوا فى التربية ، وتحدثوا عن اسسها واهدافها ، وعن عناصرها ومقوماتها ، ومن هؤلاء : الغزالى وابن خلدون وابن سينا ، والماوردى وابن قتيبة وابن جماعة ، والقابسى والاصفهانى والنعيمى ، والسبكى والزرنوجى وابن حزم ، والباهلى وزكريا الانصارى وابن حجر الهيثمى ، وغيرهم .

وكان ظهور هؤلاء الاعلام ثمرة طيبة للتفاعل العقلى الواسع والذى احدثه الاسلام بنزول القرآن وانتشار الدعوة ، واتصال البيئة العربية بغيرها من البيئات علميا وثقافيا ، وقد كان لدى هؤلاء الاعلام استعدادهم الشخصى لنبوغهم فيما نبغوا فيه ، وتأثرهم بالتغيير الكبير الذى احدثه الاسلام ، وعوامل البيئة التى نشأوا فيها ، ثم اجتهادهم واستنباطهم ، ثم اطلاع الكثير منهم على جوانب من التراث المترجم عن غير العرب بعد اتساع الفتح الاسلامى

وليس من الميسور فى مجال محدود كهذا المجال أن نستوعب الحديث عن كل اعلام التربية فى التاريخ العربى ، بل الميسور هو أن نعرف تعريفا موجزا بمذاهب عدد منهم فى التربية ونفسها ، ليكون هذا التعريف معوانا على استكمال الرؤية الفكرية للاسس التاريخية فى تراثنا العربى الاسلامى التربوى .

الغزالى والتربية

واول من نختاره من بين هؤلاء الاعلام حجة الاسلام ابو حامد الغزالى الذى توفى سنة خمس وخمسمائة للهجرة ، فقد تحدث عن امور التربية فى طائفة من كتبه اهمها « احياء علوم الدين » ثم « ايها الولد » و « المنقذ من الضلال » و « ميزان العمل » و « الرسالة اللدنية » و « فاتحة العلوم » .

واول ما نلحظه فى حديث الغزالى عن التربية انه يجعل الدين اساسا اهم من كل اساس فى كيان التربية ولذلك نراه يصدر كل فصل من فصول « الاحياء » بايراد الايات القرآنيه والاحاديث النبوية وآثار الصحابة والسلف المتعلقة ببيان المسائل التربوية التى تعرض لها ، وكذلك يؤمن بأن التصوف السليم الصادق يورث الانسان معرفة واستقامة لا مثيل لهما ، ولعل السبب فى هذا الاتجاه من الغزالى انه — كما ذكرت فى كتاب « الغزالى والتصوف الانسانى » — قد

2) كتاب « وسائل تقدم المسلمين » ص 120 — 122 ، طبعة سنة 1959 م .

تصوف على بصيرة « فجمع بين التصوف والشريعة ، واحتكم فى تصوفه الى القرآن والسنة ، واعطى التصوف صبغة اسلامية فتحت الطريق للوفاق بين الفقهاء والصوفية ، وربط تعاليم التصوف بمبادىء الاسلام ، وكما فسر الاسلام فى ضوء التصوف ، فسر مبادىء التصوف فى ضوء الاسلام ، وكون من الشريعة والحقيقة — او من الفقه والتصوف — مزيجا آمن بأنه الاسلام المثمر لما فيه من حياة » (3) .

والغزالى المربى يرفع مكانة العلم الى اعلى مكانة ، ولذلك صدر كتابه « الاحياء » بالحديث عن العلم والمعلم والمتعلم ، لان هذا الموضوع كما يقول هو « [illegible] » .

ويمكن ان يقال ان الغزالى قد وضع فى كتبه نظاما تربويا كاملا ، وقد ظهر هذا بوضوح فى كتابه الجليل « الاحياء » ، ولو ان ما تناثر فى كتب الغزالى عن التربية تهيأ له التجميع والترتيب والتبويب لاستوت امامنا خطة التربية متكاملة ، واذا كان النظام التربوى ينص على دعامتين هما المنهج والطريقة ، فالغزالى قد تحدث بتوسع عنهما

والغزالى بعد أن يقرر ان التربية والتعليم من الفرائض الاجبارية يذكر ان هناك علوما مفروضة فرض عين ، يطالب بها كل مكلف ، وهى علوم الدين التى نعرف منها العقائد والعبادات ، وأن هناك علوما مفروضة فرض كفاية ، اذا قام بها عدد من ابناء الامة بصورة كافية سقط الاثم عن الباقين والا كان الجميع آثمين اذا اهملوها ، وفى ذلك يقول :

« اما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه فى قوام امور الدنيا ، كالطب اذ هو ضرورى فى حاجة بقاء الابدان ، وكالحساب فانه ضرورى فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما ، وهذه هى العلوم التى لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد ، واذا قام بها واحد كفى ، وسقط الفرض عن الاخرين ، فلا يتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات ، فان اصول الصناعات ايضا من فروض الكفايات ، كالفلاحة والحياكة والسياسة ، بل الحجامة والخياطة ، فانه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك اليهم ، وحرجوا بتعريضهم انفسهم للهلاك ، فان الذى انزل الداء انزل الدواء وارشد الى استعماله ، واعد الاسباب لتعاطيه ، فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله » (4) . وفى هذا النص اشارة الى الاخذ بالتخطيط فى التعليم ، وتوزيع الطلاب فى دراستهم حسب حاجات المجتمع

ويستعرض الغزالى العلوم والموضوعات التى يدرسها المتعلم ، ويوضح مراتبها ، ويبين الطريقة التى يدرس بها المعلم هذه المواد ، ويؤكد ان العنصر الدينى فى التربية هو الجوهر الاساسى المطلوب من ورائها ، لان غاية التربية هى التقوى والفضيلة والقرب من الله تعالى ، مع عدم اهمال الدنيا ، ولكن على اساس ان الدنيا مزرعة للاخرة . ولذلك كانت العلوم الدينية عند الغزالى هى اهم العلوم ، وتليها علوم اللغة . وتليها العلوم الضرورية لحياة الناس كالطب والحساب والصناعات ، ثم تليها العلوم الادبية الثقافية كالشعر والتاريخ والفلسفة والمنطق . ويرى الغزالى ان هناك علوما مذمومة على كل حال ، كالسحر والشعوذة والتنجيم الذي يراد منه (كشف الطالع) ، وان هناك علوما محمودة حينا ، ومذمومة حينا آخر كبعض الفلسفة وبعض المذاهب الطبيعية

ويقرر الغزالى ان الانسان لا يولد عالما ، وانما يستطيع ان يصير عالما بالتعلم . واذا كان هناك ما يسمى « علم المكاشفة » الذى لا تطيق افهام الخلق احتماله ، فان « علم المعاملة » هو ما يطلب فيه العلم به والعمل بمقتضاه ، ويذكر لنا الغزالى ان المقصود من كتابه « احياء علوم الدين » هو علم المعاملة فقط ، وينوه حجة الاسلام بأهمية العمل بالعلم فيقول : « العلم بلا عمل جنون ، والعمل بغير علم لا يكون » ، ويقول ايضا : « فمن علم وعمل بما علم فهو الذي يدعى عظيما فى ملكوت السموات » .

واذا كان الغزالى يجعل للعقل قيمة كبيرة فى الادراك والفهم ، فانه يقرر ان العقل مهما كان كبيرا لا يستطيع صاحبه الاكتفاء به والاستغناء عن الشرع ، ويصور ذلك بصورة تشبيهية تمثيلية ، فيذكر فى كتابه « الاقتصاد فى الاعتقاد » ان العقل المنزه عن الخبث والهوى يشبه العين السليمة من العاهات والآفات ، وان الشريعة تشبه الشمس التى تغمر الاشياء بنورها فتكسبها الوانا ، وتصبح رؤيتها ممكنة ، فلا العين

---

(3) الغزالى والتصوف الاسلامى ، ص 181 طبعة دار الهلال سنة 1965 م .
(4) احياء علوم الدين ، ج 1 ص 28 طبعة سنة 1356 هـ . لجنة نشر الثقافة الاسلامية .

تستطيع الرؤية دون النور ، ولا الالوان تظهر الا اذا رأتها العين ، وعلى هذا فالانسان الذى يردد آيات القرآن دون أن يستخدم عقله فى فهمه ، يشبه من يغمض عينيه فلا يرى الضياء ، فلا فرق بينه وبين من فقد بصره حقيقة ، والذى يعرض عن الشريعة زاعما انه يستطيع الاعتماد على العقل وحده ، يشبه من فسد طبعه ، وبصر على رؤية الاشياء فى ظلال يطفو . فالصواب هو ان نجمع بين هدى الشريعة ونور العقل .

ويرى الغزالى انه ينبغى ان يكون التعليم بحسب الحاجة اليه ، وبحسب ما يتجدد من الحال ، ويرى انه من العبث ان نعلم الانسان شيئا لا يحتاج اليه ، فما الداعى الى تعليم الاعمى الذى لا يتكلم النحو المحرم من الكلام ، وما الداعى الى ان نعلم مكفوف البصر ما يحرم النظر اليه ، وهكذا (5) .

ويرى انه ينبغى التلطف فى توصيل المعلومات الى ذهن من يتعلم ، ويضرب لذلك مثلا بما فعله بعض الحكماء حينما اراد احالة بعض الرؤساء الى علم الطب ، فسماه « تقويم الصحة » وصاغ معلوماته على هيئة تقويم النجوم ، موضوعا فى الجداول والرقوم ، ليكون ذلك داعيا الى المطالعة ؛ لان « التلطف فى اجتذاب القلوب الى العلم الذى يفيد حياة الابد ، أهم من التلطف فى اجتذابها الى الطب الذى لا يفيد الا صحة الجسد » . وهو يقصد بالعلم الذى يفيد حياة الابد علم الدين والفقه والاخلاق ، لان ثمرة هذا العلم طب القلوب والارواح ، المتوصل به الى حياة تدوم ابد الآباد ، فأين منه الطب الذى يعالج به الاجساد ؟ (6)

وينص الغزالى على طائفة من الصفات والآداب التى يجب أن يتحلى به المعلم المربى ، ومنها :

1 — أن يستشعر الشفقة على التلاميذ دون ضعفه ، وأن يجعلهم كابنائه

2 — أن لا يقصر فى خدمة المتعلم ، ولا يبرك من نصحه شيئا

3 — أن يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض قدر الامكان (7) .

4 — أن لا يقبح المعلم فى نظر المتعلم علما آخر غير العلم الذى يدرسه له ؟

5 — أن يقتصر مع المتعلم على قدر فهمه ، فلا يلقى اليه ما لا يبلغه عقله فيدفعه ذلك الى النفور من التعلم .

6 — أن يبدأ مع المتعلم بالجلى الواضح .

7 — أن يعمل المعلم بعلمه ، ليكون قدوة صالحة امام تلميذه .

وينص كذلك على طائفة من الآداب التى يجب أن يتحلى بها التلميذ ، ومنها :

1 — تطهير نفسه وتجريدها من الرذائل .

2 — عدم تعلقه بالشئون الدنيوية الملهية .

3 — التواضع للمعلم وحسن الادب معه .

4 — عدم المجادلة قبل استيفاء العلم .

5 — أن لا يترك طلب علم من العلوم المفيدة ، بل يحصل العلوم المتنوعة بقدر امكانه .

6 — التدرج فى دراسة العلوم ، مع الترتيب والبدء بالاهم فالاهم

7 — أن لا ينتقل من علم الى علم حتى يتقن العلم السابق حسب الترتيب .

8 — أن يعرف الثمرة والفائدة من العلوم التى يتعلمها .

9 — أن يقدم العلم القريب المتناول على البعيد .

10 — أن يقصد من تعلمه تربية نفسه وتجميلها بالفضيلة والتقرب من الله .

— ٭ —

---

5) احياء علوم الدين ، ج 1 ص 26 .
6) المرجع السابق ، ص 5 .
7) يطالب الغزالى بحسن توجيه الفرائز عند المتعلم ، وبتعويده شيئا من الخشونة فى الحياة ، مع اعطائه حظه من اللعب واللهو البرىء ، مع تعويده آداب السلوك والمعاملة .

هذا ولقد قلت في كتابي « الغزالي والتصوف الاسلامي » فيما يتعلق بأسلوبه في التفكير هـــذه العـــــارة :

« والغزالي يتبع الطريق العلمي السليم في بحوثه، فهو اولا يقدم لموضوعه مدخل يمهد الطريق امامه ، ثم هو يستعرض جوانب الموضوع المختلفة ، ويذكر وجهات النظر المتعددة فيه ، كأن يذكر المضار والمنافع، او المحاسن والمساوىء ، ويذكر ادلة المختلفين فيه ، ثم يعقب ذلك بعرض رايه الشخصي ، سواء اوافق راى من سبقه أم خالفه .

وهو يستند في بحثه الى الحس ، والعقل ، والتجربة الذاتية ، والتذوق ، والادراك ، والالهام . واذا كان الغزالي قد آمن بطريق القلب في المدركات الدينية ــ وخاصة عقب تصوفه ــ فانه لم ينكـــر الحقائق العلمية ، وقد فرق بين العلم والدين حين قال ان العلم يستند الى العقل ، والدين ينبعث من القلب ، وفي الوقت نفسه يؤكد انه لا تناقض بين العلم والدين؟

ولقد كان الغزالي في صدر حياته يظن ان العقل هو الملكة العليا ، وانه اذا تحرر وانطلق استطاع ان يدرك الحقائق ويعرف الاصول ، ولذلك كان يؤكد ان التقليد والجمود والتعصب والهوى حواجز تمنع مـــن المعرفة الصحيحة والتفكير الحر .

وعلى الرغم من ان الغزالي قال : « ان الذيـــن اعتقدوا الدين تقليدا وسماعا من ابويهم من غير بحث عن الطرق البرهانية هم المسلمون حقا» فانه كان يكتب بعقل وتفكير ، بدليل اننا نراه في كتابه « احياء علـــوم الدين » يفرق بين ايمان العوام الذي يستند الـــى التقليد فقط ، ويجعل هذا اقل درجات المعرفة ، وايمان المتكلمين ، وهو يعتمد على نوع من الاستدلال ، وهو اعلى من ايمان المقلدين ، وايمان العارفين الـــذي ينهض على المشاهدة المؤدية الى اليقين .

ولكن الغزالي لم يحصر طريق المعرفة في العقل ، بل هو يجعل طرق المعارف ثلاثة انواع ، حسية ، وعقلية ، ودينية . يبدأ الانسان بادراك العالم الظاهري الحسي بالحواس الخمس ، ثم يتحرك عقله وينمو فيدرك به المعقولات ، كالواجبات والجائزات والمستحيلات ، كما يدرك به المعاني الكلية والحقائق العقلية المستترة خلف المحسات .

ومن وراء العقل عين اخرى تدرك المعـــارف الدينية ، ومنها يدرك الانسان الانوار الغيبية ، وهذا يتمثل في النبوة ، ويربط الغزالي هذا بالحديث النبوي الذي يقول : « ما من عبد الا ولقلبه عينـــان ، فاذا اراد الله تعالى بعبد خيرا فتح هاتين العينين يرى بهما ما هو غائب عن بصره »

ومعنى هذا ان الغزالي يقول بحاسة سادسة يمكن ان نسميها « الحاسة الدينية » ، ويرى ان محل هذه الحاسة هو القلب ، وهو حسب تعبيره « اللطيفة الربانية الروحانية التي لها بالقلب الجسماني تعلق »

وهذا القول يذكرنا بما يذهب اليه الفيلسوف « وليم جيمس » (8) في كتابه : « تعدد التجارب الدينية » حيث يرى ان التجارب الدينية تختلف باختلاف الطبائع والامزجة والثقافات والبيئات، لان مرد التجربة الدينية الى « الشعور » فاذا استطاع الانسان ان يغوص في اعماق نفسه انعقدت بينه وبين ربه صلة هي ما نسميها بالتجربة الدينية ، ويصور الانسان هذه التجربة بحسب ما يحسه في نفسه ، ولذلك تختلف التجارب هنـــا وتتعـــدد

وهذا القول يشبه ــ كما عرفنا ــ ما ذهب اليه الغزالي من القول بالحاسة السادسة : « الحاسة الدينية » ، من ناحية الاعتماد على التجربة أو التذوق ، واختلاف التجارب ، وتفاوت المراتب ، وان كان بين الاثنين بعد هذا من الاختلاف ما بين الغزالي المتصوف وجيمس الفيلسوف .

---

8) وليم جيمس : فيلسوف وطبيب امريكي ، ولد سنة 1842 م وتوفي سنة 1910 ، وله كتب منها « مبادىء علم النفس » و « ارادة الاعتقاد » ، وكان لكتابه « احاديث الى المعلمين عن علم النفس » تأثير عميق في اتجاهات التربية ، وقد عني بتوجيه الانظار الى دراسة غرائز الاطفال واستخدامها في التربية . ويرى أن المربي يحتاج ــ عدا المعرفة العلمية ــ الى موهبة ومهارة ولباقة خاصة (الموسوعة العربية الميسرة)

الـــروح وتجربة المـوت

د/أستاذ محمد حماد رحيم العزيز

اذا كانت حياة الانسان على الكوكب الارضى تبدأ باتصال الروح بالجسم وحلولها فيه ، بأمر الله الخالق ، من حين الميلاد المحدد الى حين الاجل المكتوب فان الموت هو انفصالها عنه ، ومغادرتها له ، وابتداؤه حتى عالمه لا خراب لها تواري فى تراب الارض ، وتركها الكوكب الارضى وكل ما هو طبيعى وكونى للالتحاق بالملأ الاعلى (1) فى عالم ما بعد الموت .

فالحياة ، اذن ، هى اتصال الروح بالجسد وحلولها فيه من حين الميلاد المحدد الى حين الاجل المكتوب .

هذه هى الحياة عند تصورها تصورا فلسفيا بالنظر العقلى .

وهكذا هى الحياة كما تبدأ من المهد الى اللحد واقعيا .

والموت انفصال الروح عن الجسد ، ومغادرتها له ، وتوديعها الارض والالتحاق بالملأ الاعلى .

وهذا هو الموت عند تصوره تصورا فلسفيا بالنظر العقلى ايضا .

ولكن حقيقة الحياة والموت علميا (بيولوجيا وطبيا) تختلف تمام الاختلاف عن حقيقة تصورها تصورا فلسفيا .

وحقيقتهما عند الله الخالق تختلف اختلافا كليا عن حقيقتهما كما يعرفهما العلم ، وكما يعرفهما التطور الفلسفى .

والجسد ، كما يبدو ، فان ، يتحلل ، ويذوب بعضه فى التراب ، ويلتحم مع عناصره المادية ، وقد يبقى بعضه كالعظام الصلبة ، والجثث المحنطة (المومياء) فى مأمن من عوامل البلى أطول وقت ممكن .

والروح ، كما هو معلوم ، باقية وخالدة بعد الموت فى الحياة الاخرة .

واذا كانت الروح تبقى وتخلد بعد الموت فان الجسد يبقى كبقايا منحلة وكذرات تتفاعل مع غيرها من ذرات العناصر فى التراب الارضى .

وهناك خلود وخلود

خلود فى النعيم وخلود فى الجحيم .

وفى هذا يقول الله تعالى فى القرآن الكريم :

« كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » (2) .

والموت الذى تذوقه النفس (او الروح) هو انفصالها عن جسدها ، ومغادرتها له وتركها الكوكب الارضى للالتحاق بالملأ الاعلى ، وما يتبع

---

1) الملأ الاعلى : عالم الارواح المجردة (المنجد) — او الرفيق الاعلى — او البرزخ .
2) الاية 185 من سورة آل عمران .

هذا الانفصال من آلام ، واوجاع وتخوفات ، ومعاناة نفسية وجسدية شاقة وصعبة .

اما هي — اى النفس (او الروح) — فلا تموت ابدا خالدة .

فذوق الموت بالنسبة للنفس (الروح) ، لا يعني الموت ، لان الموت فناء ، اما هي فمع الخلود .

والحياة تجربة وجودية انسانية عظيمة على الكوكب الارضي تطبعي استعدادا لامتحان عسير وخطير يتوقف عليه مصير الروح الخالدة بعد الموت يوم البعث والحساب والجزاء اما الى الخلود في النعيم واما في الخلود في الجحيم (3)

وقد يدوم هذا الانفصال بين الروح والنفس ، وجسدها الى ما شاء الله . . الى يوم البعث

وعندما يشاء الله الخالق وبامر الروح مرة ثانية ان تتصل بجسدها وتحل فيه فاذا بتلك العظام البالية ، وتلك الذرات المبعثرة التي ذهبت حيث كتب لها الذهاب تبعث من جديد ، ويعود كما كانت انسانا سويا روحا وجسدا .

وفي هذا يقول الله عز وجل في القرآن الكريم :

« ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون » (4)

« وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ، قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم » (5) .

وعلى ضوء هذه الايات البينات نستطيع ان نلاحظ ان الجسد كمادة خالد الى جانب خلود الروح ، وان كان الخلود بالنسبة له يختلف عن خلود الروح .

فالمادة كتوأم للروح خلقها الله من اجل الروح .
فما دامت الروح خالدة فالمادة خالدة .
واذا ما فنيت الروح فان المادة تفنى
ولكن الروح لا تفنى لان الله خلقها للخلود .

ويعني هذا ان المادة لا تفنى هي الاخرى وان كانت تتحلل وتتحول تحولات كثيرة

فالمادة تتعلق بالروح التي تحركها ، ويؤكد لنا هذا خلود المادة بخلود الروح .

ويوضح لنا هذا ضرورة الاعتناء بدفن جثث الموتى للمحافظة ما امكن على جسدها في اماكن دفنها .

لهذا يجب ان تكون المقابر والمدافن بحق جنات وروضات نظيفة ، فيها اشجار ونباتات ذكية الرائحة ، وازهار عطرة ، وجو نقي ، ومصلى ، وان تكون مرتبة ترتيبا جيدا ، ومسورة بالسوار لئلا تدخلها الحيوانات وغيرها لكي تمثل المعرفة الروحية عند المهتمين بها اصدق تمثيل .

ان المقابر والمدافن لا ينبغي ان تعتبر مجرد اماكن للتخلص من جثث الموتى بل يجب ان تكون اماكن روحية للترحم ، والتأمل ، والعظة والعبرة ، والتضرع الى الله والتعلق بحبه يجد فيه الانسان الالهام والصفاء والسلوى والعزاء والاطمئنان ، وتنقله من حياته الواقعية الى التفكير في الحياة الروحية المثلى بعد الموت .

وقد جبلت الارواح على حب كل جميل وما هو جميل من مكان ، ونبات ، وطعام ، ومعان ، ووجه حسن .

وهي اما تجد راحتها واطمئنانها في الجنات والروضات ، ولهذا تشتاق وتحن اليها .

ولقد قال رسول الله ص . في حديثه الشريف : « اذكروا موتاكم بخير » .

ومن وجوب تذكر الموتى بخير الاعتناء بقبورهم ، وتوابيتهم ، وبدفنهم ، وبمقابرهم ومدافنهم واضرحتهم وبالاحتفالات الدينية التقليدية التي تقام بهذه المناسبة المهمة لوداعهم وداعا روحيا وجسديا معا .

ومنذ القديم اهتم الانسان بدفن جثث الموتى فكان التحنيط عند القدماء وبخاصة عند الفراعنة ،

(3) راجع مقال « الروح والخلود »
(4) الآية 51 من سورة يس .
(5) الآيتان 78 — 79 من سورة يس .

وكانت التوابيت ، وكانت الاضرحة عند من يدفنون موتاهـــم

وتجربة الموت ترتبط بتجربة الحياة .

وعندما نمعن التفكير في الآيات السابقة تجلى لنا الحكمة الالهية من تجربة الحياة واضحة الا وهي تأكيد وحدانية الله الخالق وقدرته المطلقة على الخلق ، والايجاد ، والاحياء والاماتة ، والافناء والبعـــث للذين يجحدون وينكرون ويكفرون .

وماذا يستطيع ان يقول انسان يخرج من القبر حيث كان عظاما رميما نخرة يوم البعث ويصبح انسانا سويا مرة اخرى كما كان في دنـــاه ؟

لا شك انه يقول ما قاله الله سبحانه وتعالى في القـــرآن الكريـــم :

« قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا مـــا وعد الرحمان وصدق المرسلون » (6)

وهل يستمر في عناده وجحوده كما كـــان في الدنيـــا ؟

الجـــواب كـــلا :

الدنيا دنيا ، والآخرة آخرة ، ويوم البعث لا ينفع الاستمرار في العناد والجحود والكفر ، ويومئذ يزداد المؤمنون ايمانا ، ويزداد المعاندون والجاحـــدون والمنكرون والكافرون

ولعل هذه هي الحكمة الالهية في تجربتي الحياة والمـــوت

ولو لم توجد تجربة الحياة لما وجدت تجربـــة المـــوت .

ولو لم توجد تجربة الموت لما وجدت تجربـــة البعـــث .

ولو لم يأمرنا الله باتباع دينه الحنيف لما وجـــد حساب وجزاء يوم البعـــث

الوجود لا نهائي ولا محدود ميتافيزيقيـــــا وفيزيقيا ، كما هو معلوم ، والله الخالق يعلم خلقـــه جميع تجارب الوجود قبل الحياة ، وفي الحياة ، وعند الموت ، وبعد الموت ، وعند البعث والحســـاب والجزاء ، وبعد البعث والحساب والجزاء .

والابديـــة لا نهائيـــة محـــدودة .

وتجربة الحياة تهيء الانسان لحياة الخلـــود اللانهائي اللا محدود ، بعد الموت ، في الابديـــة اللانهائية واللا محدودة .

وتبعا لتداخل ما هو ميتافيزيقي مع ما هـــو فيزيقي في حياة الانسان على الكوكب الارضي يتداخل فيها ايضا ما هو خاص بالحياة مع ما هو خـــاص بالموت تداخلا يجعل الحياة والموت يتعانقان عناقـــا ملتحمـــا قويـــا .

ولا يستطيع الانسان ان يحيا اية لحظة في حياته دون ان يفكر في الموت .

هذا التفكير في الموت ينغص عليه سعادته ، ويعكر له صفو عيشه ، ويؤثر على حريتـــه تأثيـــرا كبيـــرا

ومن النصائح الحكيمة التي تنفع الانسان فـــي حياته الدنيا والاخرة هذا الاثر المشهور :

« اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كأنك تمـــوت غـــدا »

ويعد هذا الاثر المشهور توجيها عميقا جـــدا يضمن توازن حياة الانسان المؤمن المسلم فيمـــا يتعلق بالدنيا والاخرة توازنا منطقيا معقولا دون اي تفريط في اية واحدة منهمـــا .

واذا ما سار الانسان المؤمن المسلم على هديه ، وطرفه تطبيقا حقيقيا في حياته فانه يفلح ويفوز فـــي الدارين ، وتطمئن روحه فيهما معـــا .

ولا يجد الانسان المؤمن المسلم صعوبات كثيرة عند انتقاله من حياة ما قبل الموت الى حياة ما بعده اذا جعل هذه الكلمة توجيهيا حياتيـــا يوميـــا يطبقـــه فـــي كـــل آن .

ان الحياة قبل الموت وبعده تصبح بالنسبة له شيئا عاديا ومألوفا ويكون مستعدا لها في الدارين

---

6) 53 من سورة يس .

(الدنيا والاخرة) استعدادا ايمانيا ودينيا عميقا ، ولا تؤثر عليه تجربة انفصال الروح عن جسدها تأثيرا كبيرا ، ويستطيع التكيف بسهولة عند انتقاله من مكانه الدنيوى على الكوكب الارضى الى مكانه الاخروى فى الملأ الاعلى .

فالحياة دائمة ، مستمرة ، وخالدة قبل الموت وبعده ، وليس الموت الا تجربة انفصال الروح عن جسدها وانتقالها من حياة دنيوية فانية الى حياة اخروية دائمة

وللامام الغزالى العلامة الصوفى الفيلسوف فى هذا المعنى قصيدة (7) رائعة مشهورة فيها هذا البيت :

لا ترعكم هجعة الموت فما
هو الا نقلة من هاهنا

ويمكن أن تعد هذه القصيدة خلاصة تجربة الامام الغزالى الروحية ، الصوفية والفلسفية وهى تجربة وصل بها الى تحقيق غايته فى صفاء روحه ، ولذا فحياته فى الدنيا وفى الاخرة ، قبل الموت او بعده ، هى نفسها ان شاء الله . .

وما الامام الغزالى الا مثال وتجربة من بين كثير من الامثلة والتجارب .

ان وجود الانسان ابدى خالد .

وان حياته أبدية خالدة يقسمها الموت قسمين : ما قبله فى الدنيا وما بعده فى الاخرة .

وعلى حياة ما قبل الموت تتوقف مصير حياة ما بعده .

وهذه هى حكمة الله الخالق فى تجربة الحياة

وفى هذا يقول تعالى فى القرآن الكريم :

« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق ، وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » (8) .

هذه هى الحقيقة التى يصل اليها كل انسان مؤمن مسلم فى كل مكان وزمان .

وهى خلاصة التجربة الروحية الدينية والصوفية والفلسفية العامة للانسانية جمعاء فى كل الامكنة والازمنة من أول انسان الى آخر انسان

— ٥ —

الموت فصل ميتافيزيقى فى مسيرة حياة الانسان الابدية الخالدة

فاذا كان الانسان يخاف الموت فيجب عليه ان يخاف الحياة

واذا كان يحب الحياة فعليه ان يحب الموت ايضا ،

ان حب الحياة لا يختلف فى شىء عن حب الموت

كما ان حب الموت لا يختلف فى شىء ايضا عن حب الحياة

ان حب الموت هو نفسه حب الحياة التى تستمر بعده

ولكل حب غاية

وتتطلب كل غاية العمل والجهاد والتضحية للوصول اليها والتمتع بها ، وهكذا حسب وجهة النظر الغائية يمكن أن نعرف الحب بأنه عمل وجهاد وتضحية لاجل الوصول الى تحقيق اية غاية وخاصة احدى الغايات العليا .

ومنذ بداية الوجود الانسانى ارتبط الحب بالغاية ارتباطا التحاميا متينا

---

(7) مطلع القصيدة :

قل لاخوان رأونى ميتا ... فبكونى ورثوا لى حزنا
اتظنون بانى مبكم ... ليس ذاك الميت والله انا
انا فى الصور وهذا جسدى ... كان بيتى وقميصى زمنا

الى ان يقول :

لا تظنوا الموت موتا انه ... لحياة وهو غايات المنى
هى دى الدار تؤوم مغرق ... فاذا مات طار الوسنا
لا ترعكم هجعة الموت فما ... هو الا نقلة من هاهنا

الى آخر القصيدة .

(8) الآيات 56 ، 57 ، 58 من سورة الذاريات .

وبارتباط الحب بالغاية انتهت حكاية الحب المجرد .

وعليه ، فعندما نقول كلمة احب او نسمعها فاننا نقول او نسمع معها كلمة الغاية وتكون في افكارنا عبارة واضحة هي غاية الحب التي تثير تساؤلات وفضولا في اغلب الاحيان .

والانسان عندما يحب الحياة والموت فانما يحب ذاته !

واذن ، فمحبة حب الانسان للحياة والموت هي حبه لذاته !

ويعني هذا ان الانسان انما يستهدف في حبه غاية ما من الغايات وبخاصة الغايات العليا تاكيد ذاته ، وضمان نعمها ، واجتناب تعذيبها ما امكنه الاجتناب .

فغاية الحب ، اذن كما اصبحت واضحة امام فيومنا هي : التمتع بالنعيم واجتناب عذاب الجحيم !

والانسان هو الروح ، او هو النفس ، او هو الذات .

وعندما نقول : ان الانسان يحب ذاته فانما نقول : ان الروح تحب ذاتها ، او ان النفس تحب ذاتها ، او ان الذات تحب ذاتها او نفسها .

والنفس — كما في قانون اللذة والالم (الليدو) في علم النفس — تميل الى اللذة وتهرب من الالم .

وقد جبلت على هذا منذ بداية الوجود الانساني .

وهي تخضع في حياتها لهذا القانون — في بعض — بصفة لا شعورية ، وبصفة شعورية ، وبصفة وجدانية سامية ، وتطبقه لضمان التمتع بلذات النعيم في الدنيا قبل الموت وفي الاخرة بعده ، واتقاء العذاب فيهما واجتنابه ما امكن !

ويجعل هذا القانون النفسي — قانون اللذة والالم — الانسان (كل انسان) انانيا وغريزيا بصفة لا شعورية ، وبصفة شعورية ، وبصفة وجدانية سامية وعلى درجات متفاوتة ، ولكنهما انانية وغريزية طبيعتان لا خوف منهما .

وعن طريق حب الذات وقانون اللذة والالم يتفتح حب الانسان لكل حب اخر ، ويتصاعد هذا الحب في صفائه وطهارته ، ويسمو ويتسامى حتى يصبح حبا خالصا لله الخالق !

والله الخالق يعرف هذا ، والانسان يعرفه كذلك .

والحياة ما بعد الموت حياة روحية في اسمى معانيها ومفاهيمها ، وهي غاية المطاف بعد جميع مغامرات الانسان المتنوعة في حياته الدنيا قبله ، لانها حياة النعيم المقيم او العذاب الدائم . ولذلك يهتم بها ، ويفكر فيها بدون انقطاع ، ويجتهد ما وسعه الاجتهاد في العمل والجهاد والتضحية للفوز بنعيمها (اللذة) واجتناب عذابها ما امكنه الاجتناب (الهروب من الالم) !

وبالتامل في هذا يتضح لنا ان الروح او النفس انما تطبق قانونها النفسي ، قانون اللذة والالم ، في حياتها قبل الموت للتمتع بلذات النعيم واجتناب الالام والعذاب في الدنيا وللفوز بلذات النعيم واجتناب الجحيم في الاخرة بعده .

وعليه ، فحياة الانسان الروحية او النفسية حسب قانون اللذة والالم في الحياة الدنيا قبل الموت سيرى هي ذاتها في الحياة الاخرة بعد الموت .

— وكيف ؟

والجواب هو :

— ان الانسان يسعى — حسب قانون اللذة والالم — للوصول الى تحقيق عينه في الفوز بلذات النعيم فيعمل ويجاهد ويضحي ، ويسلك سبيل الله ليبلغ مبتغاه .

وحسب اسعى يكون الجزاء في الاخرة بعد الموت .

وفي هذا يقول الله تعالى في القرآن الكريم :

« وان ليس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى ، وان الى ربك المنتهى » (9) .

(9) الايات 39 ، 40 ، 41 ، 42 من سورة النجم .

واذا كان هنا ما يمكن ان تبينه لنا هذه الآيات البينات فهو ان الحيـــاة فى الدنيا حيـــاة سعـــي للفـــوز بالنعيـــم فى الآخـــرة .

وهو سعى يتدرج فى سلوك سبيل الله وصراطه المستقيم كما امرنا الله به فى قرآنه الكريـم الدستور الخالـد لدينـه الحنيـف .

والقرآن الكريم نظم القانون النفسى للذة والالم احسن تنظيم ، وهذب حب الذات ، وربى الانانيـة او النرجسية خير تربية .

والائمة الصوفيون الكبار فى جهادهم النفـــى يجاريون حـب الذات ، اى الانانية والنرجسـة ، متوخين الوصول الى مرتبة الفناء فى حب الله ، لكى يصبح حبا خالصا لله الخالق .

واذا كان لابد ان نستنتج اى استنتاج من هذا فهو ان الانسان روح (نفس) تحيا فى الدنيا قبل الموت، وفى الآخرة بعد الموت . . اما الجسد فما هو الا وعاء كونـى (فيزيقى) لتجليها ليس الا !

— ٣ —

ان اروع ما يقراه الانسان المؤمن المسلم عـن الموت يوجد فى القرآن الكريـم .

والقرآن الكريم كتاب الله الخالق الذى يحيـى ويميت ويبعث من فى القـبور .

فعندما يقرأ الانسان المؤمن المسلم القرآن الكريم يجد آيات كثيرة تتحدث عن الموت وعن الخلود بعده فى الآخـــرة .

وتؤكد لنا هذه الايات البينات ابدية الحياة التى يفصلها الموت فصلين او قسمين : قسـم قبله من الميلاد الى حين اجل الوفاة ، وقسم بعده من حين اجل الوفاة الى ما لا نهاية زمنية والى ما شاء اللـــه !

فالروح عندما يخلقها الله الخالق بامر كينونته كـن — انما يخلقها لتتمتع بالوجود الابدى .

واما تجربتنا الحياة والموت التى نمر بهما فى هذه الدنيا على الكوكب الارضى فما هما الا استعداد للحياة الرائعة السماوية بعد الموت ، وهو استعداد تقصد به ابتلاء الانسان وامتحانه !

وفى هذا يقول الله تعالى فى القرآن الكريم :

« وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم » (10)

وتؤكد لنا هذه الآية الكريمة ان الموت ما هـو الا فاصل ميتافيزيقى غيبى بين حياة ابدية تقضـى الانسان جزءا صغيرا جدا قبله ، أما القسم الكبيـر واللا منتهى فيقضيه بعده فى الخلود الى ما شاء الله

ويقول سبحانه وتعالى بخصوص الابتـــلاء والامتحـــان :

« الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عمـــلا » (11) .

ان تجربة الحياة ، كما يوضحها لنا هذه الآية الكريمة ، ضرورية للحياة الابدية الخالدة بعد الموت لان الفوز بالنعيم المقيم الخالد فى الجنات يرتبـط بحسن العمل فى الحياة الدنيوية ، على الكوكب الارضى، قبلـــه .

والعمل الحسن هو شرط اساسى للنجاح فى هذا الابتلاء الذى يمتحن به الانسان للفوز بالنعيم !

والله الخالق ينظر الى القلوب والعقول والنوايا والاعمال ليرى ايها احسن عملا !

ويقول الله عز وجل فى القرآن الكريم :

« الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسـل الاخرى الى اجل مسمى » (12) .

يوضح لنا هذه الآية ان الموت كالنوم . . .

والذى يحدث فى النوم انما هو انفصال خفيف للروح عن الجسد بينما الذى يحدث عند الموت هـو انفصالهـا التـام عنهـا .

---

(10) الآيـــة 66 من سـورة الحـج .
(11) الآيـــة 2 من ســورة الملـــك .
(12) الآيـــة 42 من ســورة الزمـــر .

ويحدث الانفصال الخفيف للروح عن الجسد في حالة النوم في هدوء ودون ألم.

اما انفصالها التام عن الجسد فيحدث في شتى الحالات تارة بهدوء ودون الم ، وتارات اخرى بعنف وألم !

ونكاد نفهم من هذه الآية الكريمة سرا مهما من اسرار الروح وهو انها ليست عضوا من اعضاء الجسم ، وانما هي ذات توراثية ميتافيزيقية من امر الله الخالق ، وتحت تصرفه الالهي المباشر ، بمعزل عن الجسد الذي لا يستطيع ان يمارس اي شأن من شؤون الوجود والحياة الا بها .

وهي عند التشبيه كالتيار الكهربائي الذي يتصل بواسطة مفتاح خاص بمصباح كهربائي فيضيء اذا وضع المفتاح في اتجاه الاضاءة ، وينطفيء اذا وضع في اتجاه الاطفاء .

وعناصر هذا التشبيه هي :

— التيار الكهربائي يمثل الروح ، وهي من امر الله الخالق .

— والمصباح الكهربائي يمثل الجسد .

— والمفتاح يمثل امر الله الخالق الذي يأمر بالحياة والموت .

— والاضاءة هي اتصال التيار بالمصباح وهو يمثل الحياة

— والانطفاء هو انفصال التيار عن المصباح وهو يمثل الموت

ان الروح من امر الله ، كما هو معلوم ، وسر من اسراره الربانية الخاصة ، وما هذا التشبيه الا مثالا لمحاولة الوصول الى فهم تقريبي نسبي معقول لحقيقة الروح ليس الا

هذه الآية الكريمة التي وضحت لنا ماهية الموت كانفصال الروح عن الجسد كانت تفصح لنا من احد اسرار ماهية الروح مع الاحتفاظ بسرها العظيم لله الخالق وحده

ولكل ماهية الروح يصعب المعرف عليه لانها من روح الله الخالق ، وارادته ، وامره !

والغريب ، بعد هذا ، يسجل :

وفي هذا يقول الله تعالى في القرآن الكريم :

« فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » (13) .

« حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون » (14) .

والموت واحد في حقيقته وماهيته مهما تعددت انواعه او اسبابه .

ويقول شاعر عربي في هذا المعنى :

من لم يمت بالسيف مات بغيره
تعددت الاسباب والموت واحد !

وهو بيت فيه حكمة وشجاعة

وافضل الموت موت جهادا في الله ، وفي سبيله وصراطه المستقيم .

ويقول الله تعالى في هذا في القرآن الكريم :

« وجاهدوا في الله حق جهاده » (15) .

والجهاد انواع :

الجهاد الاصغر .

الجهاد الاكبر (16) .

والجهاد النفسي من اجل صفاء الروح .
ويوضح الآية الكريمة كل انواع الجهاد .
والحياة كلها جهاد !

ولاجل الجهاد لتأكيد الوجود والحياة ، وحفظهما وعمران الكوكب الارضي ، ومعرفة الكواكب الاخرى وعمرانها ، والاتصال مع المجرات الاخرى ، والاستعداد للحياة الابدية الخالدة وتصفية الروح ، وتطهيرها ، وتزكيتها خلق الله الانسان !

(13) الآية 34 من سورة الاعراف .
(14) الآية 61 من سورة الانعام .
(15) الآية 78 من سورة الحج .
(16) اشارة الى الحديث النبوي : « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر » .

وما دام الموت امرا واقعا لا مفر منه فان المنطق يفرض على الانسان المؤمن المسلم ان يستعد دائما لحياة الخلود الابدي بعده ليحظى ويفوز بالنعيم المقيم في الجنان .

ومن فاز بالنعيم المقيم في الجنان فانه لن يذوق الموت ابدا

وفي هذا يقول الله تعالى في القرآن الكريم :

« لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى » (17)

وخير ما ينبغي ان يتعظ به الانسان حديث رسول الله ص :

« كن في الدنيا كانك غريب ، او عابر سبيل ، وعد نفسك في اهل القبور » .

واخيرا امام عظمة القرآن الكريم ، كلام الله الخالق الازلي السرمدي ، تقف كل فلسفة ويسكت كل كلام .

« وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم » (18) .

هذا هو ما يمكن ان يكتبه انسان لم يجرب الموت بعد من الروح وتجربة الصوت :

*

ولكن الموت له اهمية عظيمة وجدرية اخرى — او يمكن ان تكون له — بالنسبة لمفهومنا الشامل لجغرافية الوجود اللا نهائي اللا محدود الذي يصعب علينا تصوره . .

فالموت كفاصل ميتافيزيقي (غيبي) يقسم حياة الانسان قسمين : حياة الدنيا على الكوكب الارضي قبله ، وحياة الآخرة بعده تختلف كل منهما عن الاخرى اختلافا تاما

وهو تبعا لهذا التقسيم لحياة الانسان يقسم — او يمكن ان يقسم — الوجود اللا نهائي اللا محدود قسمين ايضا :

— القسم الاول وجود ما قبل الموت .

— والقسم الثاني وجود ما بعد الموت .

ويشمل القسم الاول هذا الكون الطبيعي (الفيزيقي) اللا نهائي اللا محدود والمقدر بملايين الملايين من المجرات ، والمجموعات الشمسية ، والكواكب ، والنجوم وما فيها من مخلوقات وموجودات.

ويمكن ان يشمل القسم الثاني ما يشمله القسم الاول او يختلف مشموله عنه ليلائم حياة ما بعد الموت .

وهما يتواجدان مثلما تتواجد حياة ما قبل الموت مع حياة ما بعده .

ويوجد بين القسمين فاصل ميتافيزيقي مثاله برزخ يمنع تلاقيهما ، ولكنه لا يعيق تواصلهما وتواجدهما معا في الوجود اللا نهائي اللا محدود الواحد والشامل بصورة متوازية تجسيديا ومتوازية متداخلة روحيا .

واذا صح هذا التصور فاننا نجد انفسنا امام تفسير وجودي وكوني عقلي معقول للسماوات السبع والارضين السبع كما ذكرها الله الخالق في القرآن الكريم :

« الله الذي خلق سبع سماوات ومن الارض مثلهن » (19) .

« الذي خلق سبع سماوات طباقا » (20) .

وفي ضوء هذا التفسير العقلي التخميني والظني للسماوات السبع ، والارضين السبع نستطيع ان نفهم ان كل سماء انما هي عبارة عن كون ، وان كل ارض انما هي عبارة عن كون ايضا.

ويعني هذا ان حياة ما قبل الموت تكون في الارض وكونها اي في كل ارض من الارضين السبع واكوانها .

كما ان حياة ما بعد الموت تكون في السماء وكونها ، اي في كل سماء من السماوات السبع واكوانها

وبين السماوات السبع والارضين السبع فاصل ميتافيزيقي ، برزخ ، او عدة فواصل ميتافيزيقية

(17) الآية 56 من سورة الدخان .
(18) الآية 54 من سورة الحج .
(19) الآية 12 من سورة الطلاق .
(20) الآية 3 من سورة الملك .

ـ عدة برازخ ـ لمنع المخلوقات التى لم تجرب الموت فى الحياة الدنيا على كل أرض من الارضين السبع من النفوذ الى أية سماء من السماوات السبع ، ولمنع المخلوقات التى جربت الموت وانتقلت الى الحياة الاخرة من النفوذ من أية سماء من السماوات السبع الى اية أرض من الارضين السبع

ولعل فى هذا يقول الله تعالى فى القرآن الكريم :
« يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السماوات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان » (21) .

والتعبير الالهى « اقطار السماوات والارض » بديع ، وعميق ، وبعيد الامتداد وعظيم !

ويتوضح لنا هذه الآية الكريمة ان اى مخلوق له روح واعية كالانسان لا يستطيع ان ينفذ وينتقل من اية أرض من الارضين السبع الى اية سماء من السماوات السبع نفوذا ، أو انتقالا روحيا وجسميا معا الا باذن الله الخالق كما حدث لرسل الله سادتنا ادريس وعيسى ومحمد فى قصة الاسراء والمعراج عليهم جميعا الصلوات والسلام .

والعكس بالعكس لسما ، فهل السماء لا يستطيعون ان ينفذوا ، او ينتقلوا ، من اية سماء من السماوات السبع نفوذا ، او انتقالا ، روحيا بالجسيد الميتافيزيقى الخاص بحياة ما بعد الموت الى اية ارض من الارضين السبع الا باذن الله .

والملائكة الكرام خير مثال على هذا ، وفى اولهم سيدنا جبريل عليه السلام .

وان شرط الانتقال ، كما هو معلوم من الارضين السبع الى السماوات السبع هو الموت !

ولعل الموت ، ان صح هذا التصور العقلى ، يكون عاملا مهما فى تغيير مفاهيمنا لجغرافية الوجود اللا نهائى اللا محدود !

وطبقا لما ذكره الله الخالق فى القرآن الكريم يكون وضع السماوات السبع عاليا ، وراقيا وطيبا بالنسبة لوضع الارضين السبع .

وتكون السماء التى فيها سدرة المنتهى اعلى السماوات السبع كلها !

---

(21) الآية 33 من سورة الرحمن .

وبعد ، ما هذا التصور العقلى الا محاولة اجتهادية كمثل لفهم حقيقة السموات السبع والارضين السبع على ضوء تجربة الموت كتفاصيل ميتافيزيقى يقسم الوجود اللا نهائى اللا محدود قسمين هما : وجود ما قبل الموت ، ووجود ما بعد الموت يصلح كل منهما لاختبار كل حياة خاصة به من الحياتين

وفى ضوء هذا التصور العقلى نستطيع ان نفهم ان تجربة الموت لم يردها الله الخالق تعذيبا للانسان وانما اراد بها تعليما ، وتهذيبا ، وامتحانا ، وسببا للعلم ووسيلة للمعرفة الراقية .

والانسان ، كما اراد له الله الخالق ، يتوصل الى العلم والمعرفة توصلا ذاتيا بواسطة ما يمر به من تجارب شخصية متنوعة ، ومتعددة ، ومستمرة ، ومتواصلة على مر العصور يستكمل بها مفاهيمه ومكتسباته النامية والصاعدة والمتجددة دائما .

ولو كان اتصال الانسان بالسماوات يمكن اجراؤه بدون موت لسهل علينا فهم كثير من القضايا الميتافزيقية (الغيبية) التى تعتبر اليوم مشاكل يصعب علينا ايجاد حلولها اليوم .

وفى مقدمة القضايا الميتافيزيقية التى يصعب علينا اليوم ايجاد حلولها : الروح ، والوجود ، والكون ، والسماوات السبع ، والارضين السبع وغيرها .

وفى خضم السموات وظلمات المجهول يقاصر العقل الانسانى مقامراته الجسور لارواء فضول المعرفة الغريزى فيه غير هياب اى جدار كيفما كان .

ان واجب العقل هو الاكتشاف المستمر لمعالم المعرفة .

ويساعد هذا الاكتشاف على تفسير كثير من الايات القرآنية ، وعلى توضيح العديد من المفاهيم العلمية او تصحيحها .

والعلم الحق لله الخالق العليم الخبير بمن وبما خلق !

حاضر الاسلام ومستقبله

للأستاذ عبد القادر المغربي

ان المريض قد يحسن وصف مرضه وألمه ، لكنه ليس من السهل عليه وصف الدواء الشافي لمرضه ، لان وصف الدواء يحتاج الى تطاسي خبير وهذا هو الذي يعز وجوده الآن ، وحتى اذا وجد فهو بعيد بظروف وملابسات تجعله يصف الدواء في حذر واحتياط وذلك لعدة اسباب : منها ان المريض قد طال وتشعب وربما ان المحيطين بالمريض يعوقونه دون تناول الدواء وربما الشك الذي يساور المريض في جدوى الدواء الذي يوصف له ، لان المريض ينظر الى الدواء في رعب وخداع في تناوله .

واذا كانت الادواء الجسمانية تحتاج الى اطباء ذوي اختصاصات مختلفة ، ومهارات متنوعة ، وفي نفس الوقت تحتاج كل مجموعة من البشر الى طبيب بل الى اطباء . .

اذا كان هذا بالنسبة للامراض الجسمية فلا شك ان الامراض العقائدية والمعنوية والروحية تحتاج الى اختصاصات اكثر والى معلومات اوفر

ومما لا شك ان الازمات التي مرت بالمسلمين كان من طبيعتها ان تخلف جراحا عميقة ، وان تترك رواسبا لتجتر عبر العصور ، وان ازمات لم تكن في ازمنة محدودة ، ولا في امكنة معينة ، بل كانت تضربت سنابلها في غير انقطاع هنا وهناك . . .

وبينما احتملت الاديان هذه الضربات والازمات فهي في الواقع من مصدر واحد وهو الحق على الاسلام ، فهي لا تختلف الا في اللون والشكل ولا تختلف الا في الجوهر والجوهر .

والاسلام اليوم لا يزال الباعث الرئيسي لكل حركة ، والمحرك لكل ازمات والضربات ، والذي يستفزهم هو انه كيف استطاع هذا الجسم المتحن ان يحتفظ بنوع من الحياة ومقدار من المناعة ؟ ! !

لكن بالرغم من ذلك على السؤال المطروح :

« ما هو موقف شباب المسلمين من الاسلام ؟ »

شباب المسلمين :

ان جل شباب المسلمين اليوم في حيرة جارفة ، وعدد مهم تساؤل : أيعود للدين بعد الذي مضى عليه من زمان ؟ وبعدما تعرض له من شبهات ومطاعن ؟ أليس الدين امرا فرديا ومزاجا شخصيا وشعورا عاطفيا لا اقل ولا اكثر ؟ !

ان علم فرويد : ان الانسانية مرت بمراحل ثلاث : الخرافة ، والدين ، والعلم ، أليست هذه مرحلة العلم ؟

ولماذا الناس يسيرون مع العلم المحض ، وتحاول نحن السير مع الدين ؟ ! وهما في نظرهم قد تقدموا ووصلوا الى ما وصلوا اليه ، ان تحكموا فينا وفي معاشرنا . . . ! !

امع كل هذا وبعد كل هذا ؟ نصغى لمن يرفع عقيرته بالعودة الى الدين . . . ؟ !

اليس الدين هو الذى اباح الرق والاقطاع والراسمالية ؟ اليس هو الذى يجعل من بين عقوباته القطع والرجم والجلد ؟ ويجعل من المرأة حبيسة المنزل ؟ اليس هو الذى يجعل درجات الناس بعضهم فوق بعض ، ويترك طائفة منهم يعيشون على الاحسان ، ولا يملك فيه العمال ضمانات العيش الكريم . . . ؟ !

اليس هو النظام الذى ينادى بهذا واكثر منه ؟ اليس فى الانتساب اليه ما يجعلنا نشعر بوخزات هذا كله ؟ فاحرى ان نتحمس له ، أو ندافع عنه . . . ؟ !

ثم هم يقولون : كيف يمكن لنظام الاسلام ان يقف امام الانظمة الحديثة التى اثبتت جدارتها ، واثبتت تفوقها ؟ ؟ !

وهكذا يمر باذهان هذا النوع من الخلف شريط طويل من الشكوك والاستفهامات . . . ؟

واذا ما بحثنا عن هذا الذي يرددونه من اين اتى ؟ ومن اين مصدره ؟ وكيف تركزت فى بعض عقول مثقفينا هذه الاستفهامات والاستنكارات . . . ؟

اذا ما بحثنا عن ذلك نجد انه لابد من الرجوع الى فترات سابقة ، حيث اخذت قوة الشر تعمل بمختلف وسائلها ، واغتنمت ضعف المسلمين وتفرق كلمتهم ، فكانت الحروب الصليبية . . . وبعدها تنبه عالم الغرب ، لكن عالم المسلمين كان على العكس من ذلك ، وبالرغم من بعض اليقظات الخفيفة فان عالم المسلمين استلذ النوم . . . واتاح ذلك للاحقاد الصليبية أن تصوره لمعتنقيها فى ابشع صوره .

وبقدر ما كانت حالة المسلمين تساعد على هذا التصور البشع كانت الاحقاد الصليبية تزداد تمكنا من قلوب المسيحيين عبر الاجيال . . . فنفى الغرب عن المسلمين كل تقدم حضارى واشعاع فكرى ، بالرغم من انه صنع من هذا الذى ينكره سلما ليرقى عليه ، بل انتقل بسبب هذا الذى يجحده ، من ظلمات الجهل الى نور العلم . .

وبعد النهضة الاوربية كانت حالة المسلمين قد تقاعست وخرجت اوربا لاستعمار بلاد الاسلام . . .

ولم يكن الغزو غزو بلاد فحسب وانما كان بعد ذلك واكثر من ذلك غزو عقول وافكار . .

واخذ ابناء الغرب يتعرفون على لغات الشرق ، وعلى تراثه وعوائده وتقاليده . . . واتاح لهم ذلك امكانية التزوير والدس والتشويه وبث السموم . . . واصبح المخطط الاستعمارى هو : تقديم الاسلام والمسلمين فى صورة مشوهة قزمية . . . وتقديم الغرب فى حلة قشيبة وعملاقة ، ومبدعة ومخترعة ومفكرة . فالافكار التحررية جاءت من الغرب ، والعلم من الغرب . . وكل نافع من الغرب . . ولترسيخ هذه الصورة فى الاذهان اشرف الاستعمار على التعليم والاعلام ، وجندت المدارس الاستشراقية لقد ، واتباعها للتأليف والكتابة والدرس والتغلغل فى اعماق المسلمين ، واخذت عملية حقن شباب الاسلام بسموم ومخدرات الاستعمار تنفذ بكثير من الدقة والجدية . . وبالتخطيط الماكر . . . فبثت الشكوك والشبهات فى كل ما هو اصيل . . . او له علاقة بالمقومات الاساسية لامة المسلمين . .

وتسلطت الحركات المعادية للاسلام فى زرع الشكوك والبلبلة فى نفوس المسلمين عن طريق التعليم والاعلام والتبشير . . .

ولم يكن لهذا النشاط المعادى ما يقابله ، بل كان المجال فسيحا امام الافكار المعادية للاسلام وكان الفراغ الفكرى الهائل ينتظر ان يملأه الاستعمار . بحقد ودهاء ومكر . .

وشهد عالم المسلمين جماعة من مثقفى ابنائه يجندون انفسهم واقلامهم للنيل من الاسلام ، ولتهوين امر العقيدة على المسلم ، فكتبوا فى الجرائد والمجلات . . والفوا الكتب . . وبعض هؤلاء كان يشغل مراكز حيوية فى ميدان التعليم والثقافة والادب . .

فى هذا الوضع فتح جيل من الشباب عينه فوجد نفسه امام شبهات تختلف ، وامام تزوير يلفق ، وفراغ لا يسمح له بغير البلبلة والحيرة . . . وهو فى نفس الوقت امام غرب قوى يخترع ويسيطر . . . وامام امة اسلامية ممزقة وضعيفة ومستعمرة وهو منها واليها . . . وكان جديرا به أن يستبطن نفسه وان يقوم بعملية نقد ذاتى . . . ولكنه للاسف لم يعط فسحة لذلك بل اخذ على غرة ، فتقبل الشكوك والالحاد ، فشك فى كل شىء : فى دينه ، وفى

انتمائه ، وفى لغته ، وفى جميع مقوماته ، ولولا تلك الجذوة المتوارثة التى تلقتها طائفة مؤمنة عن مثلها ، ولولا ذلكم النور الذى يشع فى قلوب المؤمنين ، ذلكم النور الذى اوجد فئة مؤمنة حملت مشعل الهداية واخذت تعمل من اجل دحض الشبهات وتنادى بالرجوع الى ما فى كتاب الله سبحانه من هدى وارشاد والى ما فيه من حلول لمشاكل هذه الامة الضعيفة الممزقة . . . والى سنة رسوله (ص)

لولا بقية من المؤمنين الداعين الى هدى الله سبحانه لكان موقع الاسلام اليوم يبعث على الالم والحسرة اكثر مما هو عليه الان . . . وما دام جل مثقفى عالم المسلمين وخصوصا الذين بيدهم مقاليد الامور يعيشون هذه الحيرة . وهذا الارتباك ولا يزالون مستعدين لقبول شبهات الغرب ومثبطاته . . . ما دام واقع المسلمين هكذا فان امد التيه قد يطول . . . وهذا الواقع المر مما يجعل رسالة الفئة المسلمة الواعية صعبة ومفقدة ، وتحتاج الى صبر واناة طويلين .

ومن الحزم الا تتكل هذه الفئة الواعية الداعية على ما فى طبيعة الاسلام من مقاومة ، لان هذه المقاومة قد تضعف مع الزمن ، لانه كلما تمكن الانحراف من النفوس كلما بعدت الشقة بين المسلمين والاسلام ويبقى بينهم الاسلام مجرد اغنية عذبة يرددونها واماني حلوة ينتظرون تحقيقها . . . ولذلك لابد من تخطيط محكم ودراسة واعية بصيرة مصححة . . .

واذا كان الاسلام بطبيعته له مغناطيسيته وجاذبيته فهو يحتاج الى من يكشف عن ذلك ، ويحتاج الى من يوضح اسراره ويزيل عنه الصدأ الذى علق به ، او على الاصح بمعتنقيه . وقد نبه الله سبحانه وتعالى الى ذلك بقوله : « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . . . »

ومعنى هذا : اذا كان الاسلام فى عمقه يحمل عناصر البقاء والاستمرار . . . فهو يحتاج الى الفئة المؤمنة التى تبلور اسراره وتعاليمه يحتاج الى الفئة الهادية المرشدة الرائدة .

العقائدية الاسلامية :

ان عقائد الاسلام هى عقائد تلائم انسانية الانسان ، ولذلك فهى جاءت لاسعاده على وجه هذه الارض ، وتحمل فى اعماقها علاج مشاكله وسر خلاصه . . .

ومن العقائد الاسلامية يكون الانطلاق سواء فى ميدان الدعوة او فى ميدان واقع الحياة ، وسنرى ان العقيدة الاسلامية جمعت الخير كله واعطت بذوره واصوله . . .

وتكفل العقيدة الاسلامية للانسان اسس الاستقرار النفسى والحضارى وهى تعتبر فى الانسان كرامته وجدارته .

ومن اسس العقيدة :

التوحيد ، والمساواة ، والعدل ، والحرية ، والمعرفة . فالاسلام دين توحيد يشترط الايمان بالله وحده . وهذا الايمان هو القاعدة التى يحصل بها التوازن بين الجانب الروحى فى الانسان والجانب المادى فيه .

ومن الايمان بالله وحده يكون المنطلق لتحقق كل من : المساواة والعدل ، والحرية ، والمعرفة .

فالانسان فى الاسلام يتحمل الامانة ، والامانة هى مسؤولية وتكليف وفى اطار المسؤولية والتكليف تكون الحرية لانه لا مسؤولية بدون حرية واختيار .

فالاسلام يحرر الانسان من جميع الاوهام والخزعبلات ، كما يحرره من طغيان الانسان كيفما كان هذا الانسان ، ويحرره من جبروت الطغاة ومن الظلم بالوانه واشكاله ، ويحرره من عبودية المال والجاه ومن عبودية المادة . . . ويجعل شعار المسلم « الله اكبر » ويربط بينه وبين الله الذى هو سبحانه القوة المهيمنة التى هى بعيدة ان يكون لها غرض من افعال البشر ، وهى قوة جبارة رحيمة شرعت للبشر ليسعدوا فيما بينهم من غير ان تكون هناك غرض فردى او جماعى او سلالى . . . كما هو الشأن فى افعال البشر وفى تشريعاتهم

ويجب فى الاسلام الاعتقاد بالمساواة باعتبارها روح النظام الاجتماعى . . . فالكل امام الله سواء ، وامام القانون سواء ، لا طبقية ولا عنصرية ، ولا طائفية ولا نخبوية . . . لا لون ولا جنس . . . والكل كاسنان المشط ، ولا فضل الا بالعمل والتقوى اى بالمزيد من فعل الخير فى سبيل المجتمع ، فحتى هذا القدر من الفضل الزائد مصدره آت من التفانى فى خدمة المصلحة الانسانية . .

والمساواة في الاسلام من اهم المبادىء التي طبقت ، والتي حرص الاسلام على تطبيقها تطبيقا دقيقا . . . وقولة عمر بن الخطاب المشهورة « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحرارا » تبين الى أى مدى كان يحرص الاسلام على تطبيق المساواة . . . تلك القولة التي قالها عمر قبل جاك روسو صاحب « العقد الاجتماعى » باكثر من عشرة قرون - ذلك العقد الذى يدعون أنه حرر الانسان الغربى وجعله يشعر بنوع من المساواة . . . انها في منتصف القرن الثامن عشر لم يكن في اوروبا من يحلم المساواة حتى مجرد الحلم ! ! فاخرى أن يعتنقها في واقع الحياة

ومن عقائد المسلم وجوب العدل ، في الاسلام شيء مقدس ولذلك كان الظلم محرما تحريما قاطعا لا هوادة فيه . . . وفي الحديث القدسي المشهور الذى رواه ابو ذر رضي الله عنه « ياعبادى اني حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا . . . الحديث . وقوله عليه الصلاة والسلام : « الظلم ظلمات يوم القيامة » .

فالعدل في الاسلام من الاسس التى لا يمكن الاخلال بها ، ومبدا العدل في الاسلام لا يعرف نوعا من البشر دون آخرين ، فهو مبدأ عام ومطلق لا يميز بين دين ودين ، ولا بين جنس وجنس . . . وهذه العدالة المطلقة لا توجد في غير الاسلام

اما مبدأ التعلم والتعليم والمعرفة وهو من المبادىء التي حث عليها الاسلام ولذلك كان أول اتصال تم بين الارض والسماء بدأ بقوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم . . . » وقال تعالى : « الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان . . . » وفي أول الحصة قال تعالى : « وعلم آدم الاسماء كلها . . . » وفي آية اخرى « وقل رب زدني علما » وقال تعالى : « انما يخشى الله من عباده العلماء » وقال الرسول الكريم : « اطلبوا العلم ولو بالصين » . ومن أجل هذا اصبح العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة

ثم لننظر كيف انتشر تعلم الكتابة بين الصحابة ثم بين ابنائهم . . . والاسلام الذى حمل الانسان الامانة جعله مسؤولا عن هذا كله ، وهذه المسؤولية تقتضى منه الصدق في الرجوع الى الله ، لان المسؤولية التى تعهد بحملها تفرض عليه أن يستمد من الله التوجيه والارشاد في كل احواله

وكلما حاول الانسان ان يحيد عن توجيه خالقه كلما ازدادت محنته وتعددت مشاكله . . .

ثم جرب الانسان وجرب ، ولكنه لم يخرج من تجاربه الا بالشقاء . . . بينما تعددت مظاهر البهرجة والاشكال البراقة لان توجيه البشر للبشر لا يستوعب عمق الانسان ، ولا يوازن في تقديراته بين المادة والروح

الاسلام يعالج الانسانية في أعماقها البعيدة وذلك لما تتضمنه عقائده من سمو ، وانطلاق ، وشمولية ، وأسس حضارية ، وملاءمة انسانية ، وعبقرية في الاستيعاب ، ومرونة في التكليف .

الاسلام الذى هو بهذه المثابة من السمو يتضمن كل مقومات الحضارة الخالدة ، وهو في نفس الوقت يستفيد من كل اعطاءات ، ولذلك كانت له قوة البث الحضارى ، وقوة الصمود ، وهو يشمل كل خير لصالح الانسان . . . فالاسلام هو نسيج وحده ، ولا تزداد افكاره ومبادئه على مر الازمان والعصور الا نصاعة وتالقا ، وصمودا وصعودا .

واذا كان الاسلام على هذه الدرجة الرفيعة من الصلاحية للانسانية فما موقعه في الحياة المعاصرة بما نرى ؟ وما موقعه بين التيارات المذهبية ؟ والى اى مدى استطاع ان يتغلغل بين المنتسبين له . . . ؟ والى أى مدى كان انتشاره وتأثير مبدئه . . . ؟

لعله ليس من السهل الاجابة عن هذه الاسئلة اجابة دقيقة في فترة وجيزة وفي صفحات معدودة ، وذلك لان الاجابة عن هذه الاسئلة تحتاج الى معرفة دقيقة بالعصر الذى نعيشه ، وتحتاج الى معرفة ماهية التكوين الفكرى للمجتمع الانسانى في العصر الحاضر وتحتاج كذلك الى وضع اصابع اليد على مصادر ومنابع الايديولوجيات التى تتحكم في الطبقة القوية التى تدعى زعامة وقيادة هذا المجتمع الانسانى . . . ولعل وضع كل هذا على بساط البحث والشرح ثم التعرف على الظروف والملابسات ، وعلى عناصر التضييه بكلياتها وجزئياتها يحتاج الى وقت طويل

لكن مع كل ذلك فلا مفر من الاجابة الموجزة .

ان الاسلام كعقائدية وكمبادىء شيء ، اما كتطبيق ، فشيء آخر ، وقد لاحظ هذا كثير من الدارسين للاسلام ومنهم صاحب كتاب « المجتمع الاسلامي والتيارات المعاصرة » الذي يقول : « ان المشكلة ليست في تلقين الفرد عقيدة يؤمن بها (فعقيدتنا باقية) بل المشكلة هي في اعادة الفعالية الى هذه العقيدة ! والمبادىء هي الاطارات العقلية للعمل . . » الى ان يقول : « يجب ان نحسب لكل ذلك حسابه ونحن ندرس تفاعلات الافكار المعاصرة ، والقيم الاجتماعية الحديثة مع المجتمع الاسلامي لنرسم في ضوء ذلك الخطوط الكبرى لمنهاج رشيد يستهدف بعث الاسلام في عالمه المترامي الاطراف قويا فعالا من جديد » .

وهنا نرى ان بعض الدارسين لمشاكل المسلمين، ولما هو عليه الاسلام اليوم ، يشغلهم هذه النقطة بالذات وهي : كيفية الوصول الى تطبيق مبادىء الاسلام وعقائده ! ويحق لهذا الموضوع ان يأخذ حيزا كبيرا من التفكير وان يشغل البال لان اسلام الانبياء والكتب والخرافات المرصوفة ، والرفوف المملوءة بالاسنة والشفاء . . . سوف لا يغير شيئا من واقع الامة الاسلامية .

يضعنا هذا المقطع من الكتاب السالف الذكر ان الاسلام من اجل ان يصبح مسايرا لواقع المسلمين لابد لذلك من رسم خطوط كبرى لمنهاج رشيد يستهدف بعث الاسلام في النفوس

وما دامت هذه الخطوط الكبرى للمنهاج الرشيد لم تخطط بعد او لم تخطط بعد بالوضوح اللازم ، وبعقلية منسجمة . . ما دام ذلك لم يحصل فان واقع المسلمين لا يتطابق مع واقع الاسلام .

وكل الذي نراه اليوم ، هو ما نستطيع ان نسميه موجة تدعو الى دراسة الاسلام دراسة عميقة ، « تدعو » الى دراسته دراسة علمية رزينة بعيدة عن الاجتهاد والجمود والعناد . .

هذا واقع فعلا في حياة مسلمي اليوم . الا ان الدعوة الى هذا شيء ، وتطبيق الاسلام شيء آخر . . . فهناك مجلات ، وجرائد ، ودوريات عديدة خصصت صفحاتها للدعوة الى الاسلام والى دراسته كنظم لحياة البشرية : اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وحضاريا . .

وهناك كتب كثيرة في هذا الموضوع ، ومنها ما هو عميق في تحليلاته ودراسته واستنتاجاته ، وبالاضافة الى ذلك حركة بعث للتراث الاسلامي . وهناك حركة تدعو الى توحيد المسلمين وتكتلهم . . . وهناك الدعوة الى عقد مؤتمرات اسلامية والى ايقاظ الشعور بالوحدة الاسلامية بين جميع مسلمي العالم . . من اجل كل ذلك تعقد الندوات والمؤتمرات على مختلف المستويات . .

وهذه الموجة الداعية الى دراسة الاسلام وبعثه والى جعله واقعا في حياة المسلمين ، بل وفي حياة البشر جميعا . . . هذه الموجة لم تثمر بعد ثمرتها المرجوة ، الا انها ماضية في طريقها بالرغم مما يعيق طريقها من صعوبات ، وامراض وحدود . . . هي ماضية تشق طريقها الصعب . . . ويبقى الا يغيب عن اذهاننا ما يضعه الثالوث الهدام في طريق هذه الصيحة الداعية الى الاسلام من عراقيل ومثبطات وهذا مما يزيد في صعوبة هذه الدعوة ، ومما الاعراض والصدود داخل بلاد المسلمين : الا استجابة لمفعول مخدر تلك المثبطات .

وهذه الدعوة تلاقي صعوبات اخرى ، وذلك بسبب وجود انظمة معادية لها داخل البلاد الاسلامية تلك الانظمة المستوحاة من مذاهب اجنبية وافكار مستوردة . . . وبالرغم من فشل هذه الانظمة على برمتها لا يزال مخدع بعض المغرورين في عالمنا . ! ومما دام هذا البرق الظاهري موجودا فمن الصعب ان يلتفت الاغرار الى ما فيه الخير العميق ، والنفع العميم لهم وللانسانية جمعاء .

ومما دام هؤلاء مشبثين بالافكار التي تتصدى للاسلام ومصرين على تطبيقها في عالم المسلمين ، فان امد الشيء قد يطول .

واذا كان الوضع هكذا فما موقع الاسلام من التيارات الفكرية التي تتصدى له اليوم . . . ؟

ان الافكار التي تتصدى للاسلام اليوم هي افكار بشرية وضعها البشر ليسعدوا بها حسب زعمهم !! الا ان اهم ما يوقع الفكر البشري في الخطأ هو النظرة الهامشية للحياة أو النظرة الجانبية السطحية والمحدودة ومنذ وجد الانسان على ظهر هذا الكوكب وهو يتلمس الطريق لضمان السعادة لنفسه . . .

وهذه النظرة السطحية تجعله ضيق الافق ، فتارة يبدو له انه اتفه شيء في هذا الوجود ، فيسرع بالخضوع للاحجار والمياه وحتى للحشرات . . . ! وحينا يبدو له انه هو المهيمن وحده على الكون ، وانه لا قدرة تقهره وتحد من جبروته فيدعي الالوهية والربوبية ، ويحس وينحر . . . ! وتارة اخرى يبدو له انه عابر سبيل ، وانه عليه ان يغتنم من لذات الحياة بقدر ما يستطيع وان لا يبالي بالاخرة واخرياتها . لان الحياة في نظره ماضية ولن تعود . . . ! واذا مضت فقد خسر كل شيء . . . ! ! الى غير ذلك من المذاهب والاراء . .

وهكذا يكون الانسان نظرة خاطئة عن وجوده في هذه الحياة . . . ثم يركز على نظرة الخاطيء ، ويقعد القواعد ويقنن القوانين ، ويخطط التخصصات . ويحسب انه يحسن صنعا . . ويعيب عنه ان اول خطوة خاطئة تخطو تضل . .

والغريب في هذه الحياة انه بعد التمادي في الخطأ قد يشعر الانسان بقصوره بعمله ، ولكن عنده يأبى عليه الا التمادي في الخطأ ، بل يأبى عليه الا التعصب له ، والدعوة اليه . . . والى هذا يشير قول الله عز وجل حكاية عن الضالين « انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون » وقوله تعالى : « كل حزب بما لديهم فرحون » واذا ما تنبه راشد منهم سفيههم . . . وهكذا تتزلق البشرية نحو مهاوي الضلال في غير شعور ، او في شعور مع لا مبالاة وهذا من اعظم ما يحيق بالانسان من خطر . . . وبهذا ثبت الافكار في مزالق الضلال ، وتغذي بالعصبية والعناد ، وتدفع المدفوعين بالرجع الخاسر بسلاحهم الدم ، ويجندون مختلف الطاقات للدفاع عن الضلال والتشبث به ، واحلاله محل الهداية . . !!

اما نظرة الاسلام الى الحياة والكون فهي تخالف تلك النظرات الهامشية والجانبية ، وتنظر الى الانسان واحدا نظرة شمولية تحتضنها وتداوله بالقسط ، وتكريم الانسان ، ومسؤولية الانسان - لا ذلة ولا جبروت ، ولا طغيان ولا رهبانية ، لا فجور ولا فسوق . . . بل شعور يقظ يعرف ما له وما عليه ، عدالة ورحمة ، معهما كرامة وجدارة .

والانسان في الاسلام يعتقد ان هذه النظرة الشمولية التي نظر بها على هذه الارض هي هبة من الله اليه ، وما كان ليهتدي اليها لولا ان هداه الله ، ولذلك فالخضوع لصاحب هذا الفضل وحده ، لا الحجر ولا للشجر ، ولا لذهب ولا للبشر . . وصاحب هذا الفضل هو الهادي المهيمن يحاسب ويجازي ، ان خيرا فخير وان شرا فشر . . . « وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى » .

وعليه فالخضوع في الاسلام يكون لله وحده لا شريك له ، وهذا الخضوع يعطي قوة معنوية يستمدها المخلوق من خالقه .

وهذه النظرة الشمولية الى الكون والحياة والانسان هي سر خلود الاسلام ، فهي لا تطغى الانسان ، ولا تهدر كرامته ، وهي في نفس الوقت لا تترك الانسان سدى ، بل تنظم حياته على قاعدة من الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وعلى قاعدة التوسط والعدالة والرحمة . . .

والمسلم الذي هداه الله الى الصراط القويم لفريد ، يخشى دائما ان يزيغ ، ولذلك فهو يكرر دائما عباره « اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » فتكرار طلب هذه الهداية ليس عبثا لانه قد هدي الى صراط مستقيم لا افراط فيه ولا تفريط ، ولا ذلة ولا جبروت . . .

هذه النظرة التي ينظر بها الاسلام الى الانسان وحياته في هذا الكون ، هي التي عمي عنها الضالون والسادرون في طرق الضلال . . .

وطرق الضلال شتى ، وهي تتقاطع وتختلف وتتلون بالوان مختلفة واحيانا يطغى بعضها مدعيا الرعاية والقيادة ، واليوم تزعم طرق الضلال مذاهب ثلاثة :

1 — ضلال الحساد

2 — وضلال نفاق

3 — وضلال طغيان .

هذه المذاهب الثلاثة هي التي تتصدى للاسلام اليوم ، وتسخر كل مكرها وطاقاتها لتفتن المسلمين عن عقيدتهم وعن انفسهم واوطانهم ، ولتفت في عضدهم وتمزق شملهم . . . « وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بربهم » .

ومذاهب الضلال بالرغم مما قد يبدو بينها من تناقض وعداء فان هدف محق الاسلام وتنحيته عن معترك الحياة ؛ ذلك هو هدفها جميعا . . . ولا تختلف ابدا فى هذا الهدف بالذات ؛ لان منهاج الاسلام فى الحياة يخالف الذى تواضع عليه من يسمون انفسهم بعباقرة البشرية . . . !! ولان الاسلام عقيدة ونظام ؛

فالاسلام اذ يبيح الملكية مثلا لا يبيحها من حرام ومن سحت . . .

والاسلام اذ يحرم الربا لا يخنق حرية الفرد ، ولا يجعل منه آلة مسخرة لتنفيذ رغبة الجلادين . . . بل الاسلام يجعل الاخوة العامة مبدأ ؛ والرحمة نظاما . . وبالتالى فان الاسلام نظام يستمد من طبيعته الخاصة . . .

وكل هذه الخصائص فى الاسلام لا ترضى اليمين ولا اليسار لان كلا الفريقين يؤلهان المادة ، ويجعلان منه اساسا مقدسا وعنصرا هاما اكيدا ؛ فلا ضمير ولا جزاء ولا حساب بعد ذلك . . . ! !

ثم ان نظام الاسلام يحد من غلواء الطاغين ، ويكبح جموح المسلطين ، ويقيم الضمير — الذي يراقب الخالق — حارسا يقظا لا ينام ، وهو لا يسمح بالعدوان ؛ ولا يسمح بالترف واللهو والفجور ، ويجعل من الدار الاخرة دار الجزاء النهائى لما قدمت يد الانسان .

وبما ان الاسلام يضع هذا المنهاج الدقيق ، وهذه الرقابة المتينة فان محبى الفوضى فى الاخلاق ، وسفاكى الدماء ، وممتصى عرق الجبين ، ومحبى الاباحية والمفتاح . . . كل اولئك لن يطيقوه نظاما ، ولا يرضونه تشريعا ؛ ولذلك يحاربونه جميعا ؛ لانه خطير عليهم ؛ وعلى شهواتهم ، وعلى غريزة حب العدوان فيهم وعلى كل شر يستفيدونه ، ويستمتعون به ، ومن هنا كانت محاربتهم للاسلام حربا لا هوادة فيها . . . وهى حرب الباطل الحق . !

والباطل زهوق « ان الباطل كان زهوقا » .

وبالرغم من وثوقنا من الله سبحانه كفيل بنصر دينه ، ونشر هديه فبالرغم من ذلك فانه سبحانه وتعالى يقول : « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » وفى آية اخرى يقول سبحانه :

« وكان حقا علينا نصر المؤمنين » فالنصر مشروط بشرطه دائما . . . وهل يتوفر الشرط . . ؟ ويقول سبحانه وتعالى : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » فهل غيرنا ما بانفسنا . ؟ ونبذنا ما علق بايماننا من شوائب ؟ حتى يغير الله اوضاعنا . . . ؟

وهل نتوفر على المقدار اللازم من الايمان الذى يحصل معه النصر . . . ؟ وهل نحن من الذين ينصرون الله ؟ وينتصرون لدينه حتى نرزق النصر . . . ؟

وبتحديد الاجابة عن هذه الاسئلة يتحدد التفاؤل بالمستقبل .

لكن مع كل ذلك ، فبالرغم من سوء الاوضاع التى يمر بها العالم الاسلامى ، وبالرغم من كيد الكائدين وحقد الحاقدين ، وبالرغم من ضعف جانب المسلمين وقوة اعدائهم ، بالرغم من كل ذلك فان الانسانية ستصل لا محالة الى مرحلة الغثيان مما هى عليه ، واى مرحلة رفض التفاهات التى تعيشها . . . وستتلمس الطريق من جديد ولن يكون هذا الطريق غير الاسلام ، ولن يكون غير دين الله الذى ارتضاه لعباده ، ولن تكون الطريق غير الاسلام الذى بدأت بذرته مع اول الخليقة ، ويكون ازدهاره ويناعته مع آخر مراحلها . . . والاسلام ما صمد الا ليصعد ، وما قاوم الا ليقوم ، وما ناهض الا لينهض .

ولعل حيل واساليب المغرضين بدأت تنكشف ولا تزيدها الايام الا افتضاحا وفى كل يوم يسقط فى ايدى المعجبين بالضلال ، وفى كل يوم يبدو منهم خلل وزلل « ولا تزال تطلع على خائنة منهم » .

فالمستقبل للاسلام والدور دوره . . . وكم عودتنا روح الاسلام من مفاجآت . . . وكم اعتز الاسلام باسلحة الذين كانوا يحاربونه : كالعرب ، والترك ، والتتر وغيرهم ، وتلك هى معجزته الكبرى . .

ان عباقرة الشرق والغرب ، يدورون اليوم فى حلقة مفرغة تبتدىء من حيث تنتهى وتنتهى من حيث تبتدىء . . . وتفطن بعض شباب هذا الجيل الى هذا

الف والدوران حول المادة والمادة وحدها . ولـــم يستطب نكهة الحياة ـ بدون اتصال روحي بخالق الكون ـ فانساب البعض على وجهه ناقما على حضارة آلته واجداده ... متهما اياها بالفراغ من المحتوى الخالد . . . ومن الروح التي لا حياة بدونها ، ومتمم الاشكال ، والصور ، والهياكل ، وافتقد شيئا لم يعثر عليه بعد . . . وهذا الشيء الذي افتقده هـــو الاسلام بدون شـــك

ان لرسالة الاسلام اليوم في المجتمع الانساني دورا ... دور الانقـــاذ والهدايـــة الى الطريـــق المستقيـــم .

وعلى الذين يترقبون هذا الدور ان يعدوا لـــه وان يجعلوا من انفسهم نماذج حية يقف عندها الحيارى مطمئنين ، وان ياخذوا بيد المتلمسين لطرق الهـــدى الربـــانـــي .

تطوان : عبد القادر العافيـــة

رد الذهبي على ابن القطان الفاسي

تقديم وعرض: الاستاذ فاروق حمادة.

نحن في هذا البحث مع ثلاثة من اعلام الامة وعلمها المتبحرة، يساعدون في الزمان والمكان، ويفترون في التفكير والاجتهاد. فقد فكر كل واحد منهم بأسلوب خاص، ومنهاج للمعرفة في عصره وزمانه، ولكن التفكير والاجتهاد الذي سار فيها هؤلاء الثلاثة لم يكونا لعصر محدود ولمصر معين، لذلك تجاوزت أفكارهم أسوار القرون، واخترقت حجب الحدود، وبقيت عبر ذلك كله بمؤلفاتها وأسفارها استمرار رسالة الاسلام الخالدة.

أما أولهم فهو عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الازدي الاشبيلي أبو محمد المعروف بابن الخراط الحافظ العلامة الحجة الفقيه المحدث من علماء الاندلس الاعلام، ومحدثيها العظام، وزهادها الكرام، روى أبو محمد عن أعيان عصره، وكتب اليه أبو بكر بن عاصم الحافظ وغيره بالاجازة، وحدث واجتهد، ثم استقر به المقام في بجاية فنشر بها علمه، واشتهر اسمه وعلا صيته، وتتلمذ له الطلاب في كل مكان من هذه الاصقاع وصنف المصنف الكثيرة التي حازت العالم الاسلامي الى أن توفي في بجاية سنة احدى وثمانين وخمسمائة.

قال عنه ابن الابار: كان فقيها حافظا عالما بالحديث وعلله، عارفا بالرجال وموصوفا بالخير والصلاح والزهد والورع، ملزوما السنة والتقلل من الدنيا مشاركا في الادب والشعر.

ومن مصنفاته التي تعنينا هنا كتابه الاحكام، وقد صنف في ذلك كتابين الاحكام الصغرى والاحكام الكبرى ومنهم من يقول: الوسطى، ولا بعد ذلك.

جمع الاحاديث النبوية التي تتعلق بالاحكام الشرعية فانتشرت في عصره هذه الاحكام وانتفع الناس بها (1)، ولا تزال في عالم المخطوطات، ولو بحث عنها لوجدت نسخ كاملة وهي جديرة جدا بالطبع والاخراج.

وجاء بعده الطود الشامخ والجبل الراسخ في علوم الحديث والسنة وحامل لوائها في الجناح الغربي من العالم الاسلامي في عصره، ابو الحسن علي بن عبد الملك بن يحيى بن ابراهيم الحميري الكتامي الفاسي المشهور بابن القطان: قرطبي الاصل من أهل فاس، أقام بمراكش وولي قضاء الجماعة، وانسحب سنة 621 خارج من مراكش ثم عاد اليها ثم ولي قضاء سجلماسة فاستعفى منها الى أن توفي سنة 628.

قال عنه ابن الابار: كان من أبصر الناس بصناعة الحديث، وأحفظهم لاسماء رجاله، وأشدهم عناية بتصحيح رواياته.

وقال ابن مسدي: كان محدثا ناقدا وافر الاطلاع، وهو أول من عرفنا أن بمصر الاصل مراكشي الدار، أو تذكرة الحفاظ: كان شيخ شيوخ أهل العصر في الديار المؤمنية متمكن من الكتب واسع العناية الامة.

وقد أقر القاضي وابناء على علو كعبه وباعه وسعة معرفته في هذا الميدان، حتى ان الامام الذهبي وهو من هو، أقر له بكل ذلك وتلقى عنه الشيء الكثير كما نراه عنه في مقدمته، أو في تذكرة الحفاظ.

وقد ألف ابن القطان العدد الكبير من المصنفات في الحديث وعلومه نذكر منها:

1 — العلل في الكلام عن أحاديث السنن لابي داود.

2 — تعليق عن المحلى لابن حزم فيما يتعلق بالناحية الحديثية.

3 — كتاب حاصل جمع فيه الحديث الصحيح المحذوف السند من كل

4 — كراريس في الامامة، والقراءة خلف الامام، والوصية للوارث، وغيرها.

5 — الجمان (تاريخ وتراجم) طبع في المغرب

6 ومن اهم هذه الكتب واعدها اثرا في الدارسين بعده « كتاب بيان الوهم والايهام الواقعين في كتاب الاحكام الكبرى لعبد الحق الاشبيلي » المتقدم ذكره فانه ابان فيه كما يقول الذهبي عن قوة فهم وسعة حفظ . (2)

تتبع ابن القطان عبد الحق الاشبيلي في احكامه ، فبين اوهامه واغلاطه ، فتكلم على كثير من الاحاديث والرجال جرحا وتعديلا ، تصحيحا تضعيفا ، مختطا في ذلك منهجا اصيلا لم يكن المحدثون المغاربة قد نضج عندهم الى هذا الحد ، فكان ابن القطان اول من نازع المحدثين المشارقة بمنهجهم ، واول من ركز هذا المنهج الحديثي في الاصقاع المغربية ، وانتشر كتابه هذا بين العلماء فاستحسنوه وتلقوه بالقبول ، واعتمدوا الكثير من اجتهاداته وآرائه في الكلام على الاحاديث والرجال ، فاصبحت تلغى النقول عنه في كتب الاعيان منهم ، فاذا ما وجدت : قال ابن القطان انصرف الى كتاب « بيان الوهم والايهام » ولك ان تأخذ واحدا من اعلام المحدثين في المشرق لتنظر كيف اقتفى اثره وعول على كتابه هذا واعترف منه الكثير ذلك هو الحافظ الزيلعي في كتابه القيم « نصب الراية في تخريج احاديث الهداية » والذي اختصره الحافظ ابن حجر في كتابه « الدراية » والحافظ الزيلعي توفي 762 ، اي كان معاصرا للذهبي رحمهما الله تعالى وكتاب ابن القطان يقع في مجلدين ضخام (ما زال مخطوطا ، ويوجد مجلد واحد منه) ونظرا لانتشاره الواسع فقد تتبعه غير واحد من الاعلام لينبهوا على اوهام وقعت له في بيان الاوهام ، منهم تلميذه ابن المواق ، واكمل كتابه ابن رشيد السبتي ، وهذان مغربيان ، ومن اعلام المشرق الذين اهتموا به وتتبعوه الحافظ الحجة الامام الذهبي :

ابو عبد الله محمد بن احمد بن قايماز التركماني المولود سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، والمتوفى سنة سبعمائة وثمان واربعين ، وهو حامل راية هذا الشأن في عصره ، المصنف المكثر ، اطلع الحافظ الذهبي على كتاب ابن القطان وقراه وتملاه — انظر تذكرة الحفاظ ، ترجمة ابن القطان — فوجد فيه الكثير من الآراء الصائبة ، ووجد فيه بعض الاغلاط ، فاختصر الكتاب — كما يتبين لنا من هذا النص الذي بين ايدينا — وتبه خلال اختصاره على الاغلاط والاوهام ، فكان هذا المختصر مع المناقشات في مجلد كبير كما قال ابن ناصر الدين (ولابن القطان فيه وهم كثير نبه عليه ابو عبد الله الذهبي في مصنف كبير) (3).

بين الذهبي وابن القطان

ابن القطان بلا شك عالم تحرير فهم فطن ، كما ان الذهبي مطلع خريت في السنة وشعابها ، الا ان الذهبي أعرف بالرجال وابصر فهو مقدم في ذلك على ابن القطان ، وابن القطان افهم للمتون واشد غوصا على العلل ولذلك سترى ان الذهبي يؤيد ابن القطان ، ولو قدر لبيان الوهم والايهام ان يطبع كاملا لكان عملا عظيما وخدمة جلى تسدى للدراسات الحديثية بوجه خاص وللدراسات الاسلامية بوجه عام ، كما لا يفوتنا ان نذكر ان ابن القطان تلقى علومه من الكتب وهذا ما عرضه لاغلاط .

اما تتمة تنبيهات الذهبي ، فعظيمة كما سنراها — ولا تغض من مكانة ابن القطان وقيمته — فقد افادتنا نكات في مصطلح الحديث فريدة ، وكشفت عن اسماء رواة كانت غامضة وتبت احاديث اضطرب في شأنها العلماء ، وعرضت لمسائل يحتاجها العلماء والباحثون وجملة هذه الانتقادات تقرب من التسعين وجاء احد الدارسين للحديث وهو محمد بن عبد الله بن المصفى بن المنجا الحنبلي ، فاستخرج من مختصر الامام الذهبي ردوده على ابن القطان ، بدون تطويل وتفريع ، وحفظ لنا مختصر المختصر ، وهو لباب المقصود وابن المنجا الحنبلي منح العنوان « الرد على ابن القطان » للذهبي ، والله أعلم .

وصف النسخة :

النسخة من محفوظات المكتبة الظاهرية بدمشق ضمن مجموع ، وهي في عشر ورقات وصفحة من الحجم المتوسط وهي بخط ابن المنجا المختصر ، فقد جاء في آخرها : فرغ من كتابته العبد الفقير الى الله تعالى ، محمد بن عبد الله بن المصفى بن منجا الحنبلي ، وارجح ان يكون نسخها اما في ايام الذهبي او بعده بقليل يدلنا على هذا خطها ، وبعض الارقام ذكرهم في الاصل ، وهي نسخة مضبوطة مقروءة .

واني لما عزمت على اخراجها ضبطت النص ، ورقمت التنبيهات ، وعلقت عليها تعليقات طفيفة لابد منها لايضاح مقصود النص واعطائه الصورة الكاملة ، دون ان تثقله وتكبله ، بل اردت ان يبقى مشرقا بروعته كما اراده الذهبي رحمه الله تعالى .

فالى المعتنين بالدراسات الحديثية والاسلامية عموما ، نقدم هذا البحث خطوة اولى على طريق ابراز تراث علم المغرب الشامخ ابن القطان الفاسي رحمه الله تعالى ، فاذا ما قدر لكتابه القيم ان يطبع كان هذا البحث مساعدا في ذلك ومساهما في ابرازه نقيا صافيا ، والله الهادي والموفق

النص الكامل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ،

قال الشيخ الامام الحافظ ابو عبد الله الذهبي رحمه الله تعالى في كتاب مختصر كتاب الوهم والايهام لابن القطان :

قال الحافظ العلامة ابو الحسن على بن محمد ابن عبد الملك بن يحيى بن ابراهيم بن يحيى الكناني الحميري الفاسي المغربي — عرف بابن القطان — المتوفى سنة 628 هـ :

الحمد لله كما يحق له ويجب ، والصلاه على نبيه محمد المنتخب » فذكر خطبة ابن القطان ، وكتب الذهبي ايضا على ظاهر الكتاب ناقلا عن ابن القطان بعد اسف في المحاققة والتعنت للحافظ أبي محمد ، وبالغ في ذلك ، واصاب في كثير من ذلك ولم يصب في اماكن ، وغلط فيها ، والزم ابا محمد بتطويل الكلام على الاصل بما لا يناسب الاحكام المختصرة التي بلا اسانيد وعمد الى رواة لهم جلالة وجلادة في العلم ، وحديثهم في معظم دواوين الاسلام فغمزهم بكون أن احدا من القدماء ما نص على توثيقهم بحسب ما اطلع هو عليه ، وقاعدته كابن حزم ، واهل الاصول ، يقبل ما روى الثقة سواء خولف أو رفع الموقوف او وصل المرسل

والرجل فحافظ في الجملة له اطلاع عظيم » وتوسع في الرجال ، ويقظة وفطنة قل من يجاريه في زمانه ، اخذ الفن من المطالعة

1 — حديث للدارقطني ، من رواية القاسم بن محمد العمري « لا يقضي القاضي الا وهو شبعان ريان »

قال : فالقاسم متروك .

قلت : الصواب القاسم بن عبد الله

2 — حديث عصمة بن مالك ، وعبد الله بن الحارث بن أبي ربيعة « ان مملوكا سرق فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم سرق فعفا عنه ، فلما رفع اليه في الخامسة فقطع »

الحديث لا يصح لارساله وضعف اسناده (فهذا تعبيره) فقال : رواه النسائي ، وما هو في النسائي هكذا بل فيه احماد بن سلمة عن يونس ، وذكر على الحاشية

قلت : صوابه يوسف بن سعد بدل يونس عن الحارث بن حاطب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بلص فقال : اقتلوه » قالوا : انما سرق ، قال : اقطعوا يده ، ثم سرق ، فقطعت رجله ، ثم سرق على عهد ابي بكر حتى قطعت قوائمه ، ثم سرق فقتله .

فنسبة المؤلف الخبر الى النسائي ، والى عصمة ابن مالك وعبد الله بن الحارث ، وهم

3 — حديث عائشة في قيامه عليه السلام في الناس في رمضان ليلة بالناس ، زاد في طريق ولو كتب عليكم ما قمتم به

فهذا من حديث زيد بن ثابت ، وما هو في مسلم» وانما هو بلفظ :

قلت : بل هو في مسلم

4 — حديث : روى ابراهيم بن زيد بن فديد عن الاوزاعي عن يحيى عن أبي سلمة عن ابي هريرة مرفوعا « اذا دخل احدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين واذا دخل بيته كذلك » قال : وهذه الزيادة لا اصل لها ، قاله : (البخاري) وانما يصح في ذلك حديث ابي قتادة

فهذا من كتاب ابن عدي ، حدثنا حذيفة وغيره قالوا : ثنا ابو امية ثنا سعد بن عبد الحميد بن جعفر ثنا ابراهيم بن زيد بن فديد

---

1) القاسم بن عبد الله من رجال ابن ماجه ، وحديثه هذا اخرجه كذلك البيهقي ، من حديث ابي سعيد الخدري ، وضعفه لاجله فقال ابو حاتم متروك ، واتهمه غيره بالوضع . انظر الجرح والتعديل 111/2/3 .

2) انظر النسائي 261/2 ، والحديث اخرجه كذلك الطبراني في معجمه ، والحاكم في مستدركه وقال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه . والحارث بن حاطب تابعي ثقة ولد بالحبشة وولي مكة لابن الزبير سنة 66 هـ .

3) ما قاله الذهبي رحمه الله تعالى من وجوده في مسلم هو كذلك ولفظه « ولكني خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها » 178/2 وهو من حديث عائشة ، والحديث كذلك في البخاري 11/2 (كتاب الجمعة) 45/3 ، واحمد في مسنده 169/6 .

4) الصواب ما قاله الذهبي فقد أخرج له من أشار اليهم ، ووثقه يعقوب بن أبي شيبة وهو من كبار الطبقة العاشرة ، وله اغاليط وانظر الجرح والتعديل 92/1/2 .

قال ابن عدى : وابراهيم لا بحضرتى له غير هذا وهو منكـر

قال ابن القطان : سعد مجهول الحال

قلت : بل روى عنه جماعة ، وقال ابن معين : ليس به باس ، وخرج له (ت ، س ، ق)

5 ــ حديث : « طعام البخيل داء » لم نعرفه وهو عند ابى احمد باسناد آخر رواه ابو يعلى الصدفى : ثنا ابو العباس العذرى ، ثنا محمد بن نوح الاصبهانى بمكة ثنا الطرائفى ثنا المقدام بن داود ثنا عبد الله بن يونس عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم « طعام البخيل داء ، وطعام السخى شفاء »

قال ابو على : غريب عجيب ورجاله ثقات

قال المؤلف : مقدام قال فيه الدارقطنى : ضعيف

6 ــ لا يسمع بى احد من هذه الامة لا يهودى ولا نصرانى ، من كتاب عبد الرزاق

عبد الرزاق عن معمر عن همام عن ابى هريرة هو فى مسلم دون (ولا)

قال المؤلف : فابن ابى شيبة قد ذكر من حديث ابى موسى صحيحا ذلك المعنى بعينه فقال حدثنا عفان حدثنا شعبة ثنا ابو شمر ، سمعت سعيد بن جبير عن ابى موسى مرفوعا :

من سمع بى من امتى او يهودى او نصرانى ثم لم يؤمن بى دخل النار

قال ابن القطان : هذا حديث صحيح الاسناد فاعلمه ، كذا قال ، ولم يتفطن الى ان سعيدا لم يلق ابا موسى ، وانه منقطع ، وابو شمر الضبعى ما سمى روى له مسلم

وقال على بن عاصم عن سهيل وفيه ان النسى حدثته اسماء ولم يشك

6 ــ 2 وقال : ابو داوود ثنا وهب بن بقية انا خالد عن سهيل عن الزهرى عن عروة عن اسماء بنت عميس (قالت) قلت : يا رسول الله ان فاطمة استحيضت فقال : لتغتسل للظهر والعصر غسلا واحدا الحديث

وفاطمة اسدية ، قال ابن حزم : ادركها عروة ، ولم يبعد ان سمع من خالته عائشة ومن ابن عمه

قال المؤلف : هذا عندى غير صحيح وفاطمة (٠) لانها بنت ابى حبيش بن المطلب بن اسد ولا يعرف لها سوى هذا الحديث ، ولم يتبين منه ان عروة اخذه عنها

قلت : ما ابدى ابن القطان فى رده على ابن حزم طائلا

7 ــ حديث المسيب بن حزن ، لما حضرت ابا طالب الوفاة

فالمسيب من مسلمة الفتح ، ولم يشاهد القصة

قلت : مراسيل الصحابة حجة وذكر على الهامشية

قلت : عامة ما فى هذا الباب احاديث علقها الائمة فقال : منقطع

8 ــ حديث فى قضاء صوم التطوع ضعفه ، وما ذكر ان مجاهدا ما سمع من عائشة

قلت : فى ذا خلاف

---

5) اورده الدارقطنى فى غرائب مالك ، وابن عدى فى كامله ، والخطيب فى كتاب البخلاء ، وابو القاسم الخرقى فى فوائده ، قال ابن عدى : باطل فيه مجاهيل وضعفاء ، ونقل الائمة قول ابن القطان فى تغويته الا مقدام بن معافى ، وقد رده الحافظ ابن حجر والذهبى فى الميزان واسانه ، وقالا : كذب لا يثبت .
ومقدام بن داوود ، قال ابن ابى حاتم : سمعت منه مصر وتكلموا فيه ، انظر فى الجرح والتعديل 4 / 1 / 302 .

6) انظر الحديث فى صحيح مسلم من طريق ابى هريرة ، كتاب الايمان 93/1 .

8) كان يحيى بن سعيد القطان ، وشعبة بن الحجاج ، ويحيى بن معين وابو حاتم يرون ان مجاهدا لم يسمع من عائشة انظر المراسيل لابن ابى حاتم ص 125 ، وتبعهم عقد البخارى ومسلم سماعه منها واخرجا له احاديث عن عائشة فى بعضها مما يدل على سماعه منها ، وقال ابن حبان فى صحيحه : من زعم ان مجاهدا لم يسمع من عائشة كان واهما ، ماتت عائشة فى سنة سبع وخمسين وولد مجاهد فى سنة احدى وعشرين فى خلافة عمر ، وانظر البخارى باب عمرة القضاء فى المغازى ، ومسلم فى الحج والنسائى (باب ذكر القدر الذى يكفى به الرجل من الماء للغسل) فى الطهارة ففيه التصريح بالسماع من قول مجاهد .

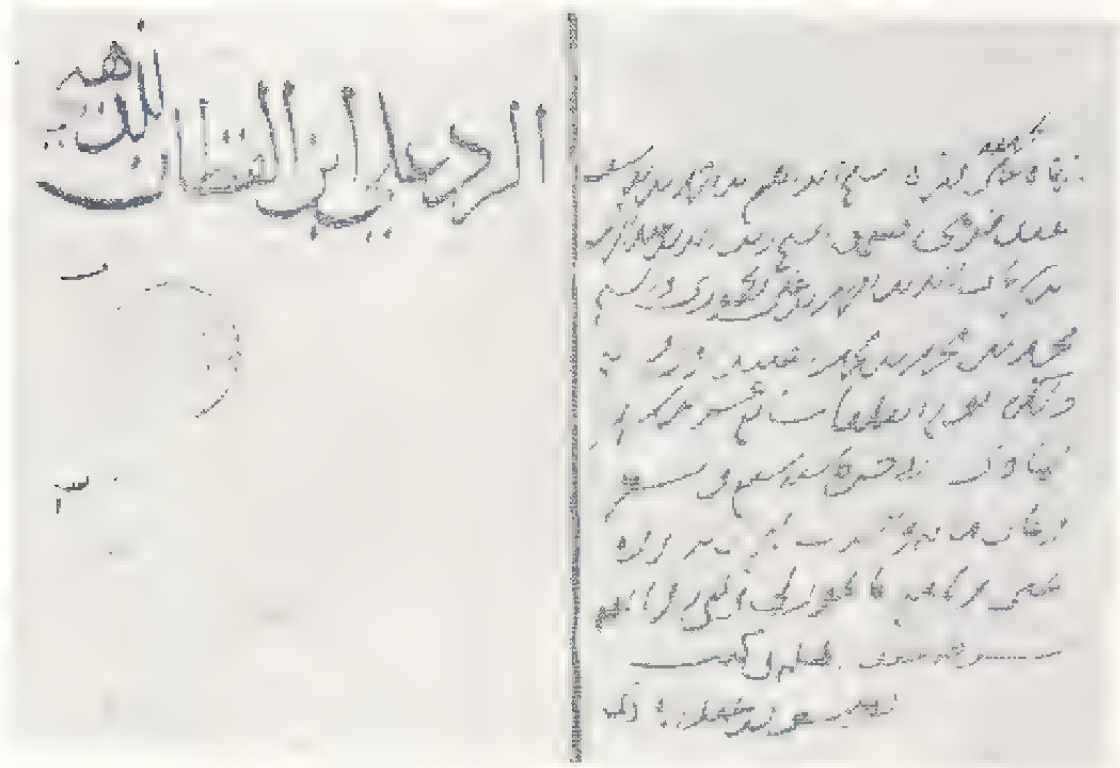

الصفحة الاولى (غلاف المخطوطة)

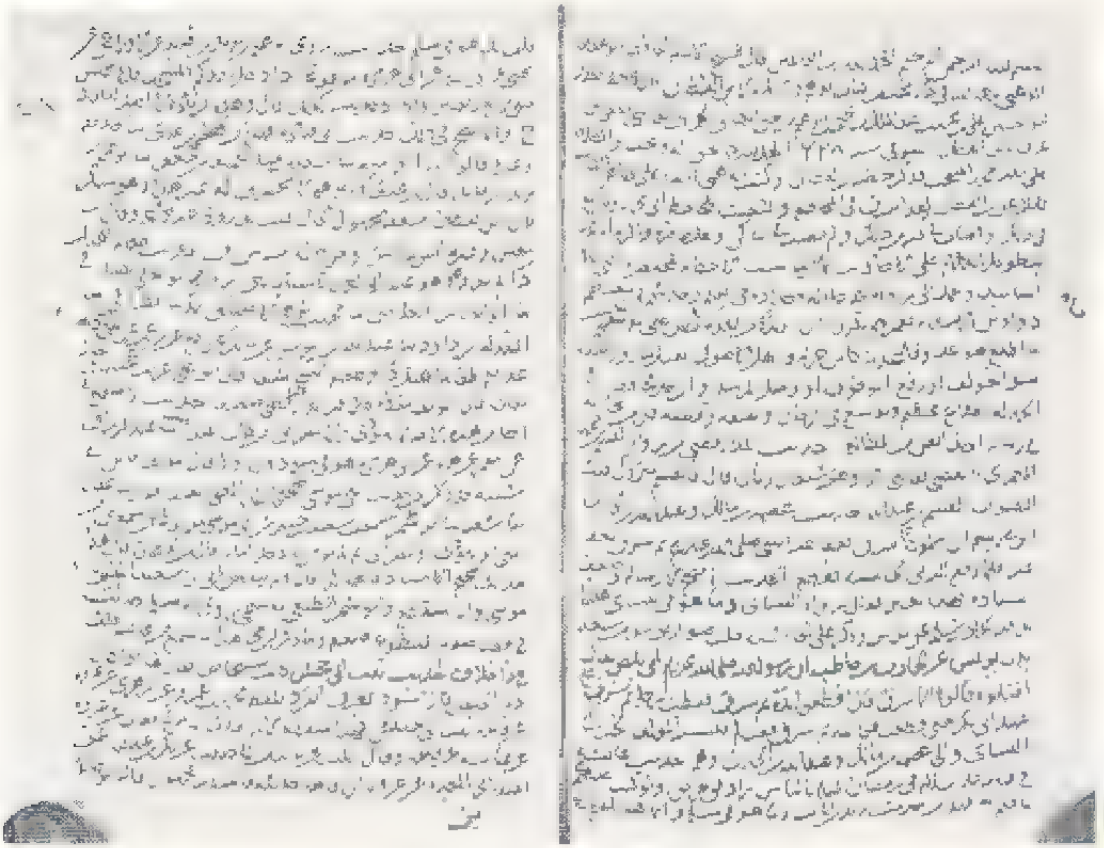

الورقة الاولى من المخطوطة

9 ـ حديث بنت ابي حبيش كانت تحاض فقال لها : اذا كان دم الحيض فانه اسود يعرف

انفرد بلفظه محمد بن عمرو عن الزهري عن عروة عن فاطمة بنت أبي حبيش فهذا منقطع لانه حدث به مرة فقال : عن عروة عن عائشة عن فاطمة ، وقال الليث : عن يزيد بن أبي حبيب عن بكر بن عبد الله عن المنذر ابي المغيرة عن عروة أن فاطمة حدثته

فالمنذر مجهول ، قاله ابو حاتم

وكذلك حديث سهيل بن ابي صالح عن الزهري عن عروة حدثني فاطمة انها امرت اسماء ، أو حدثتني اسماء انها امرت فاطمة بنت ابي حبيش أن تسأل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا شك فيه سهيل وقد ساء حفظه ، وفيه انه أحالها على الايام فامرها أن تقعد الايام التي كانت تقعد * والمعروف في قصة فاطمة الاحالة على الدم والقرء

10 ـ حديث ابن عباس «ليس على النساء حلق» سكت عنه ، وهو ضعيف منقطع ابن جريج قال : بلغني عن صفية بنت شيبة ، أخبرتني أم عثمان بنت ابي سفيان ان ابن عباس قال مرفوعا

وام عثمان لا يعرف لها حال

قلت : هي روحة (بنت) شيبة لها صحبة ورواية في مسند احمد

11 ـ حديث ابن عباس وقت العشق فهو من طريق يزيد بن أبي زياد ، وقد نبه عليه عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن جده

فاقول : انما يعرف محمد بالرواية عن ابيه عن ابن عباس ، وخرج له بذلك مسلم في قيام الليل فاخاف انقطاعه مع قول مسلم : لا نعلم انه لقي جده

قلت : مولده سنة اربع وستين ، وادرك صباه جده وهو ابن اربع سنين

12 ـ حديث من مسند ابن شيبة عن سعد في الحج « فمنا من رمى بست » ، ومنا من رمى بسبع »

قال : في اسناده حجاج بن ارطاة

قلت : وهو عن مجاهد عن سعد، ولا نعلمه سمع منه ، وممكن

13 ـ حديث عن ابي رافع « فامرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن انزل الابطح » ولكن جئت فضربت قبته ، فجاء فنزل ، فسكت عنه لكونه في (م) وهو عن سليمان بن يسار ، قال : قال أبو رافع

قال ابن عبد البر : ولد سليمان سنة اربع وثلاثين ـ وقيل : سنة سبع وعشرين ومات ابو رافع اثر قتل عثمان

قلت : يبعد سماعه منه .

قال : وذكر ابن ابي خيثمة : ثنا خالد بن يحيى ثنا سفيان قال ، كان عمرو يحدثنا عن صالح بن كيسان انه سمع سليمان بن يسار يقول : أخبرني ابو رافع ، وكان على ثقل رسول الله فضرب قبته بالابطح .

14 ـ حديث عن عبد الله الصنابحي في فضيلة الوضوء ، فقال عبد الله : لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقال : ابو عبد الله وهو الصواب * واسمه عبد الرحمن فصدق ، فقد ذكر مالك الصنابحي احاديث سماه فيها عبد الله فيزعمون انه وهم ، او سماه عبد الله لان كلنا عبيد الله ، قال (البخاري) وهم مالك هو ابو عبد الله عبد الرحمن بن عسيلة حديثه مرسل

والصنابحي الاحمسي صحابي له حديثان ، نقله الترمذي في العلل

---

10) انظر في تاكيد قول الذهبي هذا الاصابة في تمييز الصحابة 476/4 ، وقد ساق حديثها الذي ذكره احمد في مسنده من طريق عليه . وكذلك ذكرها ابن عبد البر في الاستيعاب انظر هامش الاصابة 478/4 ، مع التنكير بان كليهما لم يذكر ان اسمها روحة . فافادنا الذهبي هنا فائدة هامة .

12) زاد الذهبي على ابن القطان انه لا يعلم لمجاهد سماعا من سعد ، (وهو ممكن) فابن ابي حاتم الرازي يقول : سمعه ابي يقول : لم ندرك مجاهد سعدا ، انما يروى عن مصعب بن سعد وابو زرعة يرى هذا الرأي . انظر المراسيل لابن ابي حاتم 126 .

14) هناك خلاف طويل في الصنابحيين : فالترمذي مثلا يقول في جامعه / الاحاديث الاولى منه / والصنابحي الذي روى عن ابي بكر الصديق ليس له سماع من النبي صلى الله عليه وسلم ، واسمه عبد الرحمن بن عسيلة ويكنى ابا عبد الله رحل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقبض صلى الله عليه وسلم وهو في الطريق ، وقد روى احاديث ، والصنابح بن الاعسر الاحمسي صاحب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له : الصنابحي وانما حديثه قال : سمعت الفتى صلى الله عليه وسلم يقول : اني مكاثر بكم الامم فلا تقتتن بعدي وعلى هذا الخريق بينهما جرى اكثر المحدثين .
وقول الذهبي الذي عقب به عن ابن القطان خالف فيه الجم الغفير من المحدثين ، وهو مرجوح والله اعلم .. وانظر مسند احمد 4 / 348 ، 4 / 351 .

قال المؤلف : لكن التكهن بانه المراد ، لا نقول عطاء بن يسار عن عبد الله الصنابحي ونسبة الوهم الى مالك فيه خطأ ودعوى ، ومالك ما انفرد بذلك ، تابعه ابو غسان محمد بن مطرف عن زيد بن اسلم عن عطاء عن عبد الله الصنابحي عن عبادة في الوتر وتابعهما زهير بن محمد عن زيد » وقال سعيد : حدثنا حفص بن ميسرة عن زيد عن عطاء عن عبد الله الصنابحي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

ان الشمس تطلع مع قرن الشيطان . رواه ابن السكن وترجم باسم عبد الله في الصحابة ، ثم قال : وابو عبد الله الصنابحي ايضا مشهور يروى عن عبادة وابي بكر ليست له صحبة

قال : ويقال ايضا ان عبد الله غير معروف في الصحابة .

وقال عباس عن ابن معين : عبد الله الصنابحي يشبه ان تكون له صحبة ، قال المؤلف :

المتحصل انهما اثنان عبد الرحمن ليست له صحبة يروى عن ابي بكر وعبادة .

والآخر عبد الله الصنابحي ايضا عن ابي بكر وعبادة والظاهر منه ان له صحبة ولا أبت ذلك ولا أيضا أجعل انا عبد الله عبد الرحمن ، قال الذهبي : من ابعد الاشياء أن يكون رجلان صنابحيان كل منهما يروى عن ابي بكر وعبادة احدهما ابو عبد الله مالك صحبة ، والآخر عبد الله له صحبة ، مع جعلهما واحدا عند البخاري ، والترمذي وابي حاتم وابنه وابن عبد البر، وغيرهم ، بل القوى انه واحد مشهور بالنسبة مختلف في اسمه كاد ان يكون صحابيا لقدومه المدينة بعد وفاة المصطفى بليال صلى الله عليه وسلم » وما رأيناه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في حديث واحد ، تفرد بلفظ سمعت سويد بن سعيد عن حفص ، وسويد فيه مقال ، وما هو بالحجة ، اضر باخرة وشاخ وربما يلقن .

15 — وذكر في الباب الذي قبله حديث معاذ في زكاة البقر لمسروق عنه ، ولم يلقه

وذكر ذلك عن ابن عبد البر ، فما قال ابن عبد البر ، الا أنه متصل ، والذي رماه بالانقطاع ابن حزم ثم استدرك بعد وقال :

فمسروق بلا شك ادرك معاذا وشاهد احكامه نقيا ، وافتى زمن عمر ، ويقول بعد: ان مسروقا سمع من معاذ ، وانما اقول ليس في حديث المتعاصرين الا رايان ، الحمل على الوصل كراى مسلم والجمهور ، او القول لم يثبت سماع هذا من هذا كراى ابن المديني والبخاري ، ولا يقولون انه منقطع » قلت : بل رايهما دال على ا (لا) نقطاع .

16 — حديث ستر وجه المرأة فيه خالد بن دريك ما سمع من عائشة

قلت : وخالد مجهول وعند سعيد ابن بشير

17 — حديث عبد الله بن محمد بن عمر عن عبد الله ، رش على قبر ابراهيم

فعبد الله لا يعرف .

قلت : ذا ابن علي بن ابي طالب فعلم منه

18 — حديث جابر « كان لا يأذن لمن لا يبدأ بالسلام » ضعف ابراهيم بن يزيد الخوزي ، ولم يتبين انه عن ابي الزبير عن جابر .

قلت : هذا وكثير مما هنا تعنت سمج ، حديث جابر في ذلك متمسك في اتصاله ثم ساق المؤلف احاديث مضعفة لناس معهم من يجهل حاله فاعرضت عن ذلك لكثرته

19 — حديث الدارقطني عن ابن عمر : من صلى وحده ثم ادرك الجماعة فليصل الا الفجر والعصر .

تفرد به سهيل بن ابي صالح رفعه عن القطان عن عبيد الله عن نافع .

وخالفه الفلاس فوقفه ، وكذا رواه ابو اسامة وابن نمير عن عبيد الله ، وكذا مالك والليث عن نافع.

فتعلق المؤلف بانه لا يعرف شيوخ الدارقطني ، وهذا لا شيء .

20 — حديث الدارقطني عن عفيف بن سالم عن الثوري « لا يحصن الشرك شيئا »

---

18) ويشير الذهبي الى ان من اسباب ضعف الحديث كذلك ان فيه سعيد بن بشير وقد ضعفه قوم وقوى امره آخرون ، فابن مهدي تركه ، وضعفه احمد ، وابن معين وابن المديني والنسائي ، وقوى امره ابو حاتم ، وشعبة ، ودحيم .

20) هذا هو راى المصنف وابن حزم كما سطر لنا من بعد ان الثقة اذا تفرد عندهما بزيادة او برفع موقوف يقبل مطلقا

قال : وهم عفيف في رفعه ، والصحيح من قول ابن عمر ، فهذا غير علة

الثقه عفيف ، فرفع الثقة لا يضر .

قلت : بل يضر لمخالفته ثقتين فاكثر ، لانه بلوح بذلك لنا ان الثقة قد غلط

قال : انما علته انه من رواية احمد بن ابى نافع عن نافع عن عفيف

قال ابو يعلى : لم يكن موضعا الحديث ، ثم ذكر ابن عدى لاحمد هذا الحديث ، وقال : منكر

21 ــ حديث جابر « من لم يقرأ بأم القــرآن » رده لمخالفة الناس يحيى بن سلام في رفعه وليس ذلك له بعلة لو كان يحيى معتمدا .

قلت : مع عدم اعتماده تفرده بالرفع اكـــد في الوهـــن .

22 ــ حديث في قضاء صوم التطوع ، علله بتعليل الدارقطني .

وانما علته رواية (النسائي) عن احمد بن عيسى المصري

قلت : اخطات في قولك : انه (الخشاب) ؟ قال: عن ابن وهب واحمد يتكلم فيه وينكر عليه ، يــروى بواطيل ، قلت : قد احتج به (البخاري ومسلـــم) وفيه تضعيف لا ننهض .

واما الخشاب ، فضعيف ، ولم يرو عنه النسائي شيئا ، ولا هو روى عن ابن وهب ، بل انما لحق عمرو ابن ابى سلمة ، واقرانه بالشك

23 ــ حديث الدارقطني عن ابن عمر « لا تحج الا باذن زوجها

فيه محمد بن ابى يعقوب الكرماني عن حسان ابن ابراهيم .

فالكرماني هو ابن اسحق ، وثقه ابن معين ، وروى له (البخاري) ، وانما علته رواية عنه العباس ابن محمد بن مجاشع ، ولا يعرف حاله .

قلت : وحسان رواه عن ابراهيم الصايغ وفيه مقال ، ولم يذكر انه سمعه من نافع قال : وقال نافع

24 ــ حديث حزام بن حكيم عن عمه عبد الله بن سعد مرفوعا في غسل الانثيين من المذى ، قال : لا يصح ، وحزام ضعيف .

قال المؤلف : مجهول ، قال كاتبه (الذهبي) رواه معاوية بن صالح عن العلاء بن الحارث عنه .

25 ــ حديث « لا وضوء لمن لم يسم »

قال احمد : لا اعلم له اسنادا جيدا

وقال (البخاري) ، احسن شيء فيه حديث رباح

فقول : (البخاري) احسن لا يقتضي تحسينه ، فما هو الا ضعيف

26 ــ بشر بن المفضل عن عبد الرحمن حرملة عن ابى ثفال عن رباح بن عبد الرحمن عن ابى سفيان بن حويطب عن جدته عن ابيها مرفوعا .

قال (الترمذي) : ابوها سعيد بن زيد ، وابــو ثفال ثمامة بن حصين ،

قال المؤلف : رباح وجدته وابو ثفال مجاهيل

قال كاتبه ، اعني الذهبي : بل ابو ثفال قــال البخاري في حديثه نظر ، نقله العقيلي عن آدم عنه .

27 ــ حديث : « نهى ان يستقــاد في المسجــد »

---

(23) ومناقشتها هنا هي في رفع الثقة للموقوف كما في الحديـــث السابــق

(24) حديث عبد الله بن سعد اخرجه الترمذي وحسنه وابو داوود ، وقال الحافظ بن حجر : في اسناده ضعف .

(25) استدرك الذهبي على ابن القطان لا ترفع من قيمة الحديث شيئا ، الا انها فائدة قيمة وان كانت لا تدل بحد ذاتها على ان البخاري عرف ابا ثفال فتامليها !! وقد روى عنه غير واحد . والحديث اخرجه الترمذي وابن ماجه وغيرهما ، انظر جامع الترمذي ، كتاب الطهارة باب التسمية عند الوضوء .

لمحمد بن عبد الله الشعبي عن زهر بن وديعة عن حكيم بن حزام .

وزهر مجهول ، ورواه وكيع عن الشعبي فقال : عن العباس بن عبد الكريم عن حكيم ذكره الدارقطني

قلت : وذا في اطراف المزي عن الشعبي عن القاسم بن عبد الرحمن المزني عن حكيم فتحقق هذا .

مراجع المقدمة :

1 ـ انظر في ترجمة عبد الحق الاشبيلي المراجع التالية :
1 ـ عنوان الدراية ، الغريني ص 75 .
2 ـ فوات الوفيات ، 248/1 .
3 ـ التكملة : ص 647 .
4 ـ تهذيب الاسماء واللغات : 292/1
5 ـ تذكرة الحفاظ ، 1350/4
وغيرها من المراجع

2 ـ انظر في ترجمة ابن القطان المراجع التالية :

1 ـ تذكرة الحفاظ : 1407/4 .
2 ـ شجرة النور الزكية : ص 179 .
3 ـ التكملة : ج 686/3 .
4 صلة الصلة : ص 131 .
5 ـ شذرات الذهب 128/5 .
6 ـ جذوة المقتبس : 298
وغيرها من المراجع .

3 ـ انظر في ترجمة الذهبي

1 ـ ذيول تذكرة الحفاظ : ص 34
2 ـ الاعلام ، ومعجم المؤلفين ـ واحالاتهما .

28 ـ حديث ابن جريج عن محمد بن عمر بن علي ابن عباس بن عبد الله بن عباس عن الفضل بن عباس

قال المؤلف : هو محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي مجهول الحال .

قلت : لا بل ذا ابن عم علي بن الحسين .

ـ يتبع ـ

كتب احد العارفين الى عمر بن عبد العزيز : اما بعد ، فان الهـــول اعظم ، والامور المفظعات امامك ، ولا بد لك من مشاهدة ذلـــك ، امـــا بالنجاة ، واما بالعطب ، واعلم ان من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنهـــا خسر ، ومن نظر في العواقب نجا ، ومن اطاع هواه ضل ، ومن حلم غنم ، ومن خاف أمن ، ومن أمن اعتبر ، ومن اعتبر أبصر ، ومن ابصر فهم ، ومن فهم علم ، فاذازللت فارجع ، واذا ندمت فاقلع ، واذا جهلـــت فاسأل ، واذا غضبـــت فامســـك .

دراسات مغربية

- التجربة المغربية الرائدة في ديوان "من وحي الأطلس"
- آثار وفنون الإسلام بالمغرب العربي

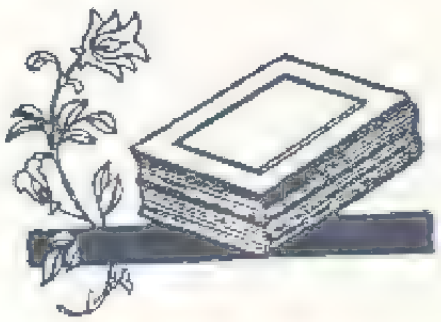

« لا يساورني ادنى شك في ان الحضارة التي ترتبط اجزاؤها برباط متين ، وتتماسك أطرافها تماسكاً قوياً ، وتحمل في جوانحها عقدة مثل الاسلام ، لا تنتظرها مستقبل زاهر فحسب ، بل ستكون أيضاً خطراً على أعدائه »

مؤلف كتاب « الاسلام قوة العدد العالمية »

القاضي أبو بكر بن العربي

(468 - 543 هـ)

الأستاذ سهيل عرابي

— 8 —

ولايتـــه القضـــاء .

اظهر ابو بكر بن العربي لدى توليتـــه الشورى بين ايدي القضاة ، كفاءة نادرة ، دلت على تضلعـــه الواسع في علوم الشريعة ، وغيرة ملتهبة على حقوق الضعفاء ، والوقوف الى جانب المظلومين ، وكان في مجالسه العلمية ينتقد الاوضاع الفاسدة التي يعيشها المجتمع الاندلسي ، وينحي باللائمـــة على المـــولاة والمستولين . وكان لتلك الندوات المشهورة ، صداها البعيد في مراكش عاصمة المرابطين ، فاصدر علي ابن يوسف بن تاشفين مرسوما بتولية ابي بكـــر بن العربي قضاء اشبيلية ، يحمل تاريخ منتصف جمادى الثانية سنة (528 هـ) (1) .

وتتفق كلمة المؤرخين على انه كان مثال العدل والاستقامة ، صلبا في الحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، قال عياض : (... فنفع الله به اهل اشبيلية ، لصرامته وشدته ، وكانت له في الظالمين سورة مرهوبة ، مع الرفق بالمساكين ، والامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ..) (2) .

وكان المجتمع الاشبيلـــي — آنذاك — يعيش حالة الفوضى والاضطراب ، والتمزق ، والانحـــلال الخلقي ، وقد دلنا على ذلك ، الحوار الذي دار بين ابي الوليد بن رشد وابي بكر بن زهـــر ، بمجلـــس يعقوب المنصور الموحدي في شأن قرطبة واشبيلية ، فقال ابن رشد : ما ادري ما تقول ! غير انـــه اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبـــه ، حملـــت الى قرطبه حتى تباع فيه واذا مات مطرب بقرطبة فاريد بيع تركته ، حملت الى اشبيلية) (3) .

ويصور لنا ابن العربي هذا الجو الماجن المائع الذي ركب الناس فيه رؤوسهم فيقول :

(.. فكيف لو راى زماننا هذا بهتك الحرمات ، والاستهتار بالمعاصي ، والتفاخر بالمناكر ، وبيـــع الحدود ، واستيقـــاء العبيـــد لهـــا في منصـــب القضـــــاة ..) (4) .

لكن ابن العربي أخذ الامور بيد من حديـــد ، فقابل الطغاة والمستهترين بصرامة لا تعرف هوادة ؛

(1) انظر ابيـــان المغـــرب 4 / 92 — 94 .
(2) القنية — مخطوط خاص ، وانظر الديبـــاج ص 281 .
(3) المقـــري ، النفـــح 1 / 155 .
(4) الاحكـــــام 2 / 84 .

ومن تصليه ان اتخذ له شرطا يتتبعون خطوات الشاربين ، ويرقبون كل حركة أو بادرة من طرف السكارى والمخمرين ؛ اتى له يوما برجل بيده كاس فيها خمر ، فسأله عنها ، فلقنه بعض الوزعة ان يقول ان عنده جارية نصرانية اشتراها لها ، فأطرق مليا ثم رفع رأسه وقال : لعن رسول الله في الخمر عشرة ، وذكر منها المشتري والمشتراه له ؛ ثم لعنه وأمر من يحضرته ان يلعنه ، فاستمرت عليه اللعنة في نواحي اشبيلية ؛ حتى كان ذلك سبب نفيه منها (5) .

وثقب اشداق (6) زامر كانت تلتف حوله حشود العاطلين ، ويغوي بمزماره الغادين والرائحين؛ وحلق شعر شاب كن مدعاة للهو والفساد . (... وكنت أيام الحكم بين الناس ، اضرب واحلق؛ وانما كنت افعل ذلك بمن يرى شعره عونا على المعصية ، وطريقا الى التجمل به في الفساد ، وهذا هو الواجب في كل طريق الى المعصية) (7) .

وهو الى ذلك كان رفيقا بالضعفاء ، رحيما بالارامل والمساكين ؛ اشتدت مسغبة في بعض السنوات ، فهام الناس على وجوههم من الجوع والفاقة ؛ فدعا الولاة والاغنياء الى المواساة — وهو امر محتم عليهم ، فلم يجد اذنا صاغية ؛ فقدر ان ما يثوبه من هؤلاء البائسين اثنان او اكثر ، فضمهم اليه ، وانفق عليهم في جملة عياله ؛ (.. وقد كنت في اعوام المجاعة ادعو الاغنياء والولاة الى ذلك — (المواساة) — فيابون علي ، لان الله ابى عليهم ان يفلحوا ؛ فكنت ارجع الى تقدير الاغنياء والمساكين؛ فآخذ من جملتهم قدر ما يمكن ان يلزمني على التقسيط ، فاضمهم الى نفسي ، واجعلهم من معارفي) (8) .

ووقعت مجاعة اخرى — وهو بايلان اغمات في جنوب المغرب ، فكان ذلك صنيعه — رغم ما كان يعانيه من ازمات ، وما جرته عليه نكبة القضاء من ويلات . (كنت بايلان في مجاعة سنة خمس او ست وثلاثين وخمسمائة ، وقد ضاقت الارض برحبها على المساكين ، ومادت بعطفي شرقها وغربها على المحتاجين ، فحشر الينا زمر منهم وعمهم البلاء ؛ وكنت بدار غربة ، في حال كربة ؛ فرأيت ان الذي يلزمني واحد منهم ، فأخذت اثنين ؛ وكنت اقوتهم كل يوم رغيفين ، الا ان تأتيني زائدة من فائدة ، فتكون عليهم منها عائدة) (9) .

وازاء الغارات التي كانت تقوم بها القوات الصليبية في جنح الظلام على المدن الاندلسية ، بقصد النهب والتخريب ، يساعدهم في ذلك المعاهدون المواجدون بهذه المدن — قدم رئيس فقهاء الاندلس ابو الوليد بن رشد (الجد) الى علي بن يوسف بن تاشفين مشروعا كان مما تضمنه :

1 — اجلاء المعاهدين عن ديار الاسلام لنقضهم العهد ، ومساعدتهم لاعداء المسلمين .

2 — تسوير المدن تحصينا لها ، وحفظا لامنها (10) .

فتقبل الخليفة المشروع ، وأمر بتنفيذه في الحين فأجلى المعاهدون اينما كانوا ، فأكلتهم الاسفار، وحاق بهم سوء مكرهم !

ووقع المشروع في بناء أسوار المدن ، لكن الامناء لم يحسنوا التصرف في ذلك ، فضاعت اموال في هذا السبيل بدون جدوى ، وتهدم اكثر ما بني (11) .

ولما ولي أبو بكر بن العربي قضاء اشبيلية ، كان من مشاريعه الاصلاحية بناء سور المدينة ، فأنفق عليه من ماله الخاص ، وعندما نفذ ما كان بيده، اغتنم فرصة عيد الاضحى ، فدعا الناس الى التبرع بجلود اضاحيهم لاتمامه — وهو احق ما تنفق فيه ؛

---

(5) ابن عذاري ، البيان المغرب 4 / 93 — 94 ، وانظر العارضة 5 / 303 ، والاحكام 1 / 22 .
(6) نفس المصدر .
(7) الاحكام 4331 .
(8) محمد بن جعفر الكتاني ، رسالة في المواساة ص 5 ؛ وانظر السلوة 3 / 198 .
(9) نفس المصدر .
(10) البيان المغرب 4 /92 — 93 .
(11) نفس المصدر .

لكن الحسدة ومرضى القلوب دفعوا بالعامة الى الشغب ، وحرضوهم على التمرد والعصيان ، واوعزوا اليهم ان يهاجموه في عقره ، فثوروا عليه الدار ، ونهبوا كتبه وماله ؛ وكادوا يفتكون به ، لو ان تستر بحريمه ؛ وهي من النكبات التي اصابته ، فاحتسبها عند الله ! (... ولقد حكمت بين الناس فالزمتهم الصلاة ، والامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، واشتد الخطب على اهل الغصب ، وعظم على اهل الفسق الكرب ؛ فتالبوا واليوا ، وثاروا الي ؛ فاستسلمت لامر الله ، وامرت كل من حولي ان لا يدفعوا عن داري ، وخرجت الى السطوح بنفسي ، فثاروا علي ؛ ولولا ما سبق من حسن المقدار ، لكنت قتيل الدار ؛ وكان الذي حملني على ذلك ثلاثة امور :

1 — وصية النبي (ص) — أي بالكف عن القتل في الفتنة .

2 — الاقتداء بعثمان — حيث استسلم لامر الله ، وامر من حوله ان لا يدفعوا عنه .

3 — سوء الاحدوثة التي فر منها رسول الله (ص) المؤيد بالوحي ، فاني خشيت ان يقال : ان الناس جاءوا مستغثين به ، فاراق دماءهم) (12).

انصراف ابن العربي عن القضاء والتحاقه بقرطبة :

وهكذا لم تمض سنة وبضعة اشهر (13) على ولايته القضاء ، حتى ثارت الغوغاء في وجهه ونكب ، فانصرف عن القضاء او صرف عنه ، والتحق بقرطبة وبها كثير من تلاميذه ومعارفه ، فانقطع للعلم والبحث. وقد استراح من اعباء القضاء التي كادت تنسيه كل شيء ! (... اذا ولي القاضي عامين ، نسي اكثر ما كان يحفظ ، فينبغي ان يعزل ويتدارك نفسه) (14). على ان ايامه كانت ايام عدل وانصاف ، ونشر للامن ، وبسط للطمانينة . (.. وقد شاهدتم منا اقامة العدل ، والقضاء . ولله الحمد — بالحق ، والكف للناس بالقسط ؛ وانتشرت الامنة ، وعصمت المتعة ، واتصلت في البيضة الهدنة ..) (55) .

ومن تلاميذه الذين وقفوا بجانبه ، واخلصوا له في جهاده الاصلاحي ، الحافظ المؤرخ ابو القاسم بن شكوال ، وقد ولاه خليفة عنه في بعض جهات اشبيلية (16) .

وكان لابن العربي خاتم منقوش فيه : (محمد ابن العربي) (17) .

وولي قضاء اشبيلية — بعد ابي بكر بن العربي — عبيد الله بن خلف من اهل البشر — عمل بطليوس ، وعرف بابن الموصلي ، استقدم لذلك من بلده بالثغر ، فقيل في ولايته شعر (18) .

وما ان استقر بابن العربي القضاء بقرطبة ، حتى تواردت عليه وفود من الطلاب ، واضحى بيته كعبة الواردين ، وملجا الوافدين ، وكانت مجالسه العلمية لا تكاد تنقطع ليل نهار ، الى جانب ما كان يقوم به من بحث ، وما يعانيه من تاليف .

ويصور لنا بعض تلاميذه هذه الحياة الصوفية ، التي كان يعيشها ابن العربي في خلوة العلم والبحث فيقول : (.. وكنا نبيت معه في منزله بقرطبة ، فكانت الكتب عن يمينه وعن شماله ، وكان لا يتجرد من ثوبه ، وكانت له ثياب طويلة ، يلبسها بالليل ، وينام فيها اذا غلبه النوم ، ومهما استيقظ ، مد يده الى كتاب ، وكان مصباحه لا ينطفىء الليل كله) (19)

عودة ابن العربي الى اشبيلية ، وتفرغه للبحث والتاليف :

ولم تطل اقامة ابن العربي بقرطبة ، ولعل انتقاله اليها كان مؤقتا — ريثما تهدأ العاصفة ، وتعود

---

(12) العواصم من القواصم 2 / 137 .
(13) البيان المعرب 4 / 93 .
(14) الضبي ، بغية الملتمس ص 83 .
(15) الاحكام 2 / 134 .
(16) التكملة ص 36 — 307 .
(17) العارضة 1 / 29 .
(18) التكملة ص 935 .
(19) البغية ص 83 .

المياه الى مجاريها ؛ فلم يلبث أن عاد الى اشبيلية بلده ، وبنى به مسجدا ، اكتظت جوانبه برواد المعرفة ، واتصلت حلقاته في التفسير ، والحديث ، والفقه ، والاصول ، وعلم الكلام ، واللغة ، والادب ، والاخبار والسير ، وما اليها ؛ وهذه الفترة من أخصب فترات حياته ، وفيها انم اكثر مؤلفاته .

وهنا ينبغي ان نشير الى ان الكتب التي اقراها سواء باشبيلية ، او قرطبة ، او سبتة ، او فاس ، او تلمسان ، او سواها ؛ كانت من الوفرة بحيث يصعب على المرء عدها - وجلها مما استورده من بلاد المشرق؛ ويكفي ان نعرف ان احد طلابه ، لازمه حتى استوفى عليه اكثر من مائة كتاب (20) .

واورد ابن خير في فهرسته - وهو من تلاميذه - نحو مائة وخمسة وعشرين مؤلفا بأسانيدها المتصلة، وهي كلها مما سمعه عليه (21) .

ولعل اهم هذه المؤلفات - وهو مما لم يذكره ابن خير في فهرسته - كتاب الاسرار في الفروع والاصول ، وربما كان اول مؤلف في الخلافيات دخل المغرب ؛ وينوه ابن العربي بشأنه ، ويذكر انه لما اقراه بفاس وتلمسان ، اعجبوا به وكثر حرصهم عليه (22) ؛ ولكن ابا بكر كان ضنينا به ، لا يكاد يخرج من يده ؛ مما دفع ببعض الطلاب الى ان يشد الرحال الى بغداد ، ولم يكن غرضه الا نسخ هذا الكتاب ؛ فانتسخه من المدرسة الحنفية - وهو عدة اجزاء ، يقع في نحو الف ورقة ؛ واتفق ان ضاع قسم من نسخة ابن العربي ، فاستعان بنسخة تلميذه - رغم ما كان بها من تحريف : (وكان ذلك من جميل صنع الله معي) (23) .

وهذا العمر الطويل الذي قضاه ابن العربي في التدريس والتعليم ، جعل تلاميذه واصحابه في كل جهة ومكان ، ولا يكاد يخلو منهم بلد ؛ واذا كنا لا نستطيع ان نوفي القول عنهم ، فلنقل كلمة عن المتاخرين منهم .

اشهر تلاميذه :

ومن الذين تتلمذوا له وكانوا في مصاف اشياخه :

1 - ابو القاسم محمد بن عبد العزيز الانصاري ، اصله من دروقة - عمل سرقسطة ، سكن ابوه قرطبة، وكان من اهل التحفظ للحديث ، توفي قبل (520) (24)

2 - ابو بكر محمد بن خلف بن سليمان بن فحون من اهل اوريولة ، اجاز له ابن العربي ، وهو من مشايخ الاندلس الحفاظ (ت 520 هـ) (25)

3 - ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن خلصة اللخمي من اهل اشبيلية ، سمع ابا بكر وصحبه ، وكان يجله ويثني عليه - لعلمه وتقدمه في صناعته ؛ له رسالة انتقد فيها كتاب (الانتصار) لابن السيد البطليوسي ، الذي رد فيه على ابن العربي (26) ، وهي - كما يقول ابن الابار - من اجود الرسائل . (ت 521 هـ) (27) .

4 - ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن سعيد المعروف بابن زرياب ، لقي ابا بكر وتناول منه مختصر ابن ابي زيد ؛ وكان من اهل العلم والفضل ، فقيها مشاورا . (ت 522 هـ) (28).

---

(20) التكملة ص 493 .
(21) انظر الفهرسة ص 445 .
(22) انظر سراج المهتدين لابن العربي (مخطوط خاص) .
(23) نفس المصدر .
(24) ابن الابار ، التكمه ص 160 ، المعجم في اصحاب الصدفي ص 112 .
(25) بغية الملتمس 63 ، الصلة 547 ، المعجم 110 ، الوافي بالوفيات 3 / 45 .
(26) كتب ابن العربي حواشي على شرح ابن السيد لسقط ابي العلاء المعري ، ينقده فيها وينتبع عثراته . فوضع ابن السيد كتاب « الانتصار » للرد عليه .
(27) التكملة ص 160 ، الوافي بالوفيات 3 / 332
(28) التكملة ص 427 .

5 ــ ابو نصر الفتح بن خاقان ، اجاز له ابن العربي وهو من ادباء الاندلس الاقدمين . (ت 528 هـ) (29) .

6 ــ ابو عبد الله محمد بن الحسين بن ابي اليفاع الاموي ، من اهل اندة ــ عمل بلنسية ، ولي الاحكام باشبيلية . وفي جهات اخرى من الاندلس ، كان فقيها فاضلا ، ضابطا لما يرويه (ت 545 هـ) (30) .

7 ــ ابو عبد الله محمد بن مفاور بن حكم بن مفاور السلمي ، من اهل اشبيلية ، كان فقيها عالما بالمذهب ، محصلا لرواياته ، بصيرا بعقد الشروط ، راسا في الفتوى ، صدرا في الشورى . (ت 536 هـ) (31) .

8 ــ ابو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله بن يوسف التميمي السرقسطي ، كان رحالة في طلب العلم . (ت 538 هـ) (32) .

9 ــ ابو الخطاب محمد بن عمر بن واجب القيسي من اهل بلنسية ، لقي ابا بكر عند قدومه على بلنسية سنة (522 هـ) ، فتاوله واجازه . وكان نبيها نزيها ، ولي قضاء اوريولة واليسانة . (ت 539 هـ) (33) .

10 ــ ابو مروان عبد الملك بن سلمة الاموي ، المعروف بابن الصقل ، من اهل وشقة ، كان فقيها اديبا فصيحا ، من اهل الفهم والحفظ ، مع الضبط والاتقان (ت 540 هـ) (34) .

11 ــ ابو القاسم محمد بن ابي بكر بن سميدع ، من اهل برشانة ــ عمل المرية ، كان من اهل النباهة والوجاهة . (ت 540 هـ) (35) .

12 ــ ابو بكر بن جعفر بن الحسين الاموي من اهل اندة ــ عمل بلنسية ، كان رجلا صالحا ورعا . (ت 540 هـ) (36) .

13 ــ ابو الحسين محمد بن واجب القيسي ، والد ابي الخطاب (احمد بن محمد) ، من اهل بلنسية ، استجاز لنفسه ولابنه ابي الخطاب ابا بكر بن العربي ، وكان حافظا للفقه يستظهر مختصر المدونة للبراذعي ، توفي في حدود سنة (540 هـ) (37) .

14 ــ ابو الحكم عبد الرحمن بن عبد الملك الانصاري السرقسطي ، المعروف بابي غشميان ، الراوية المسند ، لقي ابا بكر بن العربي بقرطبة سنة (518 هـ) فاجاز له . (ت 541 هـ) (38) .

15 ــ ابو الشعاب ادريس بن يحيى بن يوسف من اهل انبسة ، سمع من ابي العربي سنة (531 هـ) ، وقد اسن ، وكان يتجول في البلاد للوعظ والتذكير ، فنفع الله به (39) .

---

(29) المعجم 133 وانظر في ترجمته : المغرب في حلى المغرب 1 / 254 ؛ ووفيات الاعيان 3 / 194 ، ونفح الطيب 7 / 29 ــ 35 .

(30) التكملة 170 .

(31) التكملة 172 .

(32) المعجم 144 ــ 145 .

(33) التكملة 176 ؛ شجرة النور 134 ــ 135 .

(34) التكملة 611 ؛ غاية النهاية 1 / 468 .

(35) بغية الملتمس 136 ؛ المعجم 155 .

(36) التكملة 1 / 241 ــ طبع مصر .

(37) التكملة ص 179 طبع مجريط ؛ شجرة النور 134 .

(38) بغية الملتمس 355 ؛ المعجم 247 .

(39) المعجم 68 ــ 69 .

16 ـ ابو محمد عبد الله بن علي الرشاطي ، من اهل اوريولة ، سكن المرية ، جار له ابن العربي وسمع سماعاته ؛ وكان من اهل الحفظ والاتقان . (ت 542 هـ) (40) .

وكل هؤلاء ـ كما ترى ـ اخذوا عنه ، وكانت وفاتهم قبله ؛ وممن يدخل في هذا الاطار ـ اعني تلاميذه الذين سبقوه في الوفاة ـ .

17 ـ ولده ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن العربي ، كان من اهل النباهة والجلالة .

معنيا بالرواية وسماع العلم ؛ قتل خطأ يوم ان دخلت اشبيلية على المرابطين سنة 541 هـ) ؛ فثكله ابوه ؛ وحسن صبره عليه (41) .

ثم ياتي بعد هؤلاء ، كل الذين تتلمذوا له ، وتاخرت وفاتهم عنه ، فلندع الحديث عنهم الى عدد قادم يحول اليه .

تطوان : سعيد أعراب

(40) البغية 336 ، المعجم 227 ، شجرة النور 135 .
(41) التكملة ص 371 .

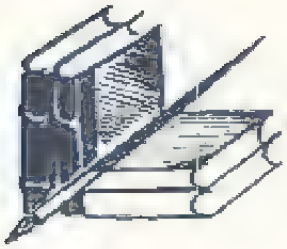

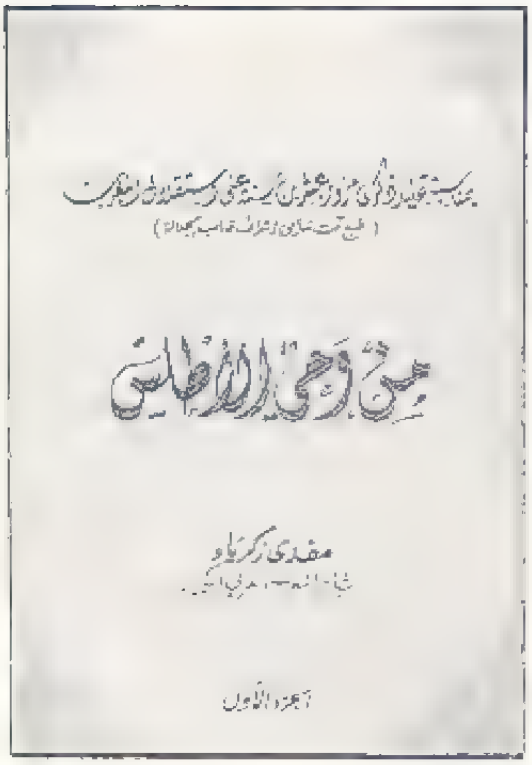

التقريظ
اسم بريخه
اسم ثانية
قصر ديوان
من وحي
الأطلس

دراسة تحليلية لشعر مفدي زكريا

الدكتور عباس الجراري

قد يبدو لاول وهلة ان الظرف غير مناسب لتقديم ديوان شاعر ينتسب الى الجزائر . الا ان شقيقي في تقديمه ان المغاربة ــ وان اساء اليهم حكام هذا القطر ، واتخذوا منهم موقف من لا يرعى للجار حرمة ولا يحفظ للقرابة ذمة ــ ظلوا حريصين على صلتهم بالشعب الجزائري الشقيق ، ويقيم هذه الصلة عندهم تمتاز بكرم الشيم ونبل المشاعر . وشقيقي كذلك ان صاحب الديوان ــ وهو الذي أنشد وحدة اقطار المغرب العربي منوها بما الته هذه الاقطار من بلاء حسن في سبيل تحررها وبما اصلته من مفاخر وامجاد ــ بامسى لاشك اسمى جارحا لما يتنكر له اولئك الحكام من مبادىء وقيم ، ويالم انما مبرحا بما يصيب صرح امانيه الشاسعة العذاب من انهيار واندثار . وشقيقي بعد هذا ان اتشاعر صميم بلادنا معجب شديد الاعجاب بما تحققه في مضمار التقدم والرقي . وقد اعنى في تلك الصبابة وهذا الاعجاب حللا شعرية رائعة تستحق ان يقف حيالها القارىء المغربي وقفة التملي والاستمتاع .

على ان هذا الظرف بالذات ربما كان انسب الظروف لتقديم هذا الديوان الطافح بالوان من عواطف الاخلاص والوفاء واصناف من مشاعر التقدير والاكبار لوطننا الذي تتربص به اسوا الدوائر فئة لا تقيم وزنا لمكارم الاخلاق .

واود في بداية هذا التقديم ان اسجل حقيقة ليس في ظني من ينكرها ، وهي ان مفدي زكريا شاعر الجزائر الاول وشاعر ثورتها دون منازع . فقد كان لسان حال بلاده منذ بدا يدب الشعور الوطني والقومي في شعبها المكلوم ، حيث اخذ يوعيه بحقيقة تاريخه وواقع وجوده ، ويبث فيه من نفح البطولات والامجاد ما يوحد بين احساسه بالذات والكرامة وتحثه على التطلع لاستشراف المستقبل واسترداد الامل ، ومن ثم للتمرد والتوثب لاسترجاع الحق السليب .

وكان مفدي في سنوات الثلاثين ، وهو يعمل في الصفوف الوطنية ، داخل هيئة « نجم شمال افريقيا » ثم « حزب الشعب الجزائري » يحمل لواء النضال ، يحض على الثورة ويدعو اليها غير قانع بالعمل السياسي الذي كان ينهض به الحزب في نطاق التوعية الوطنية والتعبئة الشعبية .. ولعل نشيد « من جبالنا » خير برهان على ذلك ، فقد وضعه سنة 1932 وظل ابناء المغرب العربي يتداولونه خلال سنوات الكفاح الطويلة . ومثله النشيد القومي الذي نظمه في السجن عام 1937 ، وكانت جبهة التحرير قد اصدرت الامر سنة 1956 الى المحكوم عليهم بالاعدام ان يرددوه قبل الصعود للمقصلة باعتباره النشيد الرسمي للبلاد ، وهو الذي اوله :

اعصفي يا رياح ... واقصفي يا رعود (1)

والشاعر زكرياء ــ وهو مرهص الثورة ومنمي مخاضها ومفجر انطلاقتها ــ لم يكن ليفاجأ بها عند

(1) ديوان « اللهيب المقدس » ص 84

اندلاعها ؛ كما لم يكن ليحاول استجماع قواه حتى يسايرها كما فعل الكثيرون ، ولكنه كان في ظليعتها يتبادل مع المجاهدين شحنات التعبئة في تجاوب بين وقع الكلمة الصادقة المنغمة وايقاع السلاح الصاحب المدوي في قمم الجبال ومخابيء السهول ومخلف تلاع الفداء والنضال ؛ وكان بذلك مستعدا ليتعطف بشعره في خط سير متطلع رائد ، يستكشف ويستشرف ليعطي الثورة ابعادا تاريخية يرتبط بها مصير شعب يولد من جديد ، وكان في هذه المرحلة يبدو وكأنه يلوذ بالصمت او يدعو له ، خاصة حين يقول :

نطق الرصاص فما يباح كلام
وجرى القصاص عما يتاح ملام

او حين يضيف مستلهما ابا تمام :

السيف أصدق لهجة من أحرف
كتبت فكان بيانها الابهام (2)

ولكنه في الحقيقة لم يعبر كذلك الا ليبرز مدى فعالية الكفاح المسلح في تقديس المعتقدات :

وتكلم الرشاش جل جلاله
فاهتزت الدنيا وضج النير

وتركت أنابيب الرصاص
بواحه أصفى لها المستعمر

وانار للام المجرمين سبيلها
كوى لها العظم الكسير فبرا (3)

وهو بذلك يعرب عن انصهاره في الثورة الى حد جعله داخل سجنه يصعد مدها الهادر بالكلمة الصاعقة يخرق صداها جدرانه ليدوي في كل مكان . ويصعد هذا المد كذلك حتى حين ينتشي بما يلقى من محنة وعذاب في نفس رومانسي حالم على غرار ما نقرأ له في قصيدته « الذبيح الصاعد » ومطلعها :

قام يختال كالمسيح وليدا
يتهادى نشوان يتلو النشيدا (4)

وواكب مفدي مسيرة الجهاد بفنيها وبحثها وينظم لها القصائد والاناشيد ؛ وفي مقدمتها نشيد « فاشهدوا » (5) الذي اصبح النشيد الرسمي للثورة ؛ ونشيد « عشت يا علم » (6) الذي غدا التحية الرسمية لعلم الجزائري ؛ وكلاهما من ابداع الشاعر في السجن ، وقد اتيح له ان يجمع كثيرا من تلك القصائد والاناشيد في ديوانه « اللهب المقدس » (7) ؛ وان يتوج شعره في حرب التحرير الوطنية بنشيد الاناشيد او اليادة الجزائر (8) .

من هذا المنطلق « الجزائري » والمنظور « الثوري » لم يكن يرى الشاعر قضية بلاده ـ نضالا ومصيرا بل وجودا واستمرارا ـ الا مرتبطة بالمغرب العربي الكبير . وفي احضان شقيقتيها المغرب وتونس ، فقد يتغنى بوحدة هذه الاقطار ، رافعا لواءها منشدا مشيدا :

وتعبأت منذ فجر شبابي
بالتحام القوى ودعم الجهود

لم ازل صادحا على كل غصن
من ربي المغرب الكبير العتيد (9)

—x—

انا في المغرب الكبير نشيد
بترامى صداه للاحقاب

ونداء لوحدة الصف يسمو
للنهايات دون اي حساب (10)

---

(2) اللهب المقدس ص 42 ـ 43
(3) اللهب المقدس ص 134
(4) اللهب المقدس 9
(5) اللهب المقدس 71
(6) اللهب المقدس 75
(7) طبع مرتين : الاولى سنة 1961 والثانية في الجزائر عام 1973 ، وهذه هي التي رجعت اليها
(8) نظمها بمناسبة الذكرى العاشرة لاستقلال الجزائر وقدمها للملتقى السادس للشعراء على الكر الاسلامي سنة 1972 وهي منشورة في المجلد الاول من سجل هذا الملتقى ، وتتكون من الف بيت وبيت
(9) من وحي الاطلس 41
(10) من وحي الاطلس 51

اما تونس ، وله فيها ذكريات ترجع في الاصل الى ايام الدراسة ، فابدع في ربوعها الخضراء ، روائع تمجد بطولاتها واعيادها الوطنية ومواقفها القوميـــه وتضال رجالها ورئيسها الحبيب ، فكـــان ديوانـــه « تحت ظلال الزيتون » (11) .

واما المغرب فقد لجا اليه الشاعر في قمـــة احساسه بالمقاومة ومعاناته لعنفها ، فاتيح لـــه في رحابه ان يسترد انفاسه اللاهثة ليستمر في موقفه الثوري بنميه على ارضه الموحية دائمـــا بالكفـــاح والجهاد ، وان يستقي منه ـ وهو يبني استقلاله ـ نبضا جديدا لثورة بلاده ، ويستشف آفاق مستقبلها .. فقد وجد في دأب المغرب على البناء ما يشبـــع عنده روح الثورة والنضال ، كما وجد في موقفه من حرب تحرير بلاده الدافع والحافز والسند الحق ، بل وجد هذا الموقف منعكسـا على الادب المغربـــي ـ شعره ونثره ـ بقوة وتدفق وتلقائيـــة وفي روح عصامي وخط وحدوي لا حدود لابعاده .. كذلـــك تظر الشاعر الى المغرب من خلال ما يتمتع به مـــن عراقة حضرية واصالة ثقافية ، وما له من امكانيات طبيعية ومقدرات بشرية ، وما له من قيـــم رفيعـــة وشيم نبيلة ، ومن خلال الرسالة التاريخية التـــي تحملها على مر الحقب والازمان ، فاعتبره مناط امل الوحدة التي طالما حلم بها ، فزاد به تعلقه واحبه ولم يلبث ان ابدع في اطار ذلك كله ، فكان هذا الديوان « من وحي الاطلس » .

ومفدي في ديوانه المغربي ـ وللحوافز المشار اليها ـ ينطلق من تجربة حقيقية صادقة غير مفتعلة ولا مصطنعة ، ومن ثم لا نعجب اذا وجدنـــا معظـــم القصائد والاناشيد التي جمعها فيه تدور في النطاق الوطني ومناسباته المختلفة ، وموجهة في الغالب الى الملك المغفور له محمد الخامس ، والى جلالة الحسن الثاني نصره الله بصفة خاصة .

ومثل هذا الشعر داخل لا شك في اطار فـــن المدح ، وقد ادرك الشاعر حتميات هذه الظاهـــرة وابعادها ، واحس بنظرات شازرة توجه اليـــه فبادر الى الرد للتبرير والدفاع :

وقالوا مدحت الملكين اجبتهـــم
هل المدح في غير الامجيد من شاني

اذا ما استقام الملكون مدحتهـــم
وصفت مديحي من قواعد ايمانـــي

ولولا كفاح ما مدحت محمـــــدا
ولاجئت بالآيات في الحسن الثاني (12)

×

ولم امدحك عن ملق وزلفـى
فمدح الاكرمين لدى نبيـــل

وقالوا كم مدحت رجال حكـــم
وقول العاذلين لدى يحلـــو

نعم صدقوا ولم تكن السجايـــا
بغير رجالها قيما تجـــــل

ومن تجر البطولة في دمـــاه
اذا ما مجد الابطال يعـــــل

ومن الف الكفاح يسود كفاحـــا
بمدح رفاقه ايمان طـــرا (13)

— × —

وعودني نضالي في بـــلادي
على مدح البطولة في الرجال (14)

×

مدح البطولة رفعه وكرامـــــة
لولا البطولة ما ارتفعت خلودا (15)

واذا كنت في غير حاجة الى ان اؤكد ان فـــن المدح انزلق عبر مراحل تاريخ الادب العربـــي الى مهاوي التزلف والكذب ، فاني في حاجـــة الـــى ان الفت النظر الى ان بعض الشعر الذي يدخل بمعيار المقاييس التقليدية في نطاق هذا الفن هو في صميم الشعر الوطني ، لاسيما اذا كان مبدعه يبثه القيـــم والمبادىء التي يؤمن بها ، ويعبر عن الاماني والمطالب التي تناضل الامة من اجلها ، في توجيه وتكليـــف

(11) طبـــع في تونـــس بدار النشـــر 1965
(12) من وحـــي الاطلـــس ص 28
(13) من وحـــي الاطلـــس ص 77 ـ 78
(14) من وحـــي الاطلـــس ص 88
(15) من وحـــي الاطلـــس ص 105

للممدوح وتحميله المسؤولية ، ثقة فيه وفي قدرته على تحقيق تلك الرغبات ، باعتباره شخصية فذة تلتف حولها الجماهير وتعلق عليها الآمال .

واذا كنت اضع في هذا الاطار جل الشعر الذي قاله زكرياء ، فلاني لا انسى جانبين اثنين لا شك انهما يزيدان في تاكيد ما اقول :

اولهما : ان توفر عنصر الصدق غير مشكوك فيه بالنسبة لهذا الشاعر الذي نشأ في احضان الحركة الوطنية وارهص للثورة وبشر بها وعايش التجربة النضالية في معاناة حقيقية ، سواء خارج الجزائر او داخلها وفي غياهب السجون .

الثاني : ان روح معظم هذه القصائد يكشف ان الشاعر لم يبدعها بدافع التملق والتكسب او بحافز الرياء والبهتان ، ولكن تمجيدا للمنجزات والاعمال ، وتاكيدا على القيم والمبادىء ، وتجاوبا مع الجماهير المتوثبة ، وانفعالا بالمواقف القومية ، وتطلعا لآفاق المستقبل من خلال زاوية ثورية قوية ورؤيا وحدوية واضحة .

من هنا كان ينطلق في قصائده من المزج بين الملك والشعب ، او هو ينظر الى هذا من خلال ذاك ، جاعلا حافزه الى القول ما بينهما من تلاحم وانصهار :

فان امدحك امدح فيك شعبا
رايتك ذبت فيه وفيك ذابا (16)

—×—

انا صدقت يوم صدقت بالشعـ
ـب وقدست وحيه في كتابك

انا ايقنت يوم ايقنت ان الحـ
ـكم للشعب وحده فسما بك (17)

واذا كان القارىء يستطيع بنظرة سريعة في الديوان ان ينتهي الى ان الشاعر لم يترك مناسبة دون ان يعرض للمشاريع والمنجزات والقضايا المختلفة في تتبع وتجاوب واعجاب ، مما يجعلني في غنى عن التمثيل لذلك ، فاني لا املك الا ان اسجل حضوره المستمر في الساحة الوطنية من خلال مشكل الصحراء وما افضى اليه بعد ظهور الحق من حل ابداعي اصيل ومعجز متمثل في المسيرة الخضراء :

صحراؤنا دنس الغربان حرمتها
وخانها من الى جلادها ركنوا

قالوا براح وفي دعواهم كذبوا
لابدع فالمين من اخلاقهم سن

سلوا الوثائق فالتاريخ يحفظها
وسائلوا الكون عنها يشهد الزمن

واستفت الاهاي واستنطق براهينها
تنبئك من نبتوا فيها ومن سكنوا

دم المغاربة الابطال ضمخها
وما استكانوا لظلام وما وهنوا

قالوا اقتراع فقلنا بل نقارعكم
فتهزمون وتبغي اللحد والكفن (18)

—×—

فقاد مسيرة خضراء تعلو
بها الرايات والذكر المجيد

بها الاكباد تنصب انصبابا
فيدهش من شجاعتها الوجود

فلا تعجب لمعجزة بشعب
تسير المعجزات كما يريد (19)

وكان قبل ذلك وفي اكثر من مناسبة قد طرح وحدة المغرب العربي :

يا من رعى الوحدة الكبرى وآزرها
فاخضر من عودها دوح واغصان

(16) من وحي الاطلس ص 46
(17) من وحي الاطلس ص 25
(18) ص 115
(19) ص 137

فليصنع المغرب الجبار وحدته
ما دام يرعى ذمام الجار جيران(20)

—x—

والوحدة الكبرى رفعت لواءها
ورسمت منهاجا لها واصولا (21)

كما سجل موقف المغرب الرائع في حرب رمضان :

يقود الثائر الحسن المفدى
جحافلها فيرتعش الوجود

الى سيناء تنصب السرايا
الى الجولان تندفع الاسود (22)

وفي هذا الاطار القومي الوحدوي يهفو الشاعر في نبل ووفاء الى ان يعرب عن العرفان بالجميل ويذكر بحقائق التاريخ الحي النابض ، فلا يجد اروع من فرصة الترحيب بجلالة الملك في الجزائر :

يا هابطا ارض الجزائر مرحا
ارض الجزائر مهبط الشجعان

فانزل عزيزا في بلادك مكرما
لك في الجزائر حرمة وتهاني

فاقبل هتافات الوفود تحية
وكرامة لشبابك الربان

واسمع لروح محمد صلواتها
ومحمد من اخلص الاعوان

قد كان اول من اجاب نداءها
وابيت الا ان تكون الثاني

ان الجزائر في الوفاء نبيلة
لم تنس ناصرها على الطغيان (23)

ومفدي زكرياء في ثنايا هذا وغيره مفتون بالمغرب محب لشعبه ، لا يدع اية مناسبة دون ان يعبر عن هذا الحب والافتتان ، ودون ان يتغنى بجمال طبيعته وروعة مدنه ومروءة اهله ، لينتهي من ذلك الى انتساب وايمان واقتناع بتفرد هذا البلد في الوجود :

وطني مغربي واهلي بشره
ان ما بي من حبه مثل ما بك(24)

—x—

بلاد عرفت الله في قسماتها
وآمنت ان الله ليس له ثاني(25)

والحق ان مثل هذه النفثات الذاتية تضفي على قصائد الشاعر المفعمة بروح الوطنية والثورة خفقات حلوة جذابة ، وهي ظاهرة تتسع عنده سواء في هذا الديوان او غيره ، فيميل — وان في حدود — الى المزج بين الاحاسيس الذاتية والجماعية ، او بين الحب والنضال فيما هو شبيه بتمهيد او مقدمة غزلية تقليدية ، وهو في الواقع تركيب بين التجربتين الشعورية والثورية يحث باحكامه على تفجير شحنات عاطفية قادرة بفيضها الفعال ان تعمق الانفعال وتغني مجال التعبير ، في الحاح على الامل ، وفي اطار انساني بارز الملامح .

اكثر من هذا ان الشاعر حرص على ان يضم ديوانه باقة من شعره الوجداني الصرف ، واظنه كان قبل يجد حرجا في نشره ، وهو ان لم يكن جزءا من مجموعه « الخافق المعذب » المحتوية على شعر شبابه وهواه ، وقد ذكر في آخر « اللهب المقدس » انه يعدها للطبع ، فهو مما ابدع في المغرب ، شانه في ذلك شان الجزء الديني الموسلي الذي حتم به ، ومن ثم اراد ان يدمجها في هذا الديوان المستوحى من الاطلس الذي وجد الشاعر في ربوعه الطمانينة وهدوء النفس وامكان الخلو الى العذاب والانطلاق في التعبير عنها .

(20) ص 67
(21) ص 38
(22) ص 136
(23) ص 39
(24) ص 26
(52) ص 29

وملاحظة المزج بين المشاعر الذاتية والجماعية عند زكرياء تفضي بي الى تسجيل ظاهرة تعدد الاغراض في النص الواحد ، ولكن دون احداث خلل في وحدته العضوية . وهي وحدة ناتجة عن وحدة الاحساس وتكامل التجربة ؛ حيث تبدو الاغراض داخل هذه الوحدة متناسقة ومتساوقة ، ويبقى بناء قصيدته متراصا ومتماسكا في اجزاء متكاملة ، بدءا من الحرف والكلمة الى الشطر والبيت ، وفي سياق وشعور موحدين ،، وهذا يكشف عن قدرة الشاعر على التحكم في انفعالاته مهما كان ضغطها واثارتها للقول.

وقد اختار مفدي لهيكل بناء قصيدته اطار العمود التقليدي . في محاولة احيانا للتنويع والتلوين داخل هذا الاطار ، وخاصة في الاناشيد او ما هو شبيه بها مما يعتمد القوافي المتغيرة والمقاطع المفصولة بلازمة في الغالب .

واذا كان الشكل تقليديا فالمضمون جديد ما في ذلك شك ، وهو مضمون يكشف بثوريته القوية الواضحة عن مدى تجاوب الشاعر مع عصره وشعبه وقضاياه ، بل ان هذا المضمون بطغيان روح المعاصرة عليه يكاد يشفع له عدم ابتعاده عن النمط العمودي ؛ ولعله حتى من خلال المنظور الجديد لا ينبغي التحامل على عمودية مفدي ، فقد جاءت انسب اطار لقصائده الوطنية الجماهيرية ، لما تقتضي من انشاد وحماس واسلوب مباشر يتسم بالخطابية والتقريرية ، حيث يلح على التكرار والتأكيد والرد والتنبيه ، وكذا على التعجب والنداء والاستفهام والانكار ، ثم على التحريض والامر والنهي والنفي ، وهي جميعا صيغ تسعف في التوعية والايقاظ والاثارة والاستنفار والتفجير والحث على الجهاد والنضال .

ومع ذلك ، ففي غير الشعر الوطني ، وخاصة في وجدانياته ودينياته ، يبدو زكرياء اكثر هدوءا واميل الى ترجيع الاصداء داخل ذاته فيما يشبه التأمل او المناجاة . وحتى في هذا المجال كان الاسلوب الفخم المستمد من حماس الكفاح واوار الثورة يطغى احيانا ، فيبدو غير تام الانسجام وما يقتضي اسلوب العاطفة من رقة وعذوبة ؛ في حين تبدو آثار الهدوء والتأمل واضحة في بعض قصائده الوطنية ولا سيما تلك التي ظهرت فيها ملامح من عواطفه الذاتية متمازجة ومتماوجة مع الاحاسيس النضالية ؛ بل ان الشاعر ليسيطر عليه هذا الجانب في حالات خاصة على حد ما تكشف قصيدته « الذبيح الصاعد » المشار اليها من قبل .

وشعر مفدي بهذا الاسلوب جاء متميزا بموسيقى نظم نبرها ايقاع اوزان مناسبة ، وتطريب تقسيمات مقطعية داخلية ، وتنغيم القافية التي ترد في الغالب متفقة مع ما يقتضي الانشاد من جرس ينسجم وحالة نفسية الشاعر وجماهيره .

ولا عجب — في نطاق الانسجام بين القافية وحال الموضوع والتعبير وحرصا عليه — ان يختار الشاعر روي انثاء لبعض قصائده الذاتية والدينية . فهو بهمسه مناسب لاغراض كالتوسل او التعبير الوجداني الهادىء ، بما يوحي من تأمل وتعمق للاحاسيس ،، وفي هذا النطاق كذلك جاءت بعض قوافيه مستوحاة من موضوع القصيدة كما في بانيتي عيد الشباب (26) ولامية رثاء علال (27) وميميته في برء صاحب الجلالة من سقم كان الم به (28) ، وكذا في لازمات دالية لبعض اناشيده في اعياد ميلاد سمو الامير ولي العهد المحبوب سيدي محمد وصنوه المولى الرشيد (29) ، بل لقد تكرر الدال في احدى هذه اللازمات فشكل قوافي داخلية زادت في تأكيد الانسجام بين الحرف والتعبير .

وقد تبين لي من خلال عملية احصائية لقوافيه ان ازيد من ثلث الديوان ورد على النون وهو حرف ذولقي يوحي بالتطريب والتنغيم ، ثم على الراء وهو حرف يثير نطقه رنينا ووقوعا صوتيا واضحا على السمع ، وبعد ذلك على اللام وهو يقترب من الراء وان شابه النون في ذلاقته ،، ويصل حرص الشاعر على جمال قافيته وتعبيرها الى حد لزوم ما لا يلزم ؛ وله منه قصيدة جمع فيها بين العين الحلقية والكاف الانفجارية ، وهي التي اولها :

هل درى الفجر الذي قد اطلعك
ولد الشعب ام الجيل معك (30)

(26) ص 46 — 51
(27) ص 109
(28) ص 117
(29) ص 147 — 151 — 160
(30) ص 111

وعناية مفدي بموسيقى شعره جعلته يعني بلغته: فجاءت سلسة سهلة ناصعة ، مع جزالة وفخامة ، تثير بدوي كلماتها المشحونة بالنفس الحماسي وتبر تركيبها الصارخ ايقاعا رنانا يلحم بين التجربة والتعبير ، ويصل هذا الارتباط بين اللغة والموضوع في بعض الاحيان الى درجة ايحاء صوت الكلمات وتكرار حرف معين فيها بالمعنى ، على حد ما يكشف عنه تتابع حرف السين ومعه الصاد في هذين البيتين من صفير معبر عن تصويت السلاح وتفشي الموت

وسارت سرايانا لجولان تلتقي
بجولان عزرائيل في ليلة الاسرا

وتسبق اسرافيل ينفخ صوره
فتصعق في سينا ارجفته الصحرا (31)

ومثل هذا التكرار ينصب على كلمات بعينها ، كما في لفظ الجولان في المثل السابق ، وهو كثير عند الشاعر . وقد يتخذ في بعض الحالات شكل تلوينات بديعية كالجناس :

اليس من الخوارق ان نراه
يلاقي النبل لا يلقاه نبل

ومن وهب العناية لا يبالي
ايخشى النبل من يغشاه نبل (32)

—x—

بنادقه لا يبادقه
تجيد مع الضالعين القمارا (33)

—x—

وفي الرباط ارتبطنا طوع مشورها
فان اسواره للمجد اركان

ارسي المحاسن في اعماقها حسن
وصان حرمتها في البرج حسان (34)

وكالجناس في التحسين البديعي تشكيل الطباق والمقابلة ، وللشاعر فيه نموذج زيدوني رائع :

ما للجراحات نخفيها فتبدينا
وللحشاشات ناسوها فتدمينا

وللفواجع نساها فتفجؤنا
وللسهام نفاديها فتصمينا

ولليالي نصافيها فتنغصنا
وللزمان نداريه فيردينا

وللسماوات ندعوها فتكسفنا
وللحظوظ ندانيها فتقصينا (35)

ولعله واضح ان هذه التلوينات المحدودة جاءت عفوية تلقائية لا يقصد بها الشاعر الى التلاعب بالالفاظ وتكلف التزويق بالمحسنات . وهي بذلك تؤكد ان الصياغة عنده لا تطغى على العواطف ، في وقت تساعد على التعبير عن التجربة وعلى اثارة الاحساس بالغيرة والنضال والشعور بالوجود والكرامة وعلى التاثير بذلك في الجماهير وحثها على التجاوب ، كما ان صخب الايقاع في هذه الصياغة الناضجة تداخل مع ضخامة الموضوع ليؤدي في [illegible] التعبيريه ، انطلاقا من معاينة واقع نابض بالحركة والحياة ، ومعاناة صادقة تتسم بالالتحام الحي مع مطامح الامة وظروف نهوضها المتوثب ، بما يحفز على تفجير طاقات الخلق في تشكيل معبر جميل ، وبهذا الدافع ذهب الشاعر الى ابعد مدى فلم يتردد عند مقتضى الحال في ان يتوسل بالتعبير العامي الذي صاغ به نشيد جيش التحرير الجزائري (36) ، بل وضع به ديوانا كاملا هو «اهازيج الزحف المقدس» (37)

وفي هذه العلاقة المنسجمة بين الشكل والمضمون تكمن روعة شعر مفدي — واي شعر — او احدى نواحي روعته وهي عندي بتكاملها الجدلي المقياس الحقيقي لصدق التعبير والجودة الفنيه .

(31) ص 101
(32) ص 77
(33) ص 90
(34) ص 68
(35) ص 11
(36) اللهب المقدس ص 79
(37) ذكر في آخر اللهب المقدس انه بعده للطبع

واذا ما لوحظ على الشاعر من هذه الزاوية عدم التعمق في مضامينه ، حيث جاءت بسيطة تتفق وسهولة اللغة التي سبكها ، فعذره أن شعره يحكي مخاطبته للجماهير ، وحتى يكون قريبا الى النفوس والافهام والعواطف الشعبية ، اتسم في اغراضه كما اتسم في اساليبه بطبيعة تجعله هادفا الى التوعية والانارة وليس الى التفكر والتامل ، وعذره كذلك ان اتساع النطاق في تجربته لم يتح لمعاناته امكان التركيز والتجميع ، وعذره بعد هذا ان المتلقين لشعره يشاركون تجربته ومعاناته ، ومن ثم فانهم لا يحسون بانه يأتيهم بجديد ، وحتى ان اتى به فانهم لا يدركونه او لا يكادون .

ويبقى مفدي مع ذلك صاحب شاعرية مكتملة ناضجة ، ورؤيا واضحة محددة ، وقدرة مقوية على التعبير في صياغة سليمة جذابة وتجاوب تلقائي صادق ، كما يبقى شعره شاهدا على نهضة العصر وولية الشعب ، وصورة حية لمرحلة صاخبة من حياته ، وصفحة فنية من التاريخ تغني مضامين الوطنية والقومية وتوسع آفاقها وأبعادها ، وتعبيرا مستمرا في مسار الكفاح عما تجسده الجماهير وتتطلع اليه في اقطار المغرب الكبير وجميع بلاد العروبة ، ويبقى تبعا لذلك شعرا هادفا لدى دوره ومدى زمان ، واظن انه سيظل حيا في النفوس والالسنة طالما ان بواعثه موجودة تحرك حياتنا نحو الاحسن والافضل ، وهي بواعث خالدة في شعبنا التواق ابدا الى الحرية والكرامة والنضال من اجل المحافظة على مقومات الحياة الشريفة النبيلة .

واعتقد بذلك ان مفدي زكريا يتعدى الاطار المحدود لشاعر الجزائر وثورتها الى اطار شاعر المغرب العربي الكبير ، واكاد اعتقد انه حقيق بمكان طليعي في مسيرة الشعر العربي المعاصر عامة ، وهو اذا كان جديرا بهذا المكان فليس فقط باعتباره شاعر الاقطار المغربية ، بل باعتبار شعره يمتاز بالسلاسة والنصاعة والايقاع المنغم الجميل ، ثم باعتبار هذا الشعر يمثل بحق ، وتحفزا من عاطفة فياضة ، وانطلاقا من تجربة ومعاناة صادقتين روح العروبة المفعم بالتآزر والتضامن ومبادىء الحب والاخاء وشرف الكلمة والرأي ، والمفعم كذلك بوشائج الوحدة ودعائم الكفاح الوطني والقومي والرؤيا الواضحة لآفاق المصير المشترك ، وهي لعمري مقومات نفتقدها — او بعضها — في كثير من الشعر العربي المعاصر ، على غنى اشكاله وغزاره مضامينه .

ولا شك ان ديوان شاعر بهذه المنزلة يحتاج الى دراسة نقدية واسعة عميقة ليس مجالها في هذا التقديم ، ولكن حسبي انني القيت قليلا من الضوء عليه ، ولعلي بذلك ان اكون اعربت عن بعض مشاعر العرفان لشاعر الجزائر الذي حافظ على العهد حين تنكر غيره ، فظل وفيا للمبادىء النضالية الثورية والقيم الوطنية القومية والروابط الاخوية الانسانية ، وما احرى اخراج ديوانه في هذه الحلة القشيبة بأمر مولاي كريم الا مظهر اعتراف لهذا الشاعر الوفي .

الرباط : د. عباس الجراري

صورة جميلة في شخصية :

الحاج أحمد بن عبد النبي

للأستاذ الحاج أحمد بعقيلي

لبى داعي الله شيخ الجماعة بسلا صاحب الفضيلة العلامة النحرير ، المفتي الفقير عضو المجلس الاعلى لرابطة علماء المغرب سيدي الحاج احمد بن عبد النبي ، وافاه الاجل المحتوم صبيحة يوم الاربعاء 21 محرم الحرام 1392 هـ الموافق لـ 8 مارس 1972 .

والحقيقة ان فقدان هذا العالم الفذ ، يعد نكبة كبرى ، لا بالنسبة لمدينة سلا ولكن بالنسبة لبلاد المغرب اجمع ، لانه رحمه الله كان من ابرز علماء هذا العصر ، علما ودراية وارشادا وورعا وزهدا ، ولانه يعدود من الطبقة العليا لعلماء الاسلام بالمغرب في عصرنا . انه الرجل الذي جاهد وكافح طيلة ستين سنة في دراسة العلم وتدريسه ونشر المعرفة ، ويساند الكفاح الوطني الذي خاضه علماء المغرب وتلامذتهم طيلة خمسين سنة ، كان رحمه الله المرجع عند نزول الملمات ، والمسائل الشائكة لجميع الطبقات ، وكان مصلحا ماهرا لذات البين في الاسر والافراد ، يحترمه الصغير والكبير ويطيعونه في تدخلاته وارشاداته ، مرشدا من اجل المرشدين بالافعال قبل الاقوال ، فقيها متمسكا فيه بمذهب مالك ولا يبغي به بديلا ، ومفتيا من انبغ المفتين الذين يشار لهم بالبنان في ارض المغرب . ونوازلي من اعلم المحققين واشهرهم ولا أبالغ اذا لقبته « بمالك الاصغر الثاني في عصرنا » اذ من المعلوم ان هذا اللقب منح وبالحق نزلا على الشيخ العالم الرباني ابي محمد عبد الله بن ابي زيد القيرواني رحمه الله .

من عهده للتفسير والتاويل والسنة وعلم الحديث ومصطلحه ، ومن عهده للعربية او علوم الآلة كما كنا نسميها ايام دراستنا الجامعية الى عهد من قبل ، الى المنطق ، الى الفرائض الحسابية بمتواداتها واشكالها ومدى الجاهلية ، مركز اقوال المالكية بما التفسير مذهبا ، وينقب في كتب السنة عما يساند رايهم ويؤيده ، ويصدر الاقوال وفق التشريع الاسلامي ، انه رايم الله ليضيق القول في تعدد محاسنه وأوصافه وفهمه وذكائه ورشده وورعه وزهده ، وفتاته بالتدريس ودراسة والتدريس حتى ان في مساجد مدينة سلا على كثرتها كانت تبقى حلقته ، وتردهر بمحاضراته العلمية والارشادية ، والمسجد الاعظم بالمدينة يشهد كل ركن من اركانه ، وكل ساحة بحراسته ببدا العالم الشاب بملازمته للتدريس عبد لفنون والعلوم دون ملل وكلل ، ليل نهار ، صيفا وشتاء ، من دروس الاجرومية ، وتلميذه الى مالك الى تدريس متن الشيخ خليل وعلم الاصول ، والبلاغة الى السنة النبوية والسيرة العطرة ومصطلح الحديث ، الى تفسير كتاب الله وتفهم الاحكام منه طبق اتجاهات السنة .

أما الاقتداء وما أدراك يا أبا العباس ، فالمسجل في سيرته أنه لا يمر عليه يوم دون أن يفد الكثير من زواره والمسترشدين بفتواه وتقريراته ، بابه مفتوح للجميع ، وطريقه مشروعة بمسترشد أو سائل ، وهو رحمه الله طوع ارادة الجميع ، لا يستنكف ولا يمل ولا يرد السائل ، ولا يؤخره أو يعتذر له ، مسلكه في الحياة لخير المجتمع ، يقتني سائر حاجاته بيده ويكد على عياله ، ويحمل حاجاته من السوق ، بيده ، فمن ذوي النفوس العالية ، أو هو أني لنا بنظيره أو شبيه ؟ أن يموت رزية أي رزية ، من ذا الذي يكشف الغطاء عن وجهه من العلماء ويستطيع أن يبارز هذا الشيخ براحل العمل المتواصل لخير المجتمع ؟

دأبه وعادته وديدنه نشر العلم وبث المعرفة ، عمر طويل قضاه في اجهاد نفيس النفس على مواصلة البحث والدرس .. تضحيات قل نظيرها في نشر الثقافة الاسلامية والدعوة الى الله ، من هو الخلف الذي سيحاول أن يسير على سلوكه وسيرته من الطلبة في مختلف أقاليمهم وأعمارهم ، يفهمهم الدروس بقدر فهم الشيخ ؟ من هو الخلف الذي سيحمل المشعل متقدا في ساحة العلم بمختلف الوجوه والاحوال الشخصية ؟ من يدرب بعده الطلبة على المناقشة والبحث عن أسرار المشكلات ؟ من يعوض فقدنا مصقع خطبه بالمسجد الاعظم الذي كان يسمع فيه صوته أحداث الرقيق بالخبر من القرن ، والاختصار في العبارات المؤدية لفهم الحقيقة ..

— ٢ —

أما العباس ، سائر الاوساط كانت تعقد فيه العلم والصلاح ، سائر أفراد الامة كانت تنظر اليك ناصر الدين ومرشد الامة ، والمدافع عن الحق والداعي الى الانصاف والتسامح بين الطبقات ، فأعظم به من عالم وأكرم ، أن موته لمن أعظم الكرب والمصائب أن موت العلماء خصوصا بفهم فقدنا وامثاله البررة من الجهابذة الاعلام ومصابيح الظلام ، ثلمة لا تسد ،

فعلى موت هذا العالم الناسك السمح المتواضع يبكي الباكون ، وعلى فقد الاتقياء والمقتين في سلا يأسف الاسفون ، وعلى أخلاقه المحببة ، وسيرته المرضية ، وتواضعه الجم وحسن طلعته ولطف عشرته وتنازله للخاص والعام ، ونظره السديد الى كل المسترشدين الناس سواسية ، احتشم التعهم الخلق»

شخصه لامعة فقدناه ، وسيرة مثلى ونموذج في الحياة يهتدى به ونفتدى خسرناها ؛ فمن لحل المشاكل العويصة — يا أبا العباس ؟ هذه نازلة حلت بمغربنا منذ سنوات ، بثبوت شهر رمضان بعدل واحد ، فسجل رؤيته من بعض القرويين ، فقامت القرية نسجه ، وردد في ثبت وتركيه واستنكار وريب ، هناك ظهرت عبقريتك وسعت فتراك بقيمة وحلت المشكل حلا شرعيا مرضيا ، مرتكزا لأقوال علماء المالكية بالحجة والبرهان ، رفعت الى وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المكلفة بهذا الشأن فصادقت عليها ، وعملت بمقتضاها ، نظرا للنزاهة التي تتسم بها ، والمفتي الرشيد الذي تهتدي به دون خروج عن الجادة ولا التواء وختم شهر رمضان المعظم بصدقت الفتوى ، وكان العلاج ، هذه احدى مفاخركم في جمع كلمة الامة المسلمة على عبادتها وتقراها وقيامها باحدى شعائر الاسلام على درجة الاكمل ، فالتاريخ العدل لقريه لا يخس الناس حقوقهم ، بل يضعهم في مراتبهم السامية في مكانتهم العلمية الرفيعة « ثم قرير العين ابا العباس » .

فقدنا ابصر النور في اوائل هذا القرن الهجري

ولد شيخنا أبو العباس أحمد بن الحاج بعاشر بن عبد النبي المنظري الخالدي بمدينة سلا من أبوين صالحين واسرتين كريمتين ، والده الفاضل السيد بعاشر بن بعاشر بن أحمد بن عبد النبي المنظري الخالدي نسبا ، توفي رحمه الله وابنه لا يزال صغير السن ، والدته السيدة الصالحة « الحاجة أسماء بنت التاجر المكرم السيد الحاج عبد الله بن العربي نسبا » .

مشيخته :

تحق بالكتاب القرآني وسنه لا يتجاوز الخامسة لدى الفقيه المهذب المؤدب الصالح السيد محمد بن موسى الشهير « بالكبيش » بمكتبه الكائن بحومة رأس

الشجرة ، حيث كان يعتني به [illegible] خاصا ، ويجالسه بجانب الرجل الصالح العابد القانت سيدي « **الهاشمي بن الطالب** » الذي كان من رفقاء الفقيه المذكور ، وفتح الله عليه فحفظ القرآن الكريم على هذا الشيخ الجليل ، الذي كان من صلحاء الامة ، ولما عجز شيخه عن مسايرة الكتاب ، انتقل لكتاب الشيخ المقرىء الذائع الصيت الشهير السيد « محمد بوعلو » حيث درس عليه علم القراءات والرواية والتجويد ، وفي هذا الظرف بالذات كان يتلقى مبادىء اللغة العربية والدين عن علماء مدينة سلا ، وما اكثرهم اذاك نخص بالذكر منهم القدوة الصالحة شيخ العلماء والزهاد الاتقياء ، ونموذج علماء السلف الصالح الشهير بمراسه الخالدة شيد المستعمر الغشوم المفتي الاكبر الذي كانت تشد اليه الرحال ، الناسك الذي عرف بالصلاح والتقوى ، واشتهر بالصراحة في الفتوى او العباس سيدي احمد الجريري سليل البيت الجريري بيت العلم والادب والصلاح ، كما درس على عدة علماء جهابذة اعلام وكانت تزخر بهم المدينة منهم العلامة المفتي القاضي ابو الرشاد سيدي علال الشفراوي ، والعلامة الورع العدل سيدي محمد المنصوري ، والعلامة الحي سيدي الحسن ابن الفقيه الجرير ، والشريف القاضي سيدي عبد القادر التهامي ، والفقيه اللامع عضو المجلس الاعلى بالاستئناف السيد حجي [illegible] ، وغيرهم ولما اشتد ساعده وارتوى من فيض معارف رجالات هذا البلد الامين تاقت نفسه للرحلة لفاس حيث كلية القرويين العامرة تزخر بالعلماء والطلبة ، وذلك في خاتمة عام 1322 هـ وبهذه الجامعة تلقى الدروس العالية عن مشيخة هذه الجامعة الخالدة ، اخص بالذكر منهم السند القوي للجامعة شيخ العلماء السيد احمد بن الخياط الزكاري الحسني ، وابا عبد الله محمد فتحا القادري ، والشيخ عبد السلام الهواري ، والشيخ عبد السلام بناني ، والشيخ عبد الحي الكتاني ، والشيخ احمد بن المامون البلغيثي ، والشيخ احمد بن الجلالي الامغاري ، والشيخ عبد الرحمان ابن القرشي الامامي ، وقاضي الرصيف بفاس ، والشيخ عبد الله بن خضراء السلاوي ، والشيخ العلامة الفضيلي ، كما اخذ عن جهابذة علماء مدينة الرباط العاصمة عن شيخ الجماعة العلامة الاديب سيدي المكي البطاوري ، وشيخ علماء الحديث بالمغرب والمشرق داعية السلف الحافظ الحجة ابو مدين شعيب الدكالي الصديقي ، وغيرهم . فقد استوطن بمدرسة الصفارين بفاس ، نحو احدى عشرة سنة ، كان فيها الطالب المتلقي المجتهد الذي لا يلذ [illegible] شيء ولا يزهو به شيء [illegible] الا النيل من العلم والمعرفة ، عشق الغربة والعزلة في سبيل العلم ، ولذة المعرفة ، مستسهلا كل الصعاب وزاهدا في كل اللذات ، ومكتفيا بالمتيسر لدفع غائلة الجوع ، حتى جمع زاده ، وبرز في العلوم الادبية والشرعية بين اقرانه ، وزكاه شيوخه العلماء الاعلام وشهدوا له بالباع الطويل ، والمعرفة والصلاحية للتصدي للتدريس وكانت هذه الشهادات والاجازات هي المقاييس الجامعية آنذاك ، استجاز شيوخه فاجازوه ، رحمهم الله وامروه وكلفوه بالانفاق من علمه ، وزودوه بصالح ادعيتهم ، فنفعته وعمته بركاتهم ، وكذا نجد سلفنا الصالح لا يخول الاستاذية لكل من استطاع ان يصحح اوراقا ولو بخلسة ؟ بل كانوا رحمة الله عليهم لا يمكنون من اجازتهم الا من تظهر عليه سمة العلماء ، ووقار الصلحاء ، وهدي المرشدين والاستقامة في السلوك والوقوف لجانب الحق تخليدا لرتبة العالمية وتصحيحا لرجالات الدعوة الاسلامية « اذ العلماء ورثة الانبياء ومن حق الوارث الحفاظ على الاصول والمواهب والمسلك الرشيد والدعوة للحق والفضيلة » .

على هذا النسق السوي برز عالمنا الفذ في مسلكه الرشيد الذي عودته لمسقط رأسه « سلا » بهذه الصفات الجلى ، والدعوات وصالح الاتجاهات استطاع عالمنا ان يسلك طريقه في الارشاد والدرس والدعوة طيلة ستين سنة ، دون عياء او فتور ، ودون ملل او كسل ، لذة تفوق كل اللذات ، وشهوة لا يستطيعها الا من خولتهم نظرة الاكابر المنزلة الرفيعة .

حل بمسقط رأسه ، والمدينة في لهفة وشوق عظيمين الى شيخنا ، لدروسه لاجتهاده ، لسلوكه لتوعيته ، لتزاهته .

وسرعان ما اجتمعت حوله هيئات الطلبة النجباء ، النجبة تلو الاخرى ، فكان الرجل لاهم له في الحياة الا التدريس للمبتدىء ومع المنتهي لا يفصل بينهما الا الوقت ، ولا يفرغ من درس مع جماعة ، الا لينتقل الى جماعة اخرى في درس آخر ؟

ظهر نفعه ، وذاع صيته ، واجتمعت كلمة الطلبة على الانتفاع بدروسه ، والاستفادة من مجالسه وحسن عشرته ، في نفس الوقت اصبح المرجع الاسمى لسكان المدينة ، فيما يجد بينهم ويحصل من

[illegible] يلجئون اليه ، فيحل المشكلات بلباقة ودراية، وحسن تفهم وطيبة سريرة

مبادرة الامة الى تأسيس المدارس الحرة بارجـــاء المغـــرب

من المعروف لدى الخاص والعام ان بلاد المغرب حافظت وتحفظ على لغتها ومبادىء دينها وكريـــم عوائدها طيلة احقاب التاريخ ، ومنذ فجر الدعـــوة الاسلامية في ربوعها حتى ابتليت في العهد الاخيـــر بالمستعمرين ـ خاب فألهم ـ حيث اصبحوا يدبرون المؤامرات ، ويحاولون [illegible] الوسائل وحزمة الامة المغربيـــة [illegible] العربـــي الاسلامـــي ، [illegible] المستعمـــر [illegible] لغته الاجنبية ، وحضارته اللائكية . [illegible] الامة بالمؤامرات تدبر للكيد بالشباب المغربي ، والعمل على تخدير اعصابه ، وقلب افكاره بأن لغة المستعمر هي المراد والمعاد ، وبها الوصول للوظيفة والوظيف ، وان العربية لا تفيد ولا تنفع ، قامت قيامة الامـــة المغربية بكافـــة الانحـــاء والارجـــاء ، [illegible] المدارس الحرة هنا وهناك ، على نفقتها ، [illegible] سمعها وبصرها ، وكان لمدينة سلا التواقة للنهضة قصب السبق فاسست عدة مدارس حرة ، في مقدمتها مدرسة سيدي الهاشمي الطالبي بحي درب العلـــو قـــام بتأسيسهـــا نخبـــة من رجـــالات هـــذه المدينة ولا تزال فريق منهم [illegible] الحياة ، [illegible] بالحب والتقدير على ما قدمت يداه من خير للشباب وللمجتمع السلوي المسلم ، في الحفاظ على نشأة فلذات كبده في احضان اللغة العربية منذ نشأة الدولة الاسلاميـــة « الادارسة » بربوعه حتى يوم الناس .

وللتاريخ اسجل امجـــاد امتنـــا

فقد اوقف على هذه المدرسة [illegible] من خالص املاكه ، [illegible] حيث اصبحت مركز [illegible] احـــد رجالات الدولة العزيزية ، والمكلف في عهدها بالسهر على صنع « **سكـــة الدولة** » الوجيه الاكرم الشريف الغيور مولاي احمد الصابونجي رحمه الله ، وهذه المؤسسة لا تزال قائمة الذات تؤدي مهمتها التربوية حتى يوم الناس هذا ـ كما شفعها باخرى لصيانتهـــا والنفقة عليها : القائد الهمام الوطني الشهم الغيور الاريحي نائب جلالة الملك بطنجة في العهد العزيزي واول رجل فتحنا عليه اعيننا في رعيل الوطنية الاولى والتضحية بكل غال ونفيس للدفاع عن كيان الامة ، السيد عبد الله بنسعيد رحمه الله ، وهكذا كانت همم رجالات المغرب بكل الانحاء والارجاء تتسابق فـــي ميدان انقاذ الاجيال من مفتريات المستعمر العنيد ، ولغته الدخيلة واتجاهاته اللائكية !

ولقد اختير شيخنا المترجم له ، وفقيدنا المبكي عليه للتربية والتدريس بها مدة وجيزة كان خلالهـــا نبراسا مضيئا ، وحارسا امينا ، صان شبيبة المدينة من الزيغ والتهلكة .. وبث في روح ابناء المدينة مبادىء الاسلام والعروبة ، وافتر ثغر المدينة بأمجاد هـــذا الداعية المؤمن التقي ، وفي سنة 1920 م عين لاول مرة في وظيفة استاذ للعربية والدين بالمدرســـة الابتدائية الحكومية .. بالمدينة حيث كان مستقرهـــا «**دار ابن عطار**» حي باب حساين بمدينة سلا قضى بها حوالي اربعة اعوام مدرسا وفيا ، مرشدا قويا ، يهدي للخير ويرشد للجادة ، ويكون الاجيال تكوينـــا اسلاميا سلفيا ويرقى المدارك ويهيىء ابناء الامـــة للحياة الشريفة حياة حفظ الكيان والذب عـــن الشرف والدفاع عن المقدسات واحترام المعتقدات ، وفي هذا الحقل الناجع ، تخرج على يديه افواج من شبـــاب المغرب اكثرهم يوجد اليوم ناظر عليا عظمى وجهاز الدولة ، وبعد عشرين سنة قضاها مدرسا بالتعليم الثانوي الثانوية مولاي يوسف بالرباط وباشرا العلم بالمدينة في سائر اوقاته الخاصة والعامة ، ومفتيـــا مؤتمنا على كلمة الحق ، يفصل بها بين المتنازعين طبق شريعة الاسلام : (لا ضرر ولا ضرار) ثم عين مفتشا للكتاتيب القرآنية بمدينتي سلا والرباط ، قام باداء هذه المهمة بحزم ولباقة ووفاء ونصح ، ثم عين عضوا مستشارا بالاستئناف الشرعي بالاعتاب الشريفة بالرباط ، كان مثال النزاهة والاقتدار وفي سنة 1941 م عينه صاحب الجلالة محمد الخامس طيب الله ضريحه، عضوا في لجنة الامتحانات بعالمية القرويين لتخريج العلماء بقسمي الكلية القروية **الشرعي والادبي** . وفي هذا الحقل المزدهر تعرف على افكاره وسديد نظرياته عدة متخرجين بالعالمية يذكرونه بالتقدير ، لما كـــان يتصف به من حسن السلوك معهم والتفاهم والبحث في دائرة المصلحة العليا للتعليم ، ثم عينه استـــاذا لتدريس التربية الاسلامية بالمعهد المولوي بالاعتاب الشريف « المعهد » الذي كان يدرس به ولي العهد اذ ذاك وملك المغرب اليوم الحسن الثاني وشقيقـــه الامير مـــولاي عبـــد اللـــه مـــع طبقة من الطلبة المغاربة النجباء ، وفي سنة 1958 عينه جلالة الملك محمد الخامس مستشارا بالمجلس

الاعلى للقضاء مع الاحتفاظ باستاذيته في كلية الحقوق والمدرسة الادارية ، فكان رحمه الله يقوم بمضاعف المهمات اليومية الليلية والنهارية حرة طليقة لمختلف طبقات الطلاب المبتدئين والمنتهين ، والكل يجد ونشاط واخلاص وحيوية .

واحيل على المعاش طبق النظم الادارية بالمغرب ولكنه رحمة الله عليه لم يتاخر عن اداء دروسه اليومية ، في تادية دروسه المتعددة والمتنوعة بين مختلف الاجيال المساعدة بامانة ونزاهة وقوة ، رغم سنه العالية طلق المحيا ، وضاء الجبين ، نظيف السمعة وقوي الارادة .

— ٣ —

من هذا الموجز لحياة فقيدنا الكريم ، نتعرف على مقدار الخسارة التي اصيب بها المغرب بفقدان هذا العالم الجليل ، والشيخ القدوة الذي ادى رسالته غير منقوصة ، ووقف حياته الغالي على نفع البشرية بتلقين مبادىء العلوم العربية والشرعية الاسلامية ، وتكوين الطاقات وصنع الرجال للحاضر والمستقبل ، بلغ الامانة لكل من حضر دروسه او سأله او استفتاه ، لم يتاخر عن اداء وظيفته السامية في المجتمع حتى آخر حياته .

وامام هذه الحياة السعيدة المليئة بالمعالي والفضائل ، والنفع العام وخدمة المجتمع بنشر العلم والفضيلة ، قدره واكبره جلالة ملك المغرب **الحسن الثاني** حياه الله وايده فانعم جلالته على فقيدنا ضمن اربعة من العلماء الاعلام ومشايخ الاسلام ، اثنان من مدينة فاس الفيحاء بمشيخة الدروس العليا الاول بوسام الاسلام ، ويلقب الموسم العلامة البارز الاستاذ سيدي محمد بن عبد الرحمن العراقي شيخ الجماعة وسميه في القدر والعلم والجاه العلامة الشريف مولاي احمد الشبيهي اطال الله في حياته للخير ، وعالمان اثنان من مدينة سلا الفيحاء ، شيخنا او قدوتنا وعمدتنا شيخ الجماعة سيدي الحاج احمد بن عبد النبي وسميه في العلم والدين والورع والاصالة والامانة والاخلاص رئيس مجلس الاستئناف الاعلى بالاعتاب الشريفة العلامة النصيح سيدي الحاج محمد الهاشمي ابن شيخ الجماعة وقاضي الرصيف العلامة الشهير سيدي عبد الله بن خضراء وقد لبى داعي الله قبل فقيدنا باسبوع ، فكانت مصيبة مدينة سلا في فقدان علمائها وصلحائها ونصحائها وانا لله وانا اليه راجعون .

اجل تلك حلالة الملك الحسن الثاني حياه الله صدر هؤلاء العلماء الاعلام ومشايخ الاسلام وسام الاستحقاق الفكري في شهر مارس 1970 م جزاء خدماتهم وشريف اعمالهم بنشر العلم والفضيلة والنصح والنصيحة لامير المؤمنين ولخاصة المسلمين وعامتهم كما ورد في السنة

سلا : الحاج احمد مفتيزو

آثار وفنون الإسلام بالمغرب العربي

ودحض مزاعم المستشرقين

للدكتور عثمان عثمان إسماعيل

— 3 —

وسوف نلقي الآن نظرة عابرة نرى من خلالها اهم مآثر العروبة والاسلام بالمغرب العربي الكبير على وجه الخصوص . فمنذ العصر الاسلامي المبكر وبالذات منذ منتصف القرن الاول الهجري وضع عقبة بن نافع بذرة الحضارة المعمارية والفنية بتأسيس المسجد الجامع بالقيروان (1) . وفي عصر الدولة الفاتحين كذلك اقام حسان دار الصناعة بتونس ، ثم انشأ عبيد الله بن الحبحاب مسجد الزيتونة (2) خلال عصر الولاة .

ومنذ بدأت حركات الاستقلال المغربية خلال منتصف القرن الثاني متجهة من المغرب الى المشرق خلف الادارسة بالمغرب الاقصى آثارا معمارية خالدة منذ بناء فاس بعدوتيها وانوارها وبها جامع الاشياخ وجامع الشرفاء ثم القرويين كما أسسوا مملكة ومدنا حصينة شمال المغرب الاقصى ذكرها المؤرخون والجغرافيون لا زالت آثارها الحربية والدينية والمدنية قيد البحث للآن (3) . كذلك خلفت زناتة من بعدهم مآثر معمارية وفنية بفاس وشالة (4) وغيرها لم يتمكن المستشرقون من دراستها وفهمها فهما كافيا الى اليوم . وجاء المرابطون فتاحوا الفرصة بما اقاموا من مآثر بتلمسان وندرومة والجزائر العاصمة وجامع القرويين بفاس ثم مراكش لمتأثرات الشرقية ان تزحف من افريقية في اتجاه المغرب ؛ حتى اذا جاء دور الموحدين الحضاري ادى اتساع امبراطوريتهم الى الاتصال الفعلي بين افريقية (تونس) والعالم الاسلامي الغربي بالمغربين الاوسط والاقصى والاندلس ، وزادت معرفة رجال الفن الاندلسيين بفنون بني زيري وبني حماد المستمدة مباشرة من الفن الفاطمي الذي يستلهم وحيه من (5) الشرق ؛ وهكذا اخضع الموحدون الفن الاندلسي

(1) احمد فكري : المسجد الجامع بالقيروان .

(2) احمد فكري : مسجد الزيتونة الجامع بتونس ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية . المجلد 4 عدد 2 سنة 1952 .

(3) احمد المكناسي : المدن الاسلامية المندرسة في شمال المغرب ؛ كتاب الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية عن المؤتمر الثالث للآثار بفاس طبع القاهرة 1961 ص 203 + 17 لوحة وخريطة .

(4) عثمان عثمان : انظر ما يتعلق بتاريخ وعمارة وفنون زناتة في الكتب الثلاثة — تاريخ دولة الاسلامية، وحفائر شلة ، والفنون الاسلامية والفنون العربية بالمغرب الاقصى ، وكلها تحت الطبع بدار الثقافة ببيروت .

(5) تحت عنوان الفن الشرقي المغربي راجع مقال عبد العزيز بن عبد الله في كتاب الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية — القاهرة 1961 عن المؤتمر الثالث للآثار بفاس ص 359 وما بعدها .

لمؤثرات جديدة عندما اصبح يتلقى دروسا اخرى من الشرق تحت زعامة المغرب الاقصى ، وهكذا مرة اخرى تحققت روائع الآثار التي زينت الطراز الاندلسي المغربي بشمال افريقيا والاندلس واصبحت اعلامها ترتفع فوق صوامع الغيرالدا والكتبية والقصبة وحسان . اما المرينيون فقد استغنوا عن ذكرهم في التاريخ على حد تعبير ابن خلدون بما خلفوه من مآثر ، والواقع انهم كانوا بنائين ممتازين انشأوا مدنا جديدة من العدم كما تفننوا في تزيين مبانيهم وعلى الخصوص مدارسهم حتى بدت مآثرهم وكأنها عرائس المدن المغربية بفاس ومكناس وتازة وسلا وسائلة وغيرها .

وكان المغرب الاوسط قد اقام كذلك دولته الاسلامية الاولى حوالي منتصف القرن الثاني فقد اجمع مؤرخو العرب وجغرافيوهم على اتساع رقعة الدولة الرستمية (6) وتبحر عمرانها بتاهرت ، ووصفوا قصورها ومساجدها واسوارها وثغورها مثل وهران الذي كانت تخرج منه الاساطيل التجارية الى الاندلس . وجاء الحماديون فخلفوا حضارة تحت تأثير الشرق تبدو آثارها المعمارية والفنية وليس لها نظير ببقية الوطن المغربي (7) ، ولا غرو فقد اغرم بها النورمان وبنوا قصورهم بصقلية على غرار قصور بجاية فهذا ابن خلدون وصاحب الاستبصار وغيرهما يصفون مدينتي القلعة وبجاية وقصورهما وما اشتملت عليه من مساجد ودنانير وبساتين (8) . ثم سارت المغرب الاوسط جيرانه بالمغرب الاقصى حضارة المرابطين والموحدين ثم بني مرين من بعدهم . تشهد بذلك آثار عديدة بالمغربين الاقصى والاوسط تنطق بتلك الحقيقة في توزر والجزائر وتلمسان (9) .

وفي افريقية ، المغرب الادنى ، [illegible] الاغالبة اقدم مجموعة قائمة على حالتها الاولى من الآثار العربية الاسلامية المدنية والدينية والحربية بالقيروان وسوسة والمناستير وسفاقس (10) . ثم استقبلت تلك المنطقة ايضا تراث العبيديين قبل انتقالهم الى القاهرة . والى عبيد الله المهدي يرجع تأسيس مدينة المهدية في [illegible] القرن الرابع ، ومن آثارها الميناء والاسوار ودار الصناعة والقصر [illegible] والمسجد . كما ترك بنوا زيري ومن بعدهم الحفصيون [illegible] معمارية وفنية [illegible] بالمسجد الجامع بالقيروان .

هذا كله فضلا عما خلفته المغارب الثلاثة من فنون تطبيقية وزخارف ونقوش وخطوط عربية على الخزف والخشب والجص والمعادن والمخطوطات على طول عصر ازدهار الحضارة العربية الاسلامية في الغرب الاسلامي .

ولعله من المؤسف حقا على الرغم من ذلك الثراء المحفوظ والتطور والنضج الواضحين في مظاهر الحضارة والآثار المغربية العربية ، ان يظل هدفا يمم شطره عدد غير قليل من المستشرقين المتحاملين وعلماء الاستعمار المغرضين . فهذا هو الجنرال بريموند BREMOND الذي وشح غلاف كتابه البربر والعرب بعبارة (بلاد البربر بلاد

---

(6) محمد علي دبور : تاريخ المغرب الكبير - القاهرة 1963 - ج 3 المخصص للدولة الرستمية . ويقرأ بتحفظ لتأثر المؤلف بعواطفه الخاصة .

(7) GENERAL DE BEYLIE : La Kalâa de BENI-HAMMAD Paris 1909 وكذلك احمد توفيق المدني : المسلمون في صقلية .

(8) مبارك الميلي : تاريخ الجزائر الجزء الثاني ابتداء ص 213 .

(9) G. MARGAIS : La Kalâa de BENI-HAMMAD d'après deux publications récentes وقد ظهر المقال بمجلة جمعية الآثار بقسنطينة 1908 وهو تعليق على اعمال الجنرال دي بايلي وزميله بلانشيه بقلعة بن حماد .

(10) [illegible] Musulmane d'occidents, Paris 1954 CRESWELL EARLY MUSLIM Architecture, OX [illegible]
راجع ما يتعلق بتلك الآثار بالجزء الثاني ، وكذلك حسين عبد الوهاب : ورقات في الحضارة الافريقية ، تونس .

اوربية ! (11) يحاول جاهدا تحطيم آثار العروبة والاسلام بالمغرب . بريموند يقول : ! ... ليس للعرب أي سهم في أي مظهر من مظاهر الحضارة ... وليس للعرب فن او عمارة ... وليس للعرب اي تأثير في المغرب ... فليس في كل مظاهر الحضارة ما هو عربي ، بل لم يكن الاسلام ولا القرآن سبب انتشار العربية بين البربر ...) ومن اغرب ما قاله هذا الجنرال : (ان مساجد المغرب نفسها ليس بها ما هو عربي ... وحتى المؤلفون العرب فهم ليسوا عربا ... ! .

وسوف اقتصر الان على حجتين لدحض زعمه بانه ليس في مظاهر الحضارة المغربية ما هو عربي . وتستمد الحجة الاولى من فنون الزخرفة الهندسية والنباتيه المغربية ، فقد ابتدع العرب تركيبات هندسية واشكالا نجمية جديدة لم تكن معروفة من قبل طبعوها بفكرهم العربي على مختلف المواد المغربية من خشب وزليج وجلود وغيرها كما طوروا المقرنصات STALACTITE المشرقية الاصل هندسيا بالمغرب والاندلس ، فاستمدوا من العنصر المعماري عنصرا زخرفيه مدهشة فيما ابتكروا من دلايات STALACTITE اقتنن بها الغرب ونقلها عنهم بالدليل التاريخي والاثري . كذلك ابتكر المسلمون في مرحلة حاسمة لتطور فنونهم اسلوبا زخرفيا جديدا هو اسلوب الموشيح الذي دهش بحسن ايقاعه الذوق الاوربي وعرفه باسم الارابسك ARABESQUE ، ولا غرو فقد كان حسب راي ريكار (12) RIKAM اكبر ملهم لتطور وسوح الفنون المغربية ، وقد فسره كونل في دائرة المعارف الاسلامية بانه يمثل مجموعة متكررة تملأ الفراغات وتتشابك فيها العناصر الزخرفيه تتابعا هندسيا منتظما تتباين فيه الحركة تباينا توقيعيا ، وزاد احمد فكري بانه مجال تحرير الفنان العربي من تقليد الطبيعة ومجال تعبيره عن خياله واحاسيسه الشخصية مع الالتزام بتنسيق الاشكال النباتية داخل مضلعات هندسية مجردة وتكرار النموجات الخطية تكرارا تختلط فيه البداية والنهاية مع تعانق الاغصان والفروع وتماثل العناصر والمجموعات . ولا شك عند الباحثين الآن في ان المسلمين قد افرقوا في هذين اللونين من الزخرفة عبقريتهم الفنية بعد أن كره الدين العمل في النحت والتصوير بعدا عن التشبيه المحال (13) .

وتستمد الحجة الثانية من الخطوط العربية اذ لم يبلغ خط آخر في تاريخ الفنون قاطبة ما بلغه الخط العربي من انتشار وتنوع (14) وتأثير على الفنون الغربية نفسها (15) .

فالخط وهو اقرب الى الجانب الانساني ينمو في الفن الاسلامي نمو الطبيعة حيث يظهر في شكل براعات هندسية بين زخارف التوريق كما لو اريد به التعبير عن اشكال وليس فقط مجرد افكار ، وهكذا عرف الخط العربي انواعا شتى زينت المباني التاريخية كعنصر زخرفي في حد ذاتها ، فضلا عن كونها نقوشا تأسيسية او دعائية سجلت حياتها على مختلف المنشآت والصناعات الزخرفية من اثاث وخزف ونسيج ومعادن بالمغرب العربي ابتداء من مسجد ابي فتاتة بسوسة شرقا الى جامع القرويين بفاس غربا ، ولا زال نقش مقصورة المعز ابن باديس بالقيروان ونقش قربا مسجد تازة على حالتهما الاولى

---

(11) GENERAL EREMOND, BERBERES et ARABES, La BERBERIE ESTUN Pays Européens, Paris 1950.
راجع على الخصوص صفحات 215 – 216 – 236 – 241 حتى 373 .

(12) P. RICARD . Pour comprendre l'Art Musulman, Paris (12) 1924 p. 159

(13) حدث ابن عباس عن الرسول صلى الله عليه وسلم لاحد صناع التصاوير بقوله : ! ... من صور صورة فان الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها ابدا فان ابيت الا ان تصنع فعليك بهذا الشجر وكل شيء ليس فيه روح ! وهو توجيه الى الزخارف النباتية والهندسية .

(14) القلقشندي : صبح الأعشى ، القاهرة 1914، ج 3 به نماذج لانواع الخطوط العربية واسمائها ، ومقالنا بمجلة دعوة الحق عن الفن الاسلامي بالمغرب زمن الفاطميين ، عدد يوليو 1960 ، ص 60 به مراجع عن الخط العربي ونماذج الخطوط .

(15) عثمان عثمان : تأثير الفن الاسلامي على فنون الغرب ، دعوة الحق ، عدد مارس 1960 .

يشهدان بتفوق الخطوط العربية وتأثيرها على فنون الغرب الذي نقل على منشآته المعمارية وتحفه الفنية نماذج مباشرة منها دون تفهم معناها .

اما عن أفكار الجنرال بريموند لآثار العرب والاسلام في المغرب فسأكتفي برد جوستاف لوبون (16) بان البربرية قد تعربت كما تعرب البربر انفسهم مما يثبت مقدار تأثير العرب العظيم الذي لم يكتب مثله لامة أخرى بشمال افريقيا الامر الذي يوضح خطأ كثير من المؤلفين المعاصرين الذين رأوا ان يفرقوا بين العرب والبربر .

الرباط : الدكتور عثمان عثمان اسماعيل

---

(16) انظر جوستاف لوبون : حضارة العرب ترجمة عادل زعيتر ، ط 3 1948 ، ص 302 وما بعدها .
وشارل اندريه جوليان : تاريخ شمال افريقيا ، ج 2 ص 10 .
وجورج مارسيه : La Berberie Musulmane ابتداء من ص 42 .

« انك أيها المسلم فى العالم كله حـــق وحدك ، وماعداك سراب خادع ، ووهـــم باطـــل »

ا

أبحاث ودراسات

- من جوانب الحركة الشعرية في السودان

- بين طموح المتنبي وطموح الصاحب ابن عباد

« لقد اعزكم الله بالاسلام ، فمهما تطلبوا العزة بغيره يذلكم الله »

عمر بن الخطاب

مع ابن مالك في ألفيته

للدكتور محمد رجب البيومي

من منا لا يذكر علم النحاة ابن مالك ، لقد رزقه الله حظوة مشهورة فى التأليف ، اذ ذاعت مصنفاته فى الشرق والغرب ، وتعددت آراؤه فى المعضلات ، ودار حولها الشرح والتأويل والتحليل ، وقد درسنا فى الازهر على عهد الطالب شروح ابن عقيل وابن هشام والاشمونى على الفيته مصحوبة بحواشى الحصرى والازهرى والصبان فاخذ منا الرجل فى ميدان النحو جهدا لم يبله سواه ، ثم تابعنا بعد الدراسة مؤلفاته الاخرى فعرفنا ان ابن مالك رحمه الله علم الاعلام فى بابه وقد قيل انه قرن بسيبويه فى مقامه العلمى . ولسنا بصدد الموازنة العلمية بين امام وامام ، ويكفى نتقل ذلك لتصور مكانة الرجل فى نفوس الدارسين ، واذا كان من القراء غير المتخصصين من لا يعرف تاريخ هذا العلامة الفذ فمنا نوجز الحديث عنه حين نذكر انه ولد فى مدينة جيان بالاندلس سنة ستمائة للهجرة ودرس على علمائها حتى برع فى النحو والصرف واللغة ثم توجه الى الشرق فنكانت دمشق وجهته الاولى وبها التى اعلام العصر ، وتوسع فى الرحلة فزار مدينة حلب وحظى بالاستماع الى اكابر رجال الشام من امثال ابن الحاجب والسخاوى الاكبر وابن يعيش ، هذا الى تقوى وزهد وكثر عبادة حتى قال مؤرخوه انه ما كان يرى الا مصليا او قارئا او مصنفا ، واذا كان النحو مجال شهرته بين الناس ، فان الحديث الذوى عن اللغة وعلم القراءات كانت تحظى بفيوضه البارع فى ميادينها ، وقد الف فيها مؤلفات طيبة نرجع اليها الآن فى ثقة واطمئنان ، وهذا مما يؤكد ان علوم الشريعة وعلوم العربية تتلاقيان وتترافدان ، وان ائمة السالفين قد عرف من بينهم من يتكلم فى التشريع وفى اللغة وكأنهما فن واحد لا يختلف . وقد رأينا الآن فى هذا العصر من تضلع فى العلوم اللسانية تضلعه فى العلوم الشرعية حتى لنحار اين نذهب به مرجحا كفة على كفة ، ومن هؤلاء استاذنا الاكبر محمد الخضر حسين رضى الله عنه اذ كان يناقش بمعضلات اللغة والنحو والادب كما يناقش بمعضلات الفقه والاصول والتوحيد ، بشموخ يرتفع عاليا فى الميدانين دون ان تقصر مئذنة عن مئذنة فى سموقها الباهر وارتفاعها العبقرى .

قال الشهاب محمود ، جلس ابن مالك يوما وذكر ما انفرد به صاحب المحكم عن الازهرى فى اللغة غيا من مصدره دون رجوع الى اوراق ، واذا كانت اجزاء المحكم كثيرة كأجزاء الهذيب مثلا الذى يذكر غيا (دون رجوع الى اوراق مدونة) ما بينهما من الاختلاف فى تفسير الالفاظ اللغوية لابد انه درس الكتابين دراسة حافظة على سعتهما المحيطة ، وهذا معجز كما يقول الشهاب ، واذا كان ذلك بعض تضلعه فى اللغة وحدها فكيف بسائر العلوم .

أما النحو ، فيكفى للدلالة على بعد همته فى تحصيله انه كان على تواضعه الجم يستصغر الزمخشرى فى مضمار النحو اذ يقول عن تلميذه ابن الحاجب لقد اخذ النحو من الزمخشرى صاحب المفصل

وهو نحوى صغير ، وهذا تحديد كاشف لا تجريح منقص ، لان الزمخشرى وقد كان اماما فى اللغة والبلاغة والتفسير لم يكن لدى أمثال ابن مالك من ائمة النحو ، وتلميذه حينئذ يدور فى فلكه ، واحرى به ان يطير الى مداه .

واذا اشتهرت من مؤلفاته الالفية فقد تلاها فى الشهرة كتاب التسهيل ، وله عدة شروح من بينها شرح المصنف نفسه ، وقد اكمله ولده بدر الدين ، وله شروح اخرى لمسائل النحو وكتب فى اللغة والحديث ومنظومات فى الصرف والقراءات ، وكتب التهارس تسجل آثار الرجل بما يقنع الباحث ، ولسنا بصدد التعريف بها ، ولكننا نشير اليها لتدل على امامته الكبيرة ، وقد ظل يدرس مؤلفاته لاعيان العلماء من رجال عصره الى ان توفى مع شهرته الذائعة ومؤلفاته البارعة تلاميذ فى حشرته يؤمون حلقته فى المسجد الجامع بدمشق ويغادرونها بعد فصله رحمه الله بدر الدين الذى كان يخلفه فى حلقة الدرس وفيما كتب من مؤلفات اذا عن له ما يتسع للحقائق من المسائل ، فلا يرى من والده الا كل تشجيع . وهذا دون الاستاذ المثالى الذى يجعل صدره فسيح الجنبات لمخالفيه وان كانوا دونه فى النظر والتحليل كما أن من تلاميذه الكبار بدر الدين بن جماعة قاضى القضاة ، وبهاء الدين بن النحاس مفسر عصره ، وابا زكريا النووى الفقيه المشهور ، وابا الحسين اليونينى المحدث الشهير ولده ذلك فيما كنا هذا الفصل الا لنصور جميل الصحبة وقبيل العلاقة بين التلميذ والاستاذ ، وكيف ضرب كلاهما المثل العالى للدارسين من رجال العلم جيلا بعد جيل .

كان ابو الحسين اليونينى نجلا لشيخ الاسلام الحافظ المحدث تقى الدين محمد بن احمد بن عبد الله بن عيسى اليونينى ، حدث فى بيت علم وفضل ، وابوه شيخ العلماء وحافظ المحدثين وقد قيل فى ترجمته عنه : لم ير فى زمانه مثله » كان الملك الناصر يسرع الى زيارته ويتأدب معه ، وله اختصاص جاد بالحديث النبوى يحفظ متونه واسانيده ويناقش علله ومعاقله ، وقد نشأ ولده ابو الحسين على بن محمد اليونينى على نهجه فكان اتجاهه الاول الى الحديث . وقد نقل ابن العماد فى شذرات الذهب انه صار شيخا جليلا حسن الوجه بهى المنظر ، له سمت حسن وعليه سكينة ، ولديه فضل كبير ، فصيح العبارة ، حسن الكلام ، له قبول من الناس ، وكان ممن سعدوا بدروس ابن مالك اخذ عنه النحو واللغة وعد من كبار تلاميذه ثم تخصص فى الحديث بعد ان ورد حياض استاذه وقطف من الحلو جناه .

كان ابن مالك رضى الله عنه من علماء العربية الذين يرون صحة الاستشهاد بالحديث النبوى لغويا ونحويا على حين ذهبت الكثرة من هؤلاء الافاضل الى ان الحديث النبوى قد روى بالمعنى فلا يصح الاستشهاد به اذ لا نقطع تمام القطع ان افصح البلغاء عليه السلام قد نطق بالفاظه ، ولهم فى هذا المجال مقال ونقاش اذكر انى قد بسطت الحديث عنه فى بعض ما كتبت من قبل ، وقد انتهيت الى ما راى ابن مالك واضرابه من صحة الاستشهاد بالحديث النبوى لغويا ونحويا ، واظهر ما يقال فى تأييد ذلك وانه ان صح ان الراوى قد تصرف فى اللفظ مكتفيا بالمعنى فهو صحابى او تابعى عربى فصيح ممن يشهد بقوله ، وانى لاعجب كل العجب كيف تستشهد بكلمة عابرة يقولها اعرابى مجهول مثل « نعم السير على بئس العير » ثم لا يجوز ان نستدل بقول افصح البلغاء « من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ، ومن اغتسل فالغسل افضل » او نسمع كلمة عنترة مثل « اكثرى الرغيث » فنجعلها لغة معترفا بها ثم لا نستدل بمثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ؟ » مهما يكن من شىء لقد هدى الله قلب الامام محمد بن مالك الى صحة الاستشهاد لغويا ونحويا بما روى عن رسول الله ، وقد اخذ يتتبع كتب السنة المطهرة ليجعلها مجال نظره الاستدلالى ، ولكن حرمة العلم وجلال الالتزام ، وعنوة التبعة ، كل ذلك يحتم عليه ان يقرأ الحديث لسرى قراءة صحيحة كما تناولها ائمة الحديث راويا على راو ، فلابد الا يكتفى بالقراءة الغيبية دون الوقوف على التحقق المتسلسل الذى التزم به الرواة فقد كتبت مجموعات الصحاح ، والرجل محدث كبير يحفظ الحديث . وقد كان بعض مواده الدراسية دون نزاع ، ومثله يكتفى بما حصل والم فهو امام العربية فى عصره دون نزاع ولكن ، انى يضمن ابى جلال علمه وقدره لمكانته وقد مس بعض الضبط الخافى بعض الالفاظ ، لابد ان يجالس مجالس المستمع المستفيد من جديد . ولابد ان يتلقى صحيح البخارى سماعا من رواية لهم مرتفع سماعه ، وقد فكر وقدر فرأى ان كبر محدثى بلدته هو تلميذه ابو الحسين على بن محمد اليونينى الذى يقول عنه ابن حجر فيما بعد انه

كان شيخ بلاده والرحلة اليه ، فلابد اذن من ان يجلس منه مجلس المستفيد ، وهو تلميذه الذى يصغر عنه باكثر من عشرين عاما اذ ولد ابن مالك سنة 600 وولد اليونينى سنة 621 ، ولابد ان يكون المجلس ذائعا مشتهرا يحضره طلبة العلم من زملاء اليونينى وتلاميذ ابن مالك ليعم الفضل الجميع ، وهكذا اعلن الامام العلامة النبيل محمد ابن مالك علم الاعلام فى عصره وواحد الاحاد فى مصره انه سيجلس مستمعا الى الرواية الصحيحة للبخارى حيث يقرؤها محدث العصر وحافظه الامام ابو الحسين اليونينى ، وسيكون هذا الاستماع عاما جامعا فى اعظم مساجد دمشق

وقد جاءت الانباء الى التلميذ فهرع الى استاذه يعلن انه يفوقه تحديثا كما يفوقه لغة ونحوا ، وانه لا يستطيع ان يجلس هذا المجلس من شيخه الكبير ومن تلاميذه الذين هم فى الوقت نفسه زملاء ابى الحسين ، ولكن ابن مالك اصر وتشدد ، وحدد اليوم الذى تبدا فيه القراءة ودعا من يتوسم فيه العلم الى الحضور فلم يسع اليونينى الا ان يشترط على استاذه ان يتفضل بالسماع فاذا عن مشكل لغوى او معضل نحوى سكت التلميذ ليعلن الاستاذ رايه فى هذا المشكل ثم يقوم المستمعون بتدوين كل ما يقول امام النحو لتحتفظ الاجيال بخبرة علمية نحوية تبحث عن مشكلات الجامع الصحيح ، وقد تم للتلميذ ما اراد فقام هو بالقراءة المضبوطة كما جاءت بها الرواية وقام الامام بشرح المشكل وايضاح الغامض وقام التلاميذ بالتدوين فى اكثر من سبعين مجلسا تمت بها رواية البخارى ، وتم بها فى الوقت نفسه تاليف شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك ، وقد كان يزيد عليه مالا يتيسر له بالمجلس من مسائل تحتاج الى مراجعة حتى استوى نسخ وحده فى بابه واليه المرجع الآن فيما يدق من وجوه التركيب والضبط لدى المتخصصين .

وحين جاءت الجلسة الاخيرة التى فرغ فيها اليونينى من تلاوته الضابطة راى الحاضرون ان يقوم الاستاذ والتلميذ معا بكتابة وثيقتين تسجلان هذا الحدث الرائع ، لتلحقا بالنسخة اليونينية المضبوطة فتكونا تثبيتا لها فى نفوس الاجيال ، وتخليدا لمجالس نادرة امينة ، تصلح ان تكون موضع الحذوة ومناط الاقتداء ، فقام الرجلان بكتابة ما يرجوان به الخير مما ننقله الآن فرحين مغتبطين .

كتب ابن مالك بخطه الواضح فى ظاهر الورقة الاخيرة من النسخة اليونينية يقول : سمعت هذا المجلد من صحيح البخارى رضى الله عنه بقراءة سيدنا الشيخ الامام العالم الحافظ المتفنن شرف الدين ابى الحسين على بن محمد بن احمد اليونينى رضى الله عنه وعن سلفه ، وكان السماع بحضرة جماعة من الفضلاء ، ناظرين فى نسخ معتمد عليها ، كلما مر عليهم نقط ذو اشكال بينت فيه وجه الصواب وضبطه على ما اقتضاه علمى بالعربية ، وما افتقر الى بسط عبارة واقامة دلالة ، اخرت امره الى جزء استوفى فيه الكلام بما يحتاج اليه من نظير وشاهد ، ليكون الانتفاع به عاما ، والبيان تاما ان شاء الله ، كتبه محمد بن عبد الله بن مالك حامدا الله تعالى .

ثم كتب الحافظ اليونينى ما نصه : « بلغت مقابلة وتصحيحا وسماعا بين يدى شيخنا شيخ الاسلام ، حجة العرب ، مالك ازمة الادب الامام العلامة ابى عبد الله بن مالك الطائى الجيانى امد الله تعالى فى عمره فى المجلس الحادى والسبعين وهو يراعى قراءتى ، ويلاحظ نطقى فما اختاره ورجحه وامر باصلاحه اصلحته وصححت عليه ، وما ذكر انه يجوز فيه الاعرابان او ثلاثة اعملت ذلك على ما امر ورجح وانا اقابل باصل الحافظ ابى ذر ، والحافظ ابى محمد الاصيلى ، والحافظ ابى القاسم الدمشقى ما خلا الجزء الثالث عشر والثالث والثلاثين فانهما معدومان وباصل مسموع على الشيخ ابى الوقت بقراءة الحافظ ابى منصور السمعانى وغيره من الحفاظ ، وعلامة ما وافقت اباذر (هـ) والاصيلى (ص) والدمشقى (ش) وابا الوقت (ط) فيعلم ذلك .

كتبه على بن محمد الهاشمى اليونينى عفا الله عنه .

هاتان الوثيقتان حجة واضحة تصلح منارا ساطعا فى باب العلم ، ونبراسا هاديا فى دنيا الخلق ، وبمثلهما فيعتبر ذوو التشاحن والتحاسد من ارباب المنافسة ، وعشاق الشموخ ما بين اساتذة وتلاميذ وشيوخ وشبان .

د. محمد رجب البيومى
الاستاذ بكلية اللغة العربية — جامعة الازهر —

من جوانب الحركة الشعرية في السودان :

الخصائص الجمالية في شعر عبد الله الطيب

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

— 1 —

الدكتور عبد الله الطيب من رواد النهضة الفكرية والادبية والجامعية في السودان الشقيق . وكتبه ودواوينه الشعرية غذاء للعقل والذوق والعاطفة والشعور ، ومنها : المرشد ، وسقط الزند الجديد ، ومع أبي الطيب ، والقصيدة المادحة ، واللواء الظافر ، وبانات رامه .

وآخر دواوين الدكتور الطيب هو « أغاني الأصيل » ، وقد صدر عام 1976 عن دار جامعة الخرطوم للنشر ، وقامت بطبعه دار الطباعة بجامعة الخرطوم ، في 170 صفحة — ويحتوي نحو 170 قصيدة وقطعة شعرية كلها في الحب الا قصائد قليلة ، كقصيدته في رثاء الدكتور طه حسين وقصيدته في رثاء أخيه ، وقصيدته « الشعر والنقاد » وهي صورة لطفولته وحياته وكفاحه ، وقصيدته « مسابيح القلوب » وهي في المدح النبوي .

وباقي قصائد الديوان في الحب والغزل والجمال ، حتى لا تخلو قصيدة منها من حديث عن المرأة ، ووصف للجمال ، واسترسال نديد مع الحب ، والحب عند عبد الله الطيب هو جزء من روحه ، قطعة من حياته ، وحديث عميق يصدر من عاطفته ومشاعره الدفينة .

وقد هدى الشاعر الدكتور الطيب ديوانه — أغاني الأصيل — الى علي الجارم وطه حسين وفاء وتقديرا وذكرى .

والديوان مصدر بمقدمة كتبها شاعرنا بروح الاستاذ الموجه ، ونادى فيها :

1 — بالاستمرار في تعليم أشعار الأوائل ومختاراتهم الجياد ، وروائع فحولهم ، من أمثال أبي تمام ، والمتنبي ، والذين ساروا على منهجهم الى عصرنا كالبارودي وشوقي وحافظ .

2 — كما نادى بتشجيع الأذواق ، وبالتمكن من اللغة وفهمها والمحافظة عليها .

3 — وبجوهرية عنصر الموسيقى في الشعر ، معنا التزامه بالوزن العمودي الخليلي .

وفي قصيدته الطويلة الجميلة « أناشيد ذلفاء » يتحدث الشاعر عن طفولته في موطنه « كسلا » حديثا شيقا جميلا عذبا ، ويصف الطبيعة والحياة هناك وصفا شاعريا مؤثرا ، يقول :

فاذكر أيامك الاولى اذ العيش رخاء
والحب في « كسلا » خصب وأهلوك سواء
وعلى الآفاق اعصار وقد غام الفضاء
ومن السقف لصوت الرعد في العين هباء
ومن الخضرة حول البيت للارض كساء
وعزاء القلب ذلقاء وما منها عزاء
وقديما يعشق الحسن العزيز الشعراء

وتذكر ابنه وجيه له وآماله الواسعة العراض فيه ، فيقول :

وتذكرت ابى ذا بي صغيرا قبلني
ولقد امل ان ابرع فاك حبني
وليالينا بجمل الحرم والحب حبني
حصك اذ اعجبه مشك المخيلة

وفي قصيدة « الشعر والنقاد » يذكر الشاعر حزنه من طفولته وحياته ، فيقول :

تذكرت ايام الطفولة حينما
يعلق بي آماله الغر والدي

وكان ابي باعطر الله ذكره
فريدا وبين الناس جم المحامد

يعلمني علم المروءة ناشئا
وفي قلبه حبي وعرفان واعدي

وكنت شعرا جاهلا غير انه
لها خياله من صروف مشاهدي

فايقظني من السنين وذادني
عن الورد من كأس الحداثة ذائدي

وقصيدته « في كسلا » تصوير جميل لمظاهر حياته فيها اذ هو صبي صغير .

والديوان مملوء بصور حياة الشاعر في شتى مراحل عمره ، وهي صور كلها منبثقة من البيئة — والاسرة والامل والالم والطبيعة الحالمة في أوديه النيل المعشوشبة الجميلات .

وقلب الشاعر الدكتور عبد الله الطيب ومشاعره وروحه تربة بحب الجمال والهيام به والشوق فيه.

ولعل من أسباب تعلقه به ، حياته الاولى نفسها في كسلا ثم في الخرطوم ، حيث مشاهد الحياة والطبيعة والمرأة تثري القلب والعاطفة والوجدان ، ثم حياته في لندن طلبا للعلم فترة ليست بالقصيرة ، وهذه الفترة تذكرها الشاعر بكل أعماق نفسه ، فهو يقول من قصيدته « اناشيد ذلفاء » :

ولقد تذكرت من « لندن » اياما جميلة
وفتاة رودنا وصلب عند الخمائله
ونصرفنا عن الصب بالدمع كحيلة
والتي هام بها القلب مفداة نبيلة

وفي قصيدته « لندن وباريس » يصف حياته في انجلترا ، ويقول :

وكنت بها قد قضيت الشباب
الى العلم في سوحها اختلف

تعلمت فيها علوم الحياة
ومن تعرف الحجا انتطف

وشاركت في حلقات النقاش
واقرأ كل ضروب الصحف

كما يصف حبه في قصيدته « عيناه يمسي » فهو يقول :

هل تذكري اخي ايام لندرة
اذ انت العيش وثب والهوى درج

الى آخر هذه الابيات .

وبالوفاء يذكر أيامه اللندنيات الجميلات ، كلما زاره الاكرياك .

وليست حياته وذكرياته في لندن من أسباب هيامه بالجمال وحدها فقد طاف الشاعر العالم شرقا وغربا ، فهو حينا في ابادان ، وحينا في طشقند ، وحينا في بغداد ، وحينا في مصر وآخر في الحجاز او الرباط ، ويوما في يوغسلافيا ، وآخر في اليونان الخ ، وكان لهذه الرحلات الدائمة ان تثري العواطف والمشاعر بكل الوان الجمال ومشاهده :

اقلب نفسي بين البـــلاد
تقلبني العربـة الكادحـــة

كذا استمر ولا استقـــر
على الموج كاللوحة الطافحة

ويذكر طوافه في العالم في قصيدته «الحبيب يزار»

ويقول الشاعر الدكتور عبد الله الطيب :

واني لمغرى بالجمال وانـــي
لعمرك قد خلدته عند خالـد

ويقول حيث يمتزج الحب عنده بالتصوف والايمان العميق او بالشاعرية الموهوبة ، والبيان الحري :

وأوتيت مقدرة في البيـــان
وتبهر بالادب الرائـــع

وانت امرؤ عربي السليقـــة
تصفو بوردك للكـــارع

وتهوى الجمال وتبغي الكمال
ونخبة بالورع الخاشـــع

وتتلو الكتاب وترجو الثـواب
وليس دعـاؤك بالمنائـــع

وطاع الي القريض العصـــي
الذي ما لغيري بالطائـــع

وابيات شعري رناتهـــا
كصلصلة الجرس القـارع

والحب عنده اقوى سلاح في يد الشاعر يحارب به حتى اعداءه ، كما يقول في ديوانه :

غرد بحبك يا متيم غـــرد
وعلى عدوك سيف حبك جرد

فالحب اقوى ما تقاتلهم بـــه
اذ لا تبالي بالجموع الحشـد

والحب عنده اقوى من اللذة ، واسمـــى مـــن الجنس ، يقـــول :

فمن ظن ان الحب بادره الهوى
من الجنس فليعلم بان ليس ذا حبي

وقد ورث الشاعر حب الجمال عن ابيه حيث يقـــول :

وابي كان عاشقا مثل عشقـــ
ـها ، ويلقي صداه في مزماري

ونظمت القريض بالابق الخا
لص فيه الضياء مـــن انواري

ولدي الشعاع من عالم الـــذ
ر ، ونفسي بعيدة الاقطـــار

حبذا يا « لميس » واهـــوا
ك وقد لاح في دجاك منـاري

وانتي بمتـــك « يا الشـــا
عر حورية من الاغـــــوار

واحب الانام طـرا الى قلـــ
ـبي وما كان حبها من عـار

وكان المنطق ان يقول : « وقد لاح في دجاي منارها » فلماذا عكس الشاعر هل يتغزل بنفسه امام حبيبته لميس ؟ او هل هي ضرورة الشعر ؟ لا اعرف سببا لذلك ، فغزل الشاعر بنفسه امام محبوبته مما لا يرضى عنه العشاق والمحافظون على تقاليد الحب وآدابه ، والشاعر نفسه يقول من هـــذه القصيـــدة نفسهـــا :

وتحب النساء ذات الفراشـ
ـت ، وتهوى الى هواها اعتذاري

والشاعر يحيط الجمال دائما بتقديره واجلاله فيراه حرية ، ويقول :

والحسن حرية وانـت بـــه
فاتنة للقلوب مفتونـــــة

والنبع الاول والاكبر لشاعرية شاعرنا الطيب هـــو الحـــب ، يقـــول :

فيا احباء فؤادي بكـــم
اشدو والحاني ملء الزمـــن

بل يقول معبرا عن هذه الحقيقة :

وقد تعلمين باني لحبك سيد
ت فكل فتى مادحي

وحبك فتق في البيان
وأودى بزندي للقادح

احل حبك اهوى بلادي
على عنت الحاسد الكاشح

وفي الحب كان له شغل شاغل عن كل شيء حتى عن السياسة وما اليها يقول :

ولقد وقفت اراقب الاحداث وا
احداث لا تألو الى فنونا

ولقد نسيت من السياسة حولنا
اعصارها وجحيمها الملعونا

والغيب أسرار ونور حبيبتي
يمحو الظلام ويبرز المكنونا

ويرى الشاعر ان الحب هو اقوى حقيقة من حقائق الحياة ؛ فيقول :

جعلين الاحياء منتي من الحب
وكان الغرام اقوى حقيقه

وهو السعادة الكاملة التي اهتدت اليها نفسه وروحه ؛ ومنه كان الشعر والبيان والبلاغة التي عرفها الناس في شعر الشاعر ؛ فيقول في موقف لقاء وتسليم:

وقد عرفت نفسي السعادة حيثما
تهلل بالتسليم كف وساعد

وحن اليها خاطر النفس ابيه ؛
هي لدوحه الحسرات والظل بارد

وعينك مصباح مسير وعالم
كبير وانسني بعينيك ماجد

الم تجدي اني اشتهيتك فوق ما
يكون اشتهاء الجنس والجنس مارد

تعالى اني هواك لي وتملكني
بيانك منذي ان شعري حامد

ويقول كذلك يصف سعادته في الحب :

وابصرت اقبال السعادة حينما
رايتك يا ليلى وهب نسيمي

بل ان الشعر عنده عزاء عن الحب ؛ فيقول :

طالما غنيت يا ش عر والشعر عزاء

ومن هنا كان مزجه بين الشعر والحب ؛ وبين الجمال والعبقرية حيث يقول :

وهي الجميلة لا نظير لحسنها
ابدا ، وهذا الجيل انت اديبة

والشاعر يعجب كيف مزج في حياته بين الحب والتصوف ؛ فيقول :

الا ليت شعري أي عفريت جنة
ساحك عف الحب بالن العساجد

وانك ذو قلب يضمن ن ورده
على كل شيء فيه نور مبارد

نكبه هدى العيون ولم زل
حظها سعيري المجالد

وانراف نفسي بالنبين كلته
على به الحسناء دون الملائ

والشعور بالعظمة عند الشاعر يقترن بالحب ، ويأتي في احاديثه عن الهوى والجمال ، يقول الشاعر متحدثا عن حبيبته :

قالت ارى انك العظيم واخ
شى الناس ان يجعلوك مفتونا

وانت فخر البلاد والقائد الفكـ
ـر ومن ذخره سيفتنها

ويقول كذلك ينقل الينا حديث حبيبته له :

والثناء الرخيم في شعرك الخا
لد من وحي ربك القيثار

ويتصور الشاعر انه بفكره وشعره قد ملك عرش الحياة ، ولبس تاج المجد :

ولي تاج اراه يضيء لما
كسا الآفق اظلام الليالي

وانت عميق غور الفكر ماض
على سنن العباقرة الاوالي

وليس للشاعر عن الحب من مفر ، يقول :

الحب يا صاح امره قدر
من قدر الله والنهى قسم

— 3 —

والشاعر الدكتور عبد الله الطيب في حديثه الى حبيبته يسترسل في قص ذكرياته حبه العذاب ، ووصف مشاعره المفعمة بالسعادة في الحب ، كل ذلك في عذوبة بريئة ، وخيال شائق ، وبساطة حلوة ، وتنقل بين مشاهد الطبيعة ومفاتنها ، يقول فيما يقول:

صديقة قلبي وراحة نفسي
ومتعة روحي والمرتعا

وتتسع نفرق حتى الزمان
يصير باشراقها اوسعا

وحتى نكون معا واحدا
بشخصين هاما ولن يفزعا

الا حبذا جلسات لنا
مهذبة كوبها شمشعا

فان كنت تجهل امر الهوى
فعندي اسراره اجمعا

تعالي اعلمكه انني
تيقنته وسواى ادعى

وحول ان الحب يفسح عمر الشاعر يقول ايضا في عذوبة صادقة :

واشرقت الدنيا بنور اديمها
وعمرني بها وحب وعمري افسح

وهي حقيقة نفسيه واضحة ، فشعور الانسان بالسعادة في الحب مما يطيل في حياته ، ويبعد عنه الآلام والاسقام ..

وليس هناك من وصف أجمل من هذا الوصف الذي يصور فيه الشاعر الدكتور عبد الله الطيب حبيبته ، اذ يقول :

وابصرتها في النيل وهي عبابه
وامواجه والريح تهدر هدرها

وابصرتها حمراء لبل ترفعت
والبست الدنيا سناها وفخرها

ويقول ايضا :

حبذا انت والجمال كساء
الله والحب عصمه ووقار

او يقول :

لها بشر الياقوت والدر جلدها
صفاء وكانت تفضح الناس والكثبا

ويناجي حبيبته في همس وسكون وخشوع فيقول :

انا يا ذات القرائحا
ت احاديث حسان

جيدك الناعم للحب
أمان وأمان

او يقول في وصف جمال خدها وتورده :

ورد خدها فصاء فيها
ربيع كان قبل له ذهاب

— 4 —

وتتعدد المواقف والمشاهد ، وتكثر الصور والمناظر في شعر الدكتور الطيب وهو يتحدث الى محبوباته ، وهن كثيرات ، وكأنه كما كان يقول عمر ابن ابي ربيعة : « اني امرؤ مولع بالجمال أتبعه حيثما كان » .

وفي اغلب ظني ان الشاعر الدكتور الطيب يكني بتلك الاسماء الكثيرات عن حقيقة واحدة هي محبوبته التي يشيد بها في كل قصائده .

واقرب الى خلدي ان ندرجه في سلك الشعراء العذريين الذين يهيمون بالجمال من حيث هو الجمال، لا من حيث لذات الجسد ، ومتعة الجسم ، ولنقرأ قصيدته « زوديتا » فسنرى الشاعر محبا صادق الحب ، خالص الهوى ، عذري النزعة ، بعيدا عن اللهو والعبث واللذة ، ويقول الشاعر من هذه القصيدة :

زوديتا تحية يا سعاد
والمسي فان قربك زاد

واعلمي اننا على العهد باقو
ن ولا زال شوقنا يزداد

ولنا الذوق والتجلي وفينا
ما حبته اباؤنا الاوراد

ومرنا على الصيام عن الشهـ
ـوة حتى كأننا زهاد

وعرفنا معنى الفناء الذي لا
تطلب الوصل عنده الاجساد

وعشقنا العشق العظيم الذي تعـ
ـجز عن درك كنهه العباد

ما نسيناك قد رأيناك يا ليـ
ـلى ولا زال منك يصبو الفؤاد

لا تضني بالقرب يا أم حسا
ن كلانا الى اخيه مراد

انت حقا جميلة ومحيا
ك مضيء وعندك الاسعاد

ففي هذه القصيدة تلمس عذرية الحب وصفوية الهوى عند الشاعر ، فهو قانع بالتحية ، طالب للزيارة، مقيم على العهد ، شوقه في ازدياد ، وهو يعيش وكأنه من الزهاد ، يعرف الفناء في الحب ، الفناء الذي لا تطلب الاجساد عنده وصلا ، وعشقه عشق عظيم ، حتى العباد لا تدرك كنهه ؛ وهو لم ينس محبوبته ، ولا يزال فؤاده يصبو اليها ويشتاق لها . وهو يخاطبها في توسل طاهر ان لا تبخل عليه بالوصال ، انها جميلة حقا ، محياها مضيء ، ولديها الاسعاد .. الى غير ذلك من المعاني الثرية النبيلة التي تصورها الشاعر في قصيدته .

وهو يشمل بحبه كل شيء : الوطن — الاهل — الديار — النيل ..

في مصر لست غريبا اذ اكون بها
لي الصديق وانس كان كالسراج

ما اشرف النيل من واد واترفه
وردا لصاد ، واشهاه للمحاج

ومصر عنده هي وطنه ايضا ، ولها الهوى والحب والهيام .

ووقفت عند (سمير ميس) ارى لكم
طيفا ، وابصر جيزة ونخيلا

والشاعر الدكتور الطيب من مدرسة الكلاسيكيين الجدد ، امثال عزيز اباظة والشابي وعلى محمود طه، ومن اليهم ، وهو يرى الشعر تجويدا وتهذيبا يقول :

والشعر انظر في تجويد أشطره
للناقدين ، اذ التجويد من همي

ويقول ايضا :

وقد نظمت قريض الشعر ، احسنه
والدهر يعجب من صوتي وانصاحي

وهو يصوغ قوافيه [illegible] محكمة ، حيث يقول فيها :

يا رب نصرك فانصرني وانك ان
لا تنتصر لي فمن نصحاك يحميها

ومن يفسر آيات الكتاب وبالاعـ
ـراب معجزة القرآن يرويهـا

وهو بثقافته الواسعة يسير في ميدان القريض مجـودا ومجـددا :

واعاجيـب عـوم وفنـون حويـت
وصنوف من حديـث حسن الجرس وعيـت

وهو ينوه بمواهبه في شعره فيقول :

وجربت ريب صروف الزمان
وقد ذهب الاخ والوالـد

واقبلت تبغي سبيل المروءة
يا صاح اذ سوقها كاسـد

حفاظ كريما وكل الحفـاظ
عندك من ارثـه الخالـد

واحسب ان جميع الحيـاة
سراب وانت لـه وارد

ولا ادري ما اعراب « الخالد » هل هي مرفوعة او مجرورة ولعل الشاعر استجار هنا الاقـواء على انه معيب او ضرورة .

ويؤكد الشاعر ان الشعر كان ميراثه عن والده فيقـول :

ولقد ورثت ابي وكان مجودا
نظم القريض وبيته معمـور

وهو يقول ايضـا :

ولقد ذكرت ابي وكان مجودا
نظم القريض وبدع الابداعـا

وللمتنبي نصيب كبير من تأثره وتاثيره الفنـي والفكري في شعر شاعرنا د. الطيب فوراه يقول كما قال ابو الطيب :

وجربت هذا الناس حتى سئمتهم
وصابرتهم حتى سئمت مخارجي

ويقـول ايضـا :

وجربت اصناف هذا الانـام
وكم كان فيهم لك ، الحاسد

وهو يصرح بالاخذ عن المتنبي والرجوع اليه ، حتى ليقول له في احدى قصائده :

وقال ابو الطيب العبقري ان الهوى كله فاسد

واثنان من المفكرين الادباء تأثر بهما شاعرنـا د. الطيب : واحد في القديم هو ابو عثمان الجاحـظ الذي يذكره في قصائده ، حتى تجده يقول في بعضها :

وقال ابو عثمان قد يذهب الهـوى
وتبقى صدوع منه هيهـات رأيهـا

والآخر من المحدثين وهو الدكتور طه حسين ، الذي يقول فيه الشاعر :

وغرست الغرس الكريم من المجـ
ـد وللدهر حوله اعصـار

وسعيت المسعى الذي اعجز الطا
لب ان الاصالة المضمـار

ورأيت الرؤيا التي عميت عنها
القلوب الغلاظ والابصـار

وللشاعر قصيدة غزلية عنوانها « فكر طـه » يقـول منهـا :

وهش الينا فكر طه برايـه
ومنه خلاصات السنين نفادها

بل لقد كتب قصيدة في رثاء طه تعد من اجود شعره ، ويقول فيها :

شغفنا به في زمان الصبـا
وذهبا التذوق من عذبـه

قرانا تصانيفه واستقبـ
ـب السلافة من شربـه

ونحن نرى في الأبيات
رأي ولي الفضل في نسبه

وأحرتني الناس لما عهدوه
لي ، وبجدتي من نسبه

ومع ذلك كله فالشعر يناثر الشعراء القدماء ويحتفظ بهم : فنجد بعض قصائده تذهب مذاهب قصائد قديمة ، فقصيدته « رقة وشكاية » هي مثلا « نواسية » المذهب ، ومطلعها :

لعل القناة المشتهاة تزور
وأني الى معروفها لفقير

وان لها وجها عليه نضارة
وفي طرفها طير الحياء أسير

وفي الشفتين رقة وشكاية
اليك واعياء معا وحبور

فهي على نهج رائية ابي نواس في مدح الخصيب والتي يقول فيها :

أجارة بيتنا ابوك غيور
وميسور ما يرجى لديك عسير

ومن ثم حسب بعض الدارسين ان نهج الشاعر الدكتور عبد الله الطيب نهج قديم ، والشاعر يذكر ذلك ويرد عليه في قصيدته الخيال الشعوبي فيقول :

الا ان — لا تتظلم « الا ان » — انهم
يقولون هذا الشعر نهج قديم

وقد ملكتنا الادعياء وسلطت
صنوف دعى بيننا وزنيم

والحقيقة ان الشاعر الدكتور عبد الله الطيب يملك الى جانب ما يملك من مواهب وعبقرية شاعرية ثرة ، وفكرا رائعا ، وخيالا خصبا ، ومقدرة لغوية فائقة الحد ، رفيعة المستوى ، لا يملكها أحد من شعراء اليوم ، وهو بحياته مع التراث واشاراته اليه في شعره كثيرا ، يرمي بأن نهجه نهج قديم ، وما اروع النهج القديم اذا تحلى بالاصالة والشخصية والعبقرية ؛ وليس الشاعر الدكتور الطيب الا واحدا من هؤلاء الشعراء من مدرسة الكلاسيكيين الجدد الذين انروا نهضة الشعر بكل جديد ورائع وعجيب ، مع محافظتهم على الاصول اللغوية الموروثة .

وعبد الله الطيب يعيش بعبقريته في غربته ، ويقول :

ان العبقري غريب دار
وان تبحره في اهل ومال

وهو معتد بنفسه كل الاعتداد حتى ليقول :

وللك السفلة والدور من الناس فداء

ويحتقر عقلية الجماهير فيقول :

وسواء لدى الجماهير لي بعـ
ـلم اهل الصلاح والفجور

ويعلن ثورته على الانتهازيين فيقول :

وقد ضقت ذرعا بهذا الغناء
وقطعت نفسي على الواقع

وذقت الامرين حتى دريت
بتجربة الألم الناقع

واحمل نفسي على المكرمات
وارب ذي رحم قاطع

ويقول ايضا :

وقد ضقت ذرعا بهذا النفا
ق والمين والكذب الشائع

وافك انتهازية قد طفت
على كل شيء بلا وازع

وتقول :

الم ترني قد سهرت الدجى
ومن حولي النام المجذب

ويعلن تمرده على بعض الناس فيقول ويعرض للحديث عن الطبيعة في السودان وجوه الحار :

الم تر طول اليوم والحر زاده
عناء وابصرت الوجوه به جريا

ثم ينعي على الجامدين جمودهم فيقـــول :

وقد نفست لين المعيشة عندنا
وحرية التفكير اهل جمـــــود

ويقـــول ايضـــا :

ايمنعني حرية القول فاجـــر
بلى ان ركني للنضال منـــع

— 6 —

وبعد فان ديوان « اغاني الاصيل » للشاعـــر الدكتور عبد الله الطيب جدير بالدراسة والتأمـــل ، فهو كله أو جله شعر في الحب والجمال ، والشاعر يكتب قصيدة الحب ، ويتخذ منها وسيلة للحديث عن حياته وذكرياته ، وآرائه فيجيد كل الاجادة .. وفي هذا الديوان ثلاث ظواهر فنية تتصل بالاسلوب .

الاولى : التقديم في الجملة وبخاصة تقديم المفعـــول من مثـــل قولـــه :

وشهـــدا من الهوى نشتـــار
وكنا لك الغـــرام نســـــر
والبـــذل تعطينـــــــا

وان لي من غضبي مدية
في الروح اعدائي بها اقتل

وكتـــاب الله اتلـــــو
اذا الخطـــب تـــــزل

والثانية : كثرة اضافة المصدر الى ضمير الفاعل او المفعول ، مثل : كراهيتكم ـ هوانك ـ وريكم ـ اكراميك ـ حبيك الخ .

والثالثة : وهي ظاهرة فنية واضحة في شعر الشاعر كل الوضوح ، وهي كثرة التشبيهـــات وجودتها حتى ليكاد الشاعر ينافس امراء التشبيه في الشعر العربي من امثـــال امرىء القيس وذي الرمة وابن المعتز ، واغلب هذه التشبيهات او كلها في شعر الحب والجمال من مثل :

وفي شفتيك التمر والخمر والعسل

او قولـــــه :

كأن محياها صباح وروضـــه
ودليل بآفاق السماوات مقمر

او قولـــــه :

وجيد « لميس » مثل تمثال معبـــد
اذا التفتت بالجيد جل المقصـــور

او قولـــــه :

وما ارسلت ليلى الى عرس
ولكنها جاءت تضيء الدياجرا

او قولـــــه :

انك ريحانـــة وبرحيـــــــة
وسنة لا تمسه البينـــــــا

انك رسولـــه بنـــــورة
من قبس الله ليس رسولـــا

او قولـــــه :

انت مثل اقبال الغمامة بالحيا ـ الا مقلتاك هما الكوثر ـ وثغر المليحة كالسكر ـ جميلة كحسام السيف ـ مثل بركان ـ وهي التبر والبلور .

او قولـــــه :

ولا يمل حديث منك يسكرني
وانت وجهك يا حسناء كالعيد

او قولـــــه :

اني احبك يا لميس محبـــة
مثل الخريف بكردفان المعشب

ومن تشبيهاته القريبة كذلك قوله :

رب تاج ابهى من العاج فى اللو
ن ومثل السراج والتينـــــه

وياخذ احيانا تشبيهاته من البيئة فيبعد عـــن جزالة العربية ، مثل قوله :

وهي الارز الرشيد بسمن وعســـل

وقولـــــــه :

خضراء كالرجلة النضيرة فى الرمل
لـــلالاء وجههـــا صـــــــــرم

وقولـــــــه :

لدن كـــان غضـــا كاليقول شبابكم

واكتناز المبيت بالمعاني ، واستئناف الجمله الوصفية عن موصوفها ، والخيال المحلق ، الـــذي يتعلق بخيال القدماء من الشعراء ، والاسلوب الجزل. كل ذلك بعض خصائص اسلوب الشاعر الدكتور عبد الله الطيب فى ديوانه الجديد « اغانى الاصيل » .

وبعد فان ديوان « اغاني الاصيل » يضعنا امام شاعر عملاق ، وامام شاعرية ، تتسم بالاصالـــة . والموهبة الفائقة والشخصية الواضحة .. بل انـــه يضعنا امام اسلوب « المتنبي » وجها لوجه .

انه ديوان شاعر الحب والجمال .. يفد الينـــا من الخرطوم على جناح الفكر والسحر والخيال .

د. محمد عبد المنعم خفاجي

خصائص اللغة العربية

(2)

للأستاذ

محمد عزة

10 — ان اللغة عصب وجود الانسان . ووجودها معاصر لوجوده . اللغة هي التي تصهر الاقوام . وتسبل عليهم رداء لباسها الخاص . وترسم فيهم فروعا من الحضارة روحي . فربت بعضهم على بعض بكلمات في الطعام . وتولاها تقريظا وثناء . وتبعوا حوائج . وذلك كل من صفاته الرسل المبلغين لرسالات السماء الا يتوانوا بكل او سرعة . وان يتكلموا بلسان قومهم ليبينوا لهم . ويدعوا بتمام سيرته . ويبصروا بنور شريعته . فيعملوا بعضوا بما اوحى الله به . حتى لا يكون بعد ذلك حجة لاحد على الله ولا على الرسل المبلغين . وان الرسول لا يعث في قوم لسن منهم . او لا يتكلم بغتهم بكل ذلك احاسيسه وتكيفه للاشياء ضد طباعها . ولو اتخذ لنفسه ترجمانا لكان عليه ناقصا مبتورا . كالمبصر اذا اراد ان يصف لاعمى ما يراه . فان الاعمى يتصوره بعدد من الاوصاف المتعددة في الامراد والجسامات والمثل . اذ لا يدرك الشيء بحاسة روحي واحدة من حواسه بوافق الكل حتى الفاء بالقذة [1] من غير مخالفة وهو في جملة واحدة . لا يذهب من الصرف الاجتماعي لمعاني الكتاب . وزمن الاطراد في مخارج الحروف مثلا . و " مما لا سبيل للشبهة فيه " ان الشخص الذي يحل بين الناس ويجلس لهم . يتسى منفردا عن جماعتهم غير معدود في زمرتهم . وتتوعر امامه الطرق الموصلة الى اختراطه في سلوكهم . وتتادل المنافع معهم . فاذا تعلم من لسانهم ما يطلع به على آدابهم وعوائدهم ومعارفهم . انعقدت بينه وبينهم صلة التعارف والمعاشرة . واصبح عضوا متصلا بهم . عاملا في هيأة مجتمعهم . هذا ينتج عن مجرد حفظ اللغة . فاذا ادرك من تلك اللغة فصاحة وبراعتها وراى تلك الآداب والعوائد والمعارف قائمة على اساس الحكمة . والمحسان العقل الصحيح . ترقى فوق ذلك الى مثال الغرب منها بفؤاده . واصبح معهم بجامع التحابب التحام الانمل بالراحة (2) .

وربما يصل الانسان الى بلد لا يعرف لغة اهله فيوقعه سوء التفاهم مع اولى الامر فيها في خطر لا يجد للخلاص منه طريقا . روى ان زيد بن عبد الله من ذار الحجازي ، دخل على ملك حمير في مدينة ظفار ، وهو جالس على مكان مرتفع ، فقال له الملك : نس . اي اجلس في لسان حمير ، ومعناها في لسان اهل الحجاز : اقعد . فنبهها الاعرابي على مقتضى لغته وقفز فتكسر وتفتت رجلاه . فسأل الملك عنه فخبر بلغة اهل الحجاز فقال : ليس عندنا عرست ، من دخل

---

1) القذة ، بضم القاف وتشديد الذال المعجمة مفتوحة ، ج قذذ وقذاذ : ريش السهم ، وفي الحديث : « لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة » ، يضرب مثلا للشيئين يستويان ولا يتفاوتان .

2) دراسات في العربية وتاريخها لمحمد الخضر حسين ، ص.88 — المكتب الاسلامي — دار الفتح — دمشق . ط. 2 — 1380 — 1976 .

ظفار حمر ، وفي رواية اما علم ان من دخل ظفار حمر ، اي تعلم اللغة الحميرية » (3) .

سقت هذه الحكاية لادل على ان للغة مجتمعا وبيئة وطرق استعمال ، ولا تكفي للمفردات ان تتحد صوتيا لتتحد معنويا ، واسوق بعد ذلك مستملحتين قد يرى فيهما عموم الناس مجرد تنكيت واضحاك ، مع أن الباحث اللغوي ، وان اضحكتاه ، فانه يرى فيهما اثر اللغة المطلق في رمزها الى نشاط المجتمع:

المستملحة الاولى : قيل ان امام مسجد مسلم لكنه غير عربي ، دخل بعض المساجد ، واخذ يحدث الناس في شؤون الصلاة ، وشروطها ، وما تطلب من خشوع ، وتذكر للحضرة الالهية ، وانها لا تكون صلاة حقا الا بحضور قلب المصلي ، وكان هذا الامام لا يحسن نطق « القاف » كما ينبغي في عرف لغتنا الصوتي وكان المستمعون قليلي الذكاء ، وتيقن ان قال ذلك الامام : لا تجوز الصلاة الا بحضور القلب ينطلق « ايقاف » « كاف » من « القلب » ولم يكن من المصلين الخاشعين هؤلاء الا ان احضروا كلبا ضخما الى مسجدهم ! فلما رأى امامهم ذلك استغربه وساورته الدهشة فاستفهمهم فقيل له : انت اشرت عينا بهذا فرفض وانكر ! وادركوا في النهاية ان المقصود هو القلب ، تلك المضغة التي اذا صلحت صلح الجسم كله ، واذا فسدت فسد الجسم كله .

المستملحة الثانية : حكى لي بعض العامة ان سائقا لشاحنة انقل البضائع فرنسيا ، كان قد اتخذ لنفسه مساعدا عربيا ، واراد السائق مرة أن يسير شاحنته نحو الوراء ونزل مساعده ليعينه على ذلك ، واخذ يقول بالفرنسية

اي الى الوراء ، الى الوراء ، فما لبث ان اقترب بشاحنته الى هوة سحيقة ، فاخذ المساعد ينادي « أناري ! أناري ! » كمن يستغيث ، او كمن شل عقله لدول المصاب فاسمته اللفظ العربي باللفظ الفرنسي صوتيا ، وما عتم ان وقع السائق وشاحنته في الهوة!

ولو جعل الله القرآن اعجميا وبلغة غير لغة العرب لقالوا لولا فصلت آياته وبينت بلغتنا ، فاننا عرب لا نفهم الاعجمية ، بل ولو تم ذلك لقالوا اقرآن اعجمي ونبي عربي ؟!

ولو انزل الله القرآن على رجل ليس بعربي اللسان فقراه عليهم لما آمنوا ولازدادوا عتوا وعنادا ، ولقالوا : لانفقه مثل هذا اللسان : « المر ، كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد ، الله الذي له ما في السموات وما في الارض ، وويل للكافرين من عذاب شديد ، الذين يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة ، ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ، اولئك في ضلال بعيد ، وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ، فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ، وهو العزيز الحكيم » (4) « وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ، وانه لفي زبر الاولين ، اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل ، ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين ، كذلك سلكناه في قلوب المجرمين ، لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ، فيقولوا هل نحن منظرون » (5) . « ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، ما يقال

---

(3) المرجع السابق ص. 118 . وظفار مدينة في اليمن القديمة ، كانت عاصمة الامبراطورية الحميرية ، وكانت محطة خطيرة لتجارة البخور ، ذكرها الرحالة العرب والروادة الافرنج . واللغة الحميرية من اللغات السامية ، وحمير يعود نسبها الى قحطان ابي قبائل اليمن العربية ، وقد تفرعت من حمير بطون هي شيبان ، وقضاعة ، وجهينة ، وبلي ، وكلب ، وبيراء ، وتنوخ ، ومهرة ، وجرم . وقوله : « ليس عندنا عربيت » هو بناء مبسوطة ساكنة وقفا ، احتفاظا بالاصل في ظاهرة التانيث ، ومن ذلك قول بعضهم : « يا اهل سورة البقرت » ، فقال مجيب : « ما احفظ منها ولا آت » وقول الراجز :

الله انجاك بكفي مسلمت ... من بعد ما وبعد ما وبعدمت
كادت نفوس القوم عند ايغلصمت ... وكادت الحرة ان تدعى امت

وبعض العرب يجري الوصل مجرى الوقف ، فيقول في الوقف : هذا طلحت ، وعليك السلام والرحمت . واكثر من وقف بالتاء يسكنها ولو كانت منونة منصوبة . وعلى هذه اللغة بها كتب في المصحف : « ان شجرت الزقوم » ، وامرات نوح وامرات لوط » واشباه ذلك ، فوقف عليها بالتاء نافع وابن عامر وعاصم وحمزة ، ووقف عليها بالهاء ابن كثير ، وابو عمرو والكسائي على لات بالهاء ، ووقف الباقون بالتاء ، والى هذا النوع من الوقف يشير ابن مالك :

في الوقف يا تانيث الاسم ها جعل ... ان لم يكن بساكن صح وصل
وقل ذا في جمع تصحيح وما ... ضاهى وغير ذين بالعكس انتمى

(4) سورة ابراهيم ، الآيات 1 — 4 .
(5) سورة الشعراء ، الآيات 192 — 203

لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ، ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم ، ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ، أأعجمي وعربي ؟ ! قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ، أولئك ينادون من مكان بعيد » (5).

فافتراضات المشركين خابت ، وتساؤلاتهم الساخرة ردت عليهم ، فلم يحدث شيء مما كانوا يفترضونه ، ليتقرر بذلك معنى اعجاز القرآن ؟ اذ هم — وهم عرب — اعلم الناس بانواع الكلام نظما ونثرا ، واذا عجزوا عن معارضته كان من ادل الدليل على انه من عند الله ، وذلك لما فيه من « كثرة التصرف ، وسلامة القول في ذلك كله من التعسف ، وخروجه عن التعمق والتشدق ، وبعده من التعمل والتكلف ، والالفاظ المفردة ، والابداع في الحروف والادوات ، كالابداع في المعاني والكلمات ، والبسط والقبض ، والبناء والنقض ، والاختصار والشرح ، والتشبيه والوصف » (6) . « وانما يعرف اعجازه من جهة عجز العرب عنه ، وقصورهم عن بلوغ غايته ، في حسنه وبراعته ، وسلاسته ونصاعته ، وكمال معانيه ، وصفاء الفاظه ، وقبيح لعمري بالفقيه المؤتم به ، والقارىء المهتدي بهديه ، والمتكلم المشار اليه في حسن مناظرته ، وتمام آلته في مجادلته ، وشدة شكيمته في حجاجه ، وبالعربي الصليب والقرشي الصريح الا يعرف اعجاز كتاب الله تعالى الا من الجهة التي يعرفه منها الزنجي والنبطي ، أو أن يستدل عليه بما استدل به الجاهل الغبي » (7) . والقارىء الذواقة والاديب الاريب والعالم اللبيب ، يتبين في كل ما تصرف فيه القرآن من الانواع «انه على سمت شريف» ومرقب منيف ، يبهر اذا أخذ في النوع الربي ، والامر الشرعي والكلام الالهي ، الدال على انه يصدر عن عزة الملكوت وشرف الجبروت ، وما لا يبلغ الوهم مواقعه من حكمة واحكام ، واحتجاج وتقرير ، واستشهاد وتقريع ، واعذار وانذار ، وبشارة وتحذير ، وتنبيه وتلويح ، واشباع وتصريح ، واشارة ودلالة ، وتعليم اخلاق زكية ، واسباب رضية ، وسياسات جامعة ، ومواعظ نافعة ، واوامر صادعة ، وقصص مفيدة ، وثناء على الله عز وجل بما هو اهله ، واوصاف كما يستحقه ، وتحميد كما يستوجبه ، واخبار عن كائنات في التالي صدقت ، واحاديث عن المؤتنف تحققت ، ونواه زاجرة عن القبائح والفواحش ، واباحة الطيبات ، وتحريم المضار والخبائث ، وحث على الجميل والاحسان »(8) فلله المنة والعزة ، اذ جعل القرآن تبصرة لاولي الالباب ، واودعه من فنون العلوم والحكم العجب العجاب ، وجعله اجل الكتب قدرا ، واغزرها علما ، واعذبها نظما ، وابلغها في الخطاب ؟

11 — اللغة اداة الشعراء والعلماء ، ورسالة الشعر هي ان تكشف عن قيمة هذا العالم الذي نعيش فيه ، عالم تجربة الانسان الحي ، والشعر يعيش في لغته ولا يمكن فصله عن الفاظه الاصيلة التي يكتب بها ، فتلك هي طبيعة الشعر واكسيره ، وما اثر الشعر الذي يتمثل في صعوده وهبوطه وامتداده ، فينعكس ذلك على النفوس ، وما انشراح الصدور بالعفو ، وتناسي الاحن ، ونبذ الضغائن ، وترك آكلة الاكباد والندم والتوبة ، والرجوع الى الحق ولو كان مرا ، الا بفضل الوقع الذي تخلفه النصوص الفاعلة فعلها في احاسيس الناس ودخائلهم ومشاعرهم ، وهل عفا الرسول عن كعب بن زهير ، وكان قد هجا النبي والاسلام فاهدر دمه ، الا بفضل قصيدة « بانت سعاد» التي انشدها في مسجد المدينة ؟ والا بفضل الاثر الذي تركته هذه القصيدة في نفس الرسول ؟ وهل عفا عمر عن الحطيئة بعد ان حبسه لصريح هجائه الا بتأثر الاول لشعر الثاني ، فقد كان عمر يبغض صريح الهجاء ويستنكره ، وقد حبس فيه الحطيئة لما لم يجد بدا من عقوبته ، ولكنه كان يتأثر بالشعر اذا استعطف به ، وقد كان الحطيئة حين استعطفه ليطلق سراحه اعلم الناس بأخلاق الفاروق ، فجاء اولا من ناحية بنيه الصغار وما يلاقون من جوع وشظف بعد حبس ابيهم ، ثم لما هم بمدحه لم يجاوز الحد ولم يقل الا حقا :

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

القيت كاسبهم في قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر

---

5) سورة فصلت ، الآيات 41 — 44 .
6) اعجاز القرآن لابي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، ص 301 — تحقيق السيد احمد صقر — دار المعارف 1963 .
7) كتاب الصناعتين ، تصنيف ابي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، ص 7 — 8 — ، تحقيق محمد علي البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم — عيسى البابي الحلبي وشركاه
8) اعجاز القرآن للباقلاني ص 301 — 302 .

انت الامام الذى من بعد صاحبه
القت اليك مقاليد النهى البشر

ما آثروك بها اذ قدموك لها
لكن انفسهم قد كانت الاثر

ذلت امر عمر باطلاعه واخذ عليه الا يجيز مسلما .

وهل قال الرسول الكريم « ان من البيان لسحرا » الا لان البيان قد يخدع بتزويقه وزخارفه وحسن عبارته ومطالعه ، حتى ينتزل الانسان من حال الغضب والتخاشن الى حال الرضا والملاينة ، وينزع حمات المحاكم ، ويضع عقود المراتب ، ويكبح الجامح حتى يرجع ، ويسوق السابق حتى يقع ، ويعود بالخصم الصائع مزاعمه ، والبعيد الابعد مقاربا (9) .

وهل تتجاوب مع النصوص الا اذا صادفت هوى فى انفسنا ، وعبرت عن شعورنا ازاء معنى من المعانى او قضية من القضايا ؟ انظر الى قول بعض الشعراء فى قضاة زمانه :

قضاة زمانا تحسبوا معروفها
معروفا فى الحالتين لا ضعوفها

يرون تكمل المنزل الياسمى
كانه رووا فيه نصوفها

وحسبك انهم لو صافحونا
لسلبا من خواتمنا الفصوفها

ان جمال اللغة وتعبيرها الدقيق كثيرا ما يغير من مواقف الفرد نحو فرد آخر ، او نحو حادثة من الحوادث ، بل حتى نحو دين من الاديان ، بلغ عمر ابن الخطاب ان اخته اسلمت ودخلت فى دين الله ، فغضب لذلك اشد الغضب ، وزارها فى بيتها يعنف على ما فعلت بترك دين آبائها الاولين ، فلما جلس اليها واخذ فى تأنيبها اسرعت فتناولته صحيفة فيها شىء من القرآن ، فلما قرأها ملكت عليه شغاف قلبه فعرض اسلامه على الرسول وصدق برسالته لتوه . وروى أن قيس بن عاصم المنقرى قال للنبى : اتل على مما نزل عليك ، فقرأ عليه سورة « الرحمن » فقال : اعدها ، فأعادها ثلاثا ، فقال : والله ان له لطلاوة ، وان عليه لحلاوة ، واسفله لمغدق ، واعلاه مثمر ، وما يقول هذا بشر ، وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله . وروى أن رجلا استوقف المأمون يستمع منه فلم يقف له ، فقال : يا امير المؤمنين ان الله استوقف سليمان بن داود عليهما السلام ليستمع منه ، وما انا عند الله باحقر من نملة . وما انت عند الله باعظم من سليمان ! فقال له المأمون : صدقت ووقف له واستمع له وقضى حاجته (10) .

12 — ان العقل عقلان ، غريزى ومطبوع ، ومرفوعه من حيث الانسان موضع عروق الشجرة من الارض ، ويشترك فيه جميع العقلاء ، وهو الذى عناه الرسول الكريم بقوله : « ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل » وحرمى مصنوع ، وهو العلم الذى يستفيده الانسان بكسبه بكثرة التجارب والوضع ، وهو من ظاهر الانسان كثمرة الشجرة من فروعها ، وهو الذى عناه الرسول عليه السلام بقوله : « ما كسب احد شيئا افضل من عقل يهديه الى هدى او يرده عن ذى » وعنى الاخير بعينه العلماء ورجال البحث ، وفى شأنه قيل : « من بضعت الحوادث لمته ، واحكمت التجارب لبانه جدته ، واراه الله لكثرة ممارسته تصاريف اقداره واتعبته كان جديرا برزانة العقل ، ورجاحة الدراية »

والتجريبى من العقلين هو الذى يهبه الغريزى منهما ، فيبعثه من مرقده ، ويطلقه من مكانه ، كما يستخرج البذر والماء ما فى قعور الارض من كثرة الريع ، لانه ذو ء القلوب ، ومطية المجتهدين ، ولا ينفع الا بالاستعمال ومغم اللغة منه لمغم السخص من ظله ، او كالحس فى الاشمومة ، والنشأ فى الريح الطيبة ، او كاطراب فى النغمة الموسيقية والمسك فى رق الغزال فالغة تحمل طابع العقل وتكشف عن اغوار العلوم التى لا تصل الى الناس الا عبرها وعن طريقها ، فنعرفون ما لغه هذا العالم او ذاك وما جد فى الحياة من ثمرات الفكر وحصائل العلم ، فتتسع اخيلة الناس ويبعد نظرهم ، ولذلك كانت المعرفة باللغات يزيل كثيرا من اسباب العدوان ، ويهدىء من حدة التوتر بين الافراد والجماعات ، ويقرب الاقيام بعضها من بعض ،

---

9) المجازات النبوية ، لمالك الشريف الرضى ص 115 بتحقيق وشرح الدكتور طه محمد الزينى — مؤسسة الحلبى وشركاه .
10) حياة الحيوان الكبرى ، لكمال الدين محمد بن موسى الدميرى ج 2 ص ، 644 ادارة التحرير للطبع والنشر 1966 .

رقى اللغة يساير رقي العقول، والعقول لا ترقى الا بالتجارب ، وتباطل الخبرات ، بل ان رقى الاولى يطرد بتواجد الثانى ، واظنه مخطئا من يفهم مثل قول رفاعة الطهطاوى وهو فى باريس على اساس دقى وحده :

ليوجد مثل باريس ديار
تسوس العلم فيها لا تغيب

وهل الكفر ليس له صباح
اما هذا وحقكم عجيب

13 — يقولون عن اللغة انها كائن حى ، صدقوا، وهى باقية على ذلك ما كتب للجنس البشرى بقاء لانها تعايشه ، تبقى ببقائه وتزول بزواله ، والانسان اعطى هبة النطق منذ ان سوى انسانا لانه كائن لاغ ، وهو اذ يفكر البعث والنشور يوم القيامة انما ينكر نفسه ، وينكر لوجوده وانسانيته ويكفر بنعم خالقه الذى أنعم عليه بالسنا يعيشها ، وبالمال يصرفه وينفقه وبالعينين يبصر بهما ، واللسان ينطق به ، والشفتين يستر بهما ثغره ، والقدمين كطريقين لحياة الولد وزرقه : « لا اقسم بهذا البلد - وانت حل بهذا البلد ، ووالد وما ولد ، لقد خلقنا الانسان فى كبد ، أيحسب ان لن يقدر عليه احد يقول اهلكت مالا لبدا . ايحسب ان لم يره احد ، الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين » (11) . وفى الحديث : « يا ابن آدم ، ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك ، فقد اعنتك عليه بطبقين فأطبق ، وان نازعك بصرك فيما حرمت عليك ، فقد اعنتك عليه بطبقين ، فأطبق ، وان نازعك فرجك الى ما حرمت عليك ، فقد اعنتك عليه بطبقين فأطبق » (12) .

واللغة لا تكون منفصلة مفهومة الا باللسان بخرجها من القوة الى الفعل ، والعلم ، أى علم ، لا يتم بدون لغة ، لا تلقا ، ولا شرحا ، ولا تعليما ، ولا كتابة ولا القاء ، ولا غير ذلك من وسائل الاداء والتلقين والتحصيل والتلقى . يروون عن ابن عباس ان الله لما خلق آدم علمه اسماء كل شىء حتى القصعة والقصيعة وهذا الذي يروون مهما اكتسى من طابع خرافى او لبس لباسا ما ورائيا للغة ، فانه يمثل حقيقة ماثلة واقعة ، تلك هى دور اللغة فى حركات الانسان وسكناته فهو يتخذ اللغة اداة جده وهزله ، وامانه وترحاله ، يستعملها ذريعة للبحث ، ووسيلة للشرح ، ولا حياة لعلم بدونها ، فعندها يلقى العلماء وعليها يعول الطلاب » وعلى اساسها يقوم التاليف والنشر ، ولغة العلم تسير بسير العلم ، وتقف بوقوفه ولغة العلم هى لغة الوضوح والدقة ، والبيان والسرعة ، يصطلح عليها العلماء فتسير لفتهم وتدخل فى العرف الخاص ، ولكل علم مصطلحاته ، وكلما تقدمت فنه نمت ونابتت وتجددت ، بيدا المصطلح هزيلا مترددا ثم لا يلبث ان يقوى ويستقر ، وتاريخ العلوم الى حد ما تاريخ لمصطلحاتها (13) .

ثم يتفوق آدم على الملائكة بعلمه وقوته او سلطانه ارجاعه . وانما يميز عليها بالعلم وتفوق عليها بالحجة ، فقد ابدوا بعض الدهشة عند ما قال لهم الله انه جاعل فى الارض خليفة ، واستغربوها لانها تقتل وتسفك الدماء وهم يسبحون الله ويقدسون له ، « لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون » (14) فلما اراد سبحانه ان يقمع حجتهم اراهم حجة اكثر الزاما بان اظهر جهلهم بما يعارضون فيه ويماارون . وانى آدم واريه فى صورة فوقهم وتفوقه عليهم - وعلمه اسماء كل شىء ، فوقف الجنس البشرى بذلك على كثير من اسرار الكون وغرائب الوجود « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة ، قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال انى اعلم ما لا تعلمون ، وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم ، قال يا آدم انبئهم باسمائهم ، فلما انبأهم باسمائهم قال الم أقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » (15) .

14 — الانسان لولا اللغة ، انما هو صورة ممثلة، او ضالة مهملة ، والله رفع جارحة اللسان على سائر

---

11) سورة البلد ، الآيات 1 — 10 .
12) الجامع لاحكام القرآن ، لابى عبد الله محمد بن احمد الانصارى القرطبى ج 20 ص . 65 دار الكتاب العربى للطباعة والنشر 1387 — 1967 .
13) فى اللغة والادب للدكتور ابراهيم مذكور ص، 65 سلسلة « اقرا » دار المعارف بمصر . عدد 337 يناير 1971 .
14) بعض الآية السادسة من سورة التحريم .
15) سورة البقرة ، الآيات 30 — 33

الجوارح ، فليس منها شيء أعظم أجرا منه اذا أطاع، ولا أعظم ذنبا منه اذا جنى ، ولعل ذلك هو الذي دفع الشاعر الى الصمت عن اللئيم ، ووزعه ان يكف عنه فلم يكل له بنفس الصاع :

ولقد أمر على اللئيم يسبني
فمضيت ثم قلت لا يعنيني

وعصاني سفها على اشانه
الى وحتك سحطه وسخطني

لان من جهل بالصمت عن الخطق ، ولعل الله قد رصد سلوك اللغة الاجتماعي في الناس ، نهى عن سب أوثان المشركين ، لما في ذلك من رد بالمثل ، ولما في ذلك من تنفير من الدين وازدياد في الكفر ، لان سب آلهة المشركين سب لهم أنفسهم في الصميم - فقد كان يقال : « ضرب الدابة صقع لصاحبها » ، واذا غضبوا او اغتاظوا ربما سبوا الله عدوا بغير علم، الا ترى ان المسلم نفسه قد تحمله شدة الغيظ والحنق على التكلم بالكفر : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ، كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون » (16) .

قال ابن عباس : « قالت كفار قريش لأبي طالب: اما ان تنهى محمدا واصحابه عن سب آلهتنا والمعايب منها ، واما ان نسب الهه ونهجوه ، فنزلت الآية » ويقال العلماء : حكم الآية باق في هذه الامة على كل حال متى كان الكافر في منعة ، وخيف ان سب الاسلام او النبي عليه السلام او الله عز وجل ، فلا يحل لمسلم ان يسب صلبانهم ولا دينهم ولا كنائسهم ، ولا يتعرض الى ما يؤدي الى ذلك ، لانه بمنزلة البعث على المعصية (17) .

وفي الآية ضرب من المداهنة ، وفي مثل هذه المسائل الاجتماعية ، تتشعب السبل وتتلاقى ، وتختلف المشارب ، وتعدد الاتجاهات ، والخطأ فيها أحسن ، وفيها من أدب المسؤولية ما يحفظ على المرء دينه اذا أدى الى ضرر يكون في الدين ، ومن هذا المعنى ما روي عن عمر انه قال : « لا تبدوا الحكم بين ذوي التراثات بمكاتبة المطيعة » . وهذا النوع من السلوك الاجتماعي مجاله وميدانه وطريقه هو اللغة ان سلبا وان ايجابا .

15 — واللغة بقدر الانسان تحدث ، وبواسطتها يستشعر انه حي ، وهل من فرق بين الحي والميت سوى اللسان ؟ ام هل الاحلام الا مناجاة نفسية كلامية ، والعلم الروحي « يقرر ان الانسان عندما ينام تتركه روحه اثناء غيبته الى عوالم مجهولة تجول فيها ساعة مثلية ، وقد تعود ها أرواح اخرى سبقتها الى العالم الآخر بالموت وتريها امورا لا يصح لها ان تحتفظ بها في ذاكرتها لانها تخص العالم الآخر ، والاحلام يراها الانسان بالروح ويفهمها بالعقل ، ومستقر الروح — وهي من امر ربي — نقاط في وسط القلب ومستقر القلب في رسوم الدماغ ، والروح متعلق بالنفس ، عاذا نام الانسان امتد روحه مثل الاسراج او الشمس فيرى بنوره وضياء الله تعالى ما يريه من الرؤيا ، وذهابه ورجوعه الى النفس مثل الشمس اذا غطاها السحاب وانكشف عنه .. » (18) ولذلك قد ينطق الحالم بها في نفسه وهو نائم ، وقد يتكلم كلاما مفهوما مفصلا كعادته وهو يقظان الا انه لا يعي ما يقول ، وقد يضحك وربما بكى بالدمع المشهور . وهل سخر ابراهيم الخليل من قومه ومن أصنامهم التي جعلها جذاذا الا لانها عديمة الحس ، عندما تأمل وتبصر ؟ ام هل وفق للنظر والاستدلال وتبرع بالحجة لا حس طلب من قومه ان يسألوا اصنامهم ان كانوا ينطقون؟ ام هل انكر ابراهيم ربوبية الزهرة والقمر والشمس ، الا لانها تغيب ويغيب معها كل ما يمت اليها بصلة ، من ضياء ونور وحرارة ..؟ « ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ، اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون ، قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين. قالوا أجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين ؟ قالوا بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون ؟ قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين. قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم . قالوا فأتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أانت فعلت

16) سورة الانعام ، الآية 108 .
17) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج 7 ص 51 .
18) دليل تفسير الاحكام ، تأليفه وتحقيق أحمد الصباحي عوض الله ص 58 — 59 منشورات المكتبة العصرية ، بيروت — صيدا .

هذا بآلهتنا يا ابراهيم ؟ قال بل فعله كبيرهم هـــذا فسألوهم ان كانوا ينطقون ! فرجعوا الى انفسهم ، فقالوا انكم انتم الظالمون ، ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ؟ قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ؟ ! اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون » (19) - « واذ قال ابراهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة انى اراك وقومك فى ضلال مبين . وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليـــل راى كوكبا قال هذا ربى ، فلما افل قال لا احب الافلين . فلما راى القمر بازغا قال هذا ربى ، فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لا كونن من القوم الضالين . فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون . انى وجهت وجهى للذي فطر السموات والارض حنيفـــا ومـــا انا من المشركين » (20) . فاللغة رمز الحياة وآية الحركـــة واذا انعدمت او عدمت توقفت حركة الفكر وخبانجم النشـــاط الانسانى ، وتحول كل شىء فى الحياة الـــى سكون كسكون الليل ، ولم يعد فرق بين البصـــر والبصيرة ، ولم يعد هناك مغزى عن الصريح ، وحرد الحبل والوتر ، وتفسر الغزل والنسيت لحم العقـــول بأيديهـــا .

محمد حمزة ـ الرباط

---

19) سورة الانبياء ، الآيات 51 ـ 67 .
20) سورة الانعام ، الآيات 74 ـ 79 .

الحسّ السياسي في شعر عزيز أباظة

للدكتور ابراهيم دسوقي أباظة

كلما تناولت القلم لأكتب في سيرة عزيز أباظة انتابتني الحيرة واستبد بي القلق .

فما انا بشاعر ضالع في هذا الفن من فنون الشعر الذي أجاده عزيز أباظة وهو الشعر المسرحي .....

ولا أنا من الموهوبين في الادب المتمكنين من بحوره الواسعة ..... ومعارفي اللغوية والتاريخية لا تزيد عن المعارف العادية التي يلم بها اضرابي ممن شاءت ظروفهم ان يلجوا ميادين اخرى بعيدة كل البعد عن الشعر والشعراء والادب والادباء .....

ومع كل ذلك أجدني مدفوعا بالكتابة عن عزيز اباظة ... وشعور غريب يستحثني بتجاوز جدار الحرج والحيرة ... لعله شعور الوفاء لذكرى الشاعر الكبير ... أو لعله شعور الرغبة في استجلاء جوانب عديدة من شخصيته الشعرية .

ولكنه على كل حال شعور أسترضيه بالكتابة واسأل القارىء الكريم المعذرة كل المعذرة فيما أكتب وأملي أن يجد في معرفتي بعزيز اباظة الانسان ما يعوضه عن جهلي بعزيز اباظة الشاعر .

المطالع لمسرحيات عزيز اباظة الشعرية يتلمس في سهولة ويسر العديد من المعالجات السياسية التي تنبيء عن المامات واسعة بعلومها وفلسفتها .

وليس هذا بمستغرب على رجل مارس الحكم وعرك السياسة ، فقد كان خبيرا بفنونها العملية... مطلعا على أسرارها الدقيقة ولعل صلاته الوثيقة بكبار ساسة مصر ؛ وخاصة صهره رئيس وزراء مصر الراحل اسماعيل صدقي باشا قد زاده حنكة ومعرفة.

ففي مسرحية الناصر تصور لنا الشاعر الكبير الاحداث الجسام التي كانت تموج بها الاندلس تحت حكم عبد الرحمن الداخل فاجرى على لسان أشخاص المسرحية حوارات رائعة ؛ تراوحت بين العزل والدس والتآمر والحكمة والسياسة من اروع ما دار بين الناصر وابنه الحكم في نهاية المسرحية .

اذ عندما جلس الحكم يبكي حبيبته الصريعة (شفق) دخل عليه أبوه يستعده للحرب ضد جيوش الاعداء الذين أطبقوا على البلاد من كل جانب .

الناصر : بني

الحكم : ابي قد أطاح الردى

بحبة نفسي وخلصانها

الناصر : أ أودت ؟

الحكم : مضت كعروس السماء

هوت في مقدن الوانها

أبي قد فقدت نعيم الحياة
ومعنى الحياة بفقدانها

الناصر : تماسك ... بلادك ترنو اليك
بآمالها ، وبوجدانها

لقد سبب الحرب فاهر لها
غدا في طليعة فرسانها

فإن عدت فاروِ هراك الصريع
بصب الدموع وبهتانها

(مستمرا) (...) :

الحكم : وكيف ، وهل استطيع
ونفسي تموج بأشجانها

الناصر : بلادك ألقت بأشياخها
لهذا الوغى وبفتيانها

أتتركها بين أيدي الخطوب
وتنكل عن بذل قربانها

الحكم : أبي .. !

الناصر : (مقاطعا في حدة)

أن بلها فلست الجدير
بعطف البلاد وإحسانها

أتصغي ... !

الحكم : أبي اعفني .

الناصر : (في حدة) عفتك الليالي بحدثانها

الناصر : سأمضي أنا السيد ...

الحكم : لا ... أقسم
وإني لحائض نيرانها

(يمشي متحاملا وهو يلتفت الى شفق)

عليك شقيقة نفسي السلا
م من خفق روحي وألحانها

بقي بي ... فإني غدا ناصر
بلادي وداعم بنيانها

فإن بلغت في العلا شأوها
هفت لك روحي بتحنانها

الناصر : الى ذروة المجد سر بالجيوش
محوطا بمأثور إيمانها

وجاهد بها في سبيل البلاد
توطد أواسي أركانها

حياة الملوك ومجد الملوك
لأوطانها وبأوطانها

وفي مسرحية قصيرة التي استوحاها عزيز اباظة من شكسبير يصور الشاعر على لسان قيصر حقيقة الانفعالات الشعبية :

قيصر : (لنفسه في تؤدة وسخرية)

ما أقدح الحكيم عبئا
بلوته فابتلاني

أن يستسر قبل ضعف
والضعف عدل الهوان

وإن تفردت قالوا :
عمهت في الطغيان

(يجلس . سكتة قصيرة)

مستمرا : اليوم يهتف باسمي
وأمس غضوا مكاني

ان الشعوب رضاها
وسخطها احمقان

تهدي ببعض وود
من غير ما برهان

عقولها في هواها
معلنة الميزان

وفي المشهد السادس من نفس المسرحية يجري حوار فلسفي رائع بين بردتوس واحد الفرسان يتجلى فيه الحس السياسي عند الشاعر في اصدق تعبير ... :

بروتس : من انت ؟ قف او تعرف
مالي تداعيت مالي ؟؟

نم لنفسه : لا تدن . هذا حسامي
فاحذره واخش صيالي

(يتقدم الفارس غير آبه لشيء

مستمرا : من انت ؟

الخيال : جرمك يحيا
ما بين أطواء نفسك

يقيم فيك الى ان
يطويكما نؤى رمسك

بروتس : رحماك قيصر!!

الخيال : اقصر
فما برحت غويا

قد هان وزرك لو لم
تقتل اباك الخفيا

بروتس : (وقد استرد جاشه)

قتلت جبار روما
ثم انفجرت بكيا

حرية الناس اغلى
من كل غال علي

الخيال : (في سخرية)

حرية الناس ! ماذا
نعني بها يا بني

بروتس : هي الكرامة تبنى
وتصنع الادميا

الخيال : (في ضحكة ازدراء)

بل قل ركاكة رأي
تغشى الغبي الشقيا

وخدعة قد احالت
بلة الشعوب مطيا

حكم يطيح بحكم
والناس ترضى القويا

هل ينشد الناس الا
آمنا وقوتا وريا

بروتس : ما زلت جبار دهر
يصول ميتا وحيا

لولا تهضمت روما
وسدتها او حديا

ورمت ملكا وتاجا
فجئت امرا قويا

لكنت تاريخ روما
وفخرها العبقريا

الخيال : اسرفت فارجع لحكم
يسمو بأقدار حكمك

اغواك « كابون » حتى
اوشكت تردي بسهمك

انا بصحبك فانظر
من حامل بعض همك

لم تبق منهم حليف
ملازم غير جرمك

(تهيأ الخيال للخروج ويقول في قوة)

حرية الناس كم من
باع أذلك باسمك

طغى وزعم أن
الطغيان كافل دعمك

وحين يملك بلوي
بخصمه لا بخصمك

بروتس : هذا خلاب الدهاة
هذا افتيات الطغاة

انا بناة نفوس
كريمة النزعات

ان لم نكن قد بلغنا
فالنجح لا شك آت

(يمشي الخيال الهوينا)

(مسمرا في رجاء) بروتس .

هلا تريثت ؟ اني قد زال عني ارتياعي

فاد ... لابنك نصحا

الخيال : (في صرامة)
لا راب بعد انصداع

بذلت نصحي فالسوي
به فحيح الافاعي

بروتس : ارجع الى !!

الخيال : كلا
هذا لقاء الوداع

وقد اطيف « بقلبي »
والموت ملء البقاع

هذه المعالجة السياسية في شعر عزيز اباظة ليست قاصرة على بعض مسرحياته ... وانما تتناول معظم انتاجه الشعري .... لانها في الواقع جزء من فن المسرحية التاريخية الذي برع فيه ... وكرس حياته من أجله ...

فمسرحياته العباسية وشجرة الدر ، وغروب الاندلس وشهريار ، وقافلة النور ... تنطوي ايضا على العديد من المواقف السياسية التي حلق عزيز اباظة في تصويرها فالتقى عنده الحس السياسي بالحس الشعري في صور اخاذة من الراي والحكمة والفلسفة السياسية .

الوجادات

661 - 675

اعداد :

الأستاذ عبد القادر زمامة

661 – من شعر المولى ادريس بن ادريس :

وجدت في كتاب الوافي بالوفيات تأليف صلاح الدين بن ايبك الصفدي المتوفى سنة 764 هـ . ج 8 ص 314 . وهو من النشرات الاسلامية لجمعية المستشرقين الالمانية :

● ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ذكره المرزباني في معجم الشعراء . واورد له قوله :

لئن مال صبري بصبر الناس كلهم
لكل في لوعتي أوفى على حزني

وما اريغ الى يأس لمطلبي
الا تحول بي يأسي الى الطمع

وكيف يصبر من ضمت أضالعه
على وساوس هم غير منقطع

اذا الهموم تواعت بعد هدأتها
عادت عليه بكأس مرة الجرع

نأى الاحبة واستبدلت بعدهم
هما مقيما وشملا غير مجتمع

كأنني حين يجري الهم ذكرهم
على ضميري مجبول من الخدع

تأوي همومي اذا حركت ذكرهم
الى جوانح جسم دائم الوجع

قال ابو هاشم صاحب سيرته ادريس بن ادريس مثل لي يوما : اخرج بنا الى ساحل البحر لصلي فخرجت معه يصلي وقت ما ناحية فاقبل نفر نحونا فقال يا داود هؤلاء اباضية . يعني خوارج جاءوا ليقتلوني .. ! قلت انا لهم .. ! فقال لا . انا .. فأخذ السيف والدرقة وقصدهم فقتل منهم سبعة .. ! فأدبر الباقون .. ! فرجع الى فاعطاني السيف وقال :

المجد اورثنا هاشم ومجده اورده
واوصى بنيه بالطعان وبالضرب

فلسنا نمل الحرب حتى تملنا
ولا نشتكي ما نلاقي من النكب

ثم بأتي صلاح الدين الصفدي في نفس الجزء ص 319 بمقطعة ينسبها اليه في رثاء والده ادريس بن عبد الله يقول فيها .

نفسي الفداء لما جاءت منيته
يرمي بها بلد ناء الى بلد

فاختلست نفسه منه مخاتلة
حتى تخلى من الاموال والولد

اهدى اليه المنايا ذو قرابته
بغير جرم سوى الشحناء والحسد

لئن ظفرتم بيوم قتلنا غلمـــا
ان لترجعوا من الرهـن فوز غد

حتى يزيل اثل الحق كـــرد
ويشرب الكأس سقيا بـدا بيـد

662 — من شعر ادريس بن عبد الله :

ووجدت فى نفس الجزء ص 3/9 قطعة ينسبها الصفدى الى المولى ادريس بن عبد الله يقول فيها :

● غربـت كـــى اغـرب لى شـورة
[illegible]

لا خير فـى العيـش امـن يغتـرى
فـى الارض جـارا لا مـرىء جـائر

والارض مـــا وسعهـــا رهـــا
الا لتبـــدو همـــة البـــاتـــر

لا بلغـت لـــى مهجـه سرليـــ
ان لـــم اوف الكيـل للقـــادر ●

663 — كتاب « البارع » وكتاب (العين) :

وجدت فى المقدمة التى كتبها الاستاذ عبد الطعان (البارع) الذى الفه ابو على القالى وحققه الاستاذ المذكور ص 65 ط بيروت 1973 م

— اخذ القالى هذه النسخة — من كتـــاب العين — فصنع بها ما صنع بـــ (فعلت وافعلت) أى : وعملها ، ونظم لكل مادة تعرفه بما ورد عنها فـى مرويـاته وارتأى ان يحاذ بـ ترتيب الحروف بعـض الشىء والتزم بعض ما نظمه مهملا وتسعب الشواهد غير المنسوبة الى قائليها حتى استطاع الى ذلك سبيلا واكمل الشواهد المبتورة فكان بن ذلك كله البارع .. ! فالبارع اذن ليس الاكتاب العين « موصولا »

664 — الرمـان السفـرى :

وجدت فى كتاب غذاء الالباء للحفنى الشافعى المصرى فى ترجمة القاضى عياض بن موسى اليحصبى السبتى المالكى المتوفى سنة 544 هـ ما نصه :

— ثم لما صار معاوية الى الامير عبد الرحمـن (الداخـل) دخل عليه يحف على اعتـاد ويمال فى تلك التحف من الرمان المعروف اليوم بالاندلـــسى بالرمان السفرى فجعل جلساء الامير من اهل الشام يتذكرون الشام ويتأسفون عليها وكان فيهم رجل يسمى سفر فاخذ من ذلك الرمان شيئا . لطف به وغرسه حتى علق ونمى واثمر فهو اليوم الرمان السفـرى نسب اليـــه ! !

665 — بالعجيبـــــة —

وجدت فى كتاب قضاة قرطبة لمحمد بن الحارث الخشنى المتوفى سنة 361 هـ ط. القاهرة 1373 هـ فى ترجمه القاضى سليمان بن اسود الغفقى :

— كان فى وقته رجل من العدول يعرف بابن عمار كان يحتف الى مجلس القاضى ويلازمه ولا يقوم عنه بقيامه وكانت لابن عمار بغلة هزيلة تلوك لجاما طول النهار على باب المسجد قد اشتاها الجهد وغرها الجـوع .. ! فتنبهت امراة الى القاضى فقالت له : بالعجمية يا قاض انظر لشقيتك هذه . فقال لهـــا بالعجمية : لست انت شقيتى . انها شقيتى بفلسة ابن عمار التى تلوك لجامها على باب المسجد طول النهـــار ! !

666 — لمـا بســه !

وجدت فى كتاب تاريخ الاندلس لابن القوطية ص 36 ط بيروت 1958 م .

— فلما قرب [illegible] من الشام نزل الوالـد لحمه ابى بلتا بت . فوصى اليه سليمان :

« ارفق بالسرا كون ضحوك فى اماس على لحسى لمايسه . . .

667 — من شعر المامون الموحدى

وجدت فى كتاب الوافى بالوفيات ج 1 ص 323 فى ترجمة ابى العلاء ادريس بن يعقوب الموحد الملقب بالمامون المتوفى سنة 630 هـ .

« ومن شعره وقد قتل جنده ابن اخيه :

ما ابن اختى ممن يغار على رو
حى وان كان قومه اعدائى

لا تشل اليد التى جرعته
حتفه فهو زائد فى السداء

وقال لما بلغه قول الناس عنه : هذا حجاج المغرب لكثرة قتله

انا الحجاج لكنى صبور
مقر بالحساب وبالعقاب

واعلم انى بفناء قوم
عموا عن رشدهم ذخر الثواب

668 — وليس لحاجة فيكما !

وجدت فى كتاب الوافى بالوفيات ج 8 ص 323 فى ترجمة ابى العلاء ادريس المأمون الموحد

« كتب اليه كاتبه : ابن عباس وابن عشر مرة يطلبان منه ان يزورا بلدهما فلم يرد عليهما . وكررا الطلب ثلاث مرات ..!

فوقع اليهما : لا .. لا .. لا .. وليس لحاجة فيكما .. ! ! »

669 — الشيخ البيطار وابن بطوطة ..!

وجدت فى كتاب الذى الفه الشيخ محمد بهجة البيطار عن حياة شيخ الاسلام ابن تيمية ص 36 من الطبعة الثانية .

« ان ابن بطوطة رحمه الله لم يسمع من ابن تيمية ولم يجتمع به ..! اذ كان وصوله الى دمشق يوم الخميس التاسع عشر من شهر رمضان المبارك عام ستة وعشرين وسبعمائة هجرية . وكان سجن شيخ الاسلام فى قلعة دمشق أوائل شهر شعبان من ذلك العام وبث فيه الى ان توفاه الله تعالى ليلة الاثنين لعشرين من ذى القعدة عام ثمانية وعشرين وسبعمائة هجرية ..

فكيف رآه ابن بطوطة يعظ على منبر الجامع وسمعه يقول : ينزل .. الخ .. !!

670 — ءاجر نفسه ... !

وجدت فى كتاب « تذكرة السامع والمتكلم فى ادب العالم والمتعلم » وهو من تأليف بدر الدين ابن جماعة الكنانى المتوفى سنة 733 هـ ص. 210. ط. الهند فى تعليق لمحقق الكتاب نقله عن تذكرة الحفاظ :

« قال القاضى عياض :

ءاجر أبو الوليد* نفسه ببغداد لحراسة درب .! وكان لما رجع الى اندلس يضرب ورق الذهب للغزل ويعقد الوثائق . قال أصحابه : كان يخرج الينا للاقراء وفى يده أثر المطرقة ..! الى ان فشا علمه ..!

671 — تعقل مفرداته ولا تعقل مركباته .. !

وجدت فى كتاب فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى ج 2 ص 253 تحقيق . د. احسان عباس .

« قال الشيخ شمس الدين الذهبى : ذكر شيخنا قاضى القضاة تقى الدين ابن دقيق العيد قال :

جلست مع ابن سبعين من ضحوة الى قريب الظهر وهو يسرد كلاما تعقل مفرداته ولا تعقل مركباته ..! »

672 — صاحب شذور الذهب ...!

وجدت فى كتاب فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى ترجمة لعلى بن موسى الانصارى الجيانى نزيل مدينة فاس وخطيب القرويين ج 3 ص 106 تحقيق د. احسان عباس .

« لم ينظم احد فى الكيمياء مثل نظمه بلاغة معانى وفصاحة الفاظ وعذوبة تركيب حتى قيل فيه :

ان لم يعلمك صنعة الذهب علمك صنعة الادب ..! »

---

* يعنى الامام الباجى .

وهو صاحب كتاب شذور الذهب في صناعة الكيمياء .

673 — صاحب خلع النعلين ..!

وجدت في كتاب الوافي بالوفيات ج 7 ص 297 :

« احمد بن قسي من اهل الاندلس كان في مبدا امره يدعي الولاية وكان ذا حيل وشعبذة ومعرفة بالبلاغة قام بحصن مارتلة ودعا لبيعته ثم اختلف عليه اصحابه ودسوا له من اخرجه من الحصن بحيلة حتى اسلموه الى الموحدين . فاتوا به عبد المومن فقال :

— بلغني انك دعوت الى الهداية

فقال :

— اليس الفجر فجرين كاذب . وصادق ..!

قال :

— بلى

قال :

— انا الفجر الكاذب ..!

فضحك وعفا عنه .. ! له كتاب سماه خلع النعلين فيه اوابد ومصائب ..! توفي في حدود سنة ستين وخمسمائة »

674 — لا شك فيه ..!

وجدت في مخطوطة « تبسم ثغور الاشعار بتنسم عبير الافكار » وهو ديوان شعر ابي العباس البلغيثي (1282 هـ — 1348 هـ) هذين البيتين وهما في جريدة « الفجر » ..

اقول مقال فتى عارف
بجاهر بالحق على ملء فيه

اذا طلع (الفجر) في مغرب
فقرب للقيامة لاشك فيه

675 — وقدر فواح ..!

وجدت في فهرسة ابي العباس المنجور التي اجاز بها احمد المنصور الذهبي . عند ترجمة ابي القاسم ابن ابراهيم الدكالي ..

« .. كما كان بعض الشيوخ يقول : ءالة تحصيل الطالب : كتب صحاح ، وشيخ فتاح ، ومداوة والحاح . وزاد بعض الاذكياء من أصحابنا .. وقدر فواح ..!»

● صور أدبية

الشاعر الشعبي الزاهد

للأستاذ ابو طالب زيان

لم يكن للشعراء في عهد الخليفة المنصور ، ادنى صلة به ، او قرابة منه فقد كانت الجفوة المتطاولة التي لفت عصره ، مثار امتعاض الشعراء والادباء ، حتى ولى اكثرهم الى جهات بعيدة وامصار نائية ، يبتغون فيها العيش الطري ، والمعيشة الناعمة .. يدل على تلك الجفوة ، ذلك الحنين الى ملك بني امية ، الذي عاشوا في ظلاله الوارفة ، ونعمه المتواصلة .

يقول مطيع بن اياس في مجلس من مجالس الشعراء التي كانت تعقد ، اشادة بفضل بني امية عليهم ، وذكرى لعهد مضى وانقطع :

حبذا عيشنا الذي زال وانقطع
حبذا ذاك لا حبذا ذا

اين هذا من ذاك سقيا لذا
ك ولسنا نقول سقيا لهذا

زاد هذا الزمان عسرا وشرا
عندنا اذ احلنا بغداذا

بلده تعطر التراب على النا
س كما تعطر السماء الرذاذا

وليس ادل كذلك على تلك الجفوة ، وذلك الاهمال لاولئك الشعراء ، من خروج يحيى بن زياد الى البصرة ، وفي صحبته : محمد بن الفضل ، يجري وراءهما الشاعر : حماد عجرد ، وان عاد بعد ذلك الى الكوفة .

لكن هل طال بالشعراء المكث بتلك المنافي الاختيارية ، او طالت اقامتهم بتلك البلاد التي اختاروها سكنا ومأوى .. ؟

لا اظن ان العهد قد بعد بهم عن مركز الخلافة ، او نأى باكثرهم عن العود الى بغداد .. فقد كان عهد الخليفة : المهدي ، عهد رخاء وخضرة لاولئك الذين تاهوا في الارض فترة جفاء ، يذكرون حظهم في بني امية ، وعيشهم الطري في اكناف اولئك الخلفاء ..

كان عصر المهدي ، عصر البساطة والشعبية ، واتجاه الشعر نحو المنازل والدرجات .. وفي استطاعة الباحث ان يقول : ان ذلك العصر ، قد اتاح لسواد الناس الحياة الحقيقية الميسرة التي كان الشعراء ينعمون فيها بالرفاهية ، ويسامون فيها على الدعة والهدوء ، في ظلال شعبية محببة ، وبساطة حسنة ، ضرب فيها مسلم بن الوليد ، وابو نواس ، وبشار بن برد ، والوليد بن يزيد ، وابو العتاهية ، كل حسب منزلته في الشعر ، ودرجته في القول .

على ان ابا العتاهية لم يكن غير مولى ، انتسب مرة الى عنترة ، وانتسب اخرى الى لخم ، ورافه اليمن ، فركن اليه في الانتساب ، وان كان قد نشأ

تلك النشأة الشعبية المتواضعة يستصنع الفخار ويبيعه ، ويضرب عنه زمنا ، ويصطنع الحجامة للأيتام أزمانا .. !

والمطالع لشعر أبي العتاهية ، يلمس نشأة هذا الشاعر ، وحس ثقافته اليسيرة ، وذوقه الذي لا يجاوز حدودا معينة ، رسمها له طبعه ، وحددها له تكلفه ، وطواها له خياله .. وأبلغ الدلالة على هذا المزاج ، أو هذه الثقافة المحدودة ، ما تناوله من زهديات غلبت على شعره ، وأحاطته بسياج ، لم يستطع الفكاك منه .

ومن النوافل أن نقول : أن أبا العتاهية ، قد أحب العيش على هامش الحياة التي كان يحياها المرفهون ، وذوو الجاه والنعمة في حاضرة الخلافة الجديدة ، وإن كان العزاء عند الشاعر ، أن هذه الحياة المزهود فيها ، قد ظهرت على نطاق واسع بين طائفة من الكبراء ، كان في مقدمتها ، الخليفة نفسه : هارون الرشيد .

وفي رأيي ، أن أبا العتاهية ، قد ضرب بجرأته في هذا الزهد الذي عرف به ، وعرف عنه ، لأنه كان يجمع بينه وبين الفقهاء في مجلس الخليفة ، الذي كان هو وجلساؤه يجدون في أبي العتاهية متنفسا روحيا لوقارهم ، وسلوى لما يرين على القلوب آنذاك من ملل وسأم ... ومن ينظر إلى الشعبية التي أثرها أبو العتاهية يجد أن أولئك النفر المحافظ المثقف ، قد ظلوا بعيدين فترة طويلة عن تأييدهم هذه الشعبية ، ونظروا إلى الشعر بمنظار النقد الأصيل ولم ينزلوا به عن مستوى الفصاحة والجزالة التي كانوا يؤثرونها عند الشعراء المتقدمين ..

سأل ابن الأعرابي رجلا من قيس بن ثعلبة ، قال :

أيعجبك قول أبي العتاهية ؟ :

ألا يا عتبة الساعة
أموت الساعة الساعة

فقال له والله لا يعجبني ، ولكن يعجبني قول الشاعر :

جاء شقيق عارضا رمحه
إن بني عمك فيهم رماح

هل أحدث الدهر لنا نكبة
أم هل رقت أم شقيق سلاح

ولا شك في أن الشاعر ، كان يعمد إلى الأوزان الخفيفة ، فتستجيب له ، ويقصد إلى القصار قصدا ، لذلك كان يستطيع أن ينشيء من القوافي ما يشاء في أي وقت يشاء ، ولعل هذا كان مدعاة سروره وغبطته ، وتيهه على كثير من الشعراء الذين كانوا يعاصرونه ، أو يعيشون وإياه على قدم المساواة ..

سأل أبو العتاهية ، شاعرا خرسانيا :

كم تقول من الشعر في اليوم .. ؟

فقال الخرساني :

عشرين بيتا أو ثلاثين ..

فقال أبو العتاهية :

إني أقول خمسمائة بيت من الشعر في اليوم الواحد ...

فقال الخرساني :

أما لو رضيت أن أقول مثل قولك :

ألا يا عتبة الساعة
أموت الساعة الساعة

... قلت : ألف بيت ...

وواقع الأمر ، أن أبا العتاهية ، كان يستطيع أن يقول ما شاء من الشعر ، ولا يجد في ذلك أدنى عناء أو تعب ، إذا كان قوله :

هو الله هو الله
ولكن يغفر الله

أو مثل مرثاته لسعيد بن وهب :

مات والله سعيد بن وهب
رحم الله سعيد بن وهب

يا أبا عثمان أبكيت عيني
يا أبا عثمان أوجعت قلبي

ولعل للتضمين الذي تفرد به ابو العتاهية في حلبة الشعر ، نوعا من السبق على جل الشعراء في عهده ، فقد كان كلفه به وشغفه باتيانه ، يتفق كل الاتفاق ، مع ايثاره القوافي القصار ، ومنسجما الى حد كبير مع طموحه المبتسر في حلبة القوافي بين انداده من الشعراء ، وان كان الشاعر قد اتى بالصورة الجيدة من ذلك الشعر ، متحديا في قصيدة مقاييس النقاد الذين عابوا عليه اكثر هذا التضمين .

وفي صورة من صور التحدي قال ابو العتاهية :

ياذا الذي في الحب يلحى اما
والله لو كلفت منه كما

كلفت من حب رخيم لما
بلت على الحب ، قد رثى وما

القى ، فاني لست ادري بما
بلت الا انني بيتما

انا بباب القصر في بعض ما
اطوف في قصرهم اذ رمى

قلبي غزال بسهام ، فما
احطا بها قلبي ، ولكنما

سهماء عينان له كلما
اراد قتلي بهما سلما

وقد وقع في شعر ابي العتاهية ، كثير من المخالفات اللغوية والبلاغية والنحوية ، وربما كان ذلك مرجعه الى ثقافته الضحلة واطلاعه المحدود ، وضآلة معرفته باسرار البلاغة ، حتى اخذ عليه الكثير من هذه المخالفات ، مكتفيا بما يعن له من هذه القوافي السهلة المبسوطة التي لا تحتاج الى تأمل او اعمال فكر :

يا واها لذكر الله يا
واها ويا واها

لقد طيب ذكر الله
بالتسبيح افواها

ارى قوما يسهون
خشوشا رزقوا جاها

فما انتن من حسن
على حسن اذا تاها

ومن الغرائب ان هذا الشاعر المشهور ، قد كان يدور الراي حوله ، ويثار الجدل على مركز وموضعه في عالم الادب . فهو قريب بقوافيه من ذوق العامة ، بعيد بثقافته من طبقة الشعراء الفحول ، حتى كان يقول بشار بن برد ، حينما يجمعهما مجلس الخليفة: لا جزى الله خيرا من جمعنا معه ! لكن هل كانت العامة في حاجة الى راي بشار في ابي العتاهية .. ؟

الحق .. لا .. اذ كان عصر هذا الشاعر ، عصر سيادة الراي العام على كل ما عداه من الآراء .. وليس ادل على ذلك : من ان جريرا ، قد سأل رجلا من بني طهيبة فقال له :

اينا اشعر : انا ام الفرزدق .. ؟
فقال الرجل له :
انت عند العامة ، والفرزدق عند الخاصة .
فقال جرير :

انا ابو حرزة : عليته ورب الكعبة والله ما في كل مائة رجل عالم واحد !"

ويكفي ابا العتاهية ، انه كان مقدما عند الكوفيين كما كان ابو نواس عند البصريين » .

وان عيب في بعض المواطن ، واوخذ من بعض الوجوه .

القاهرة : ابو طالب زيان

بين طموح المتنبي وطموح الصاحب بن عباد

للأستاذ علي العزيزي

لو الفيت المتنبي شاعر كبير ما في ذلك شك، استطاع ان يفرض نفسه ويحتل مكانه عظمى في عصره ، غير ان شهرته قد اساءت اليه فما اساءت الى غيره ، اساءت اليه لانها كانت سببا في كثرة حساده ومضطهديه ، وسببا الى عزوفه من الشعراء الذين عطف الدولة الحمدانية على شهرتهم على الرغم من مكانتهم وجودة شعرهم ، وكان بامكان كثير منهم ان يصلوا الى مكانة اعظم لو عاشوا في عصر غير العصر الذي عاش فيه المتنبي .

ولعل المتنبي نفسه كان يسيء الى نفسه ، لان تصرفاته واقواله كانت من اهم اسباب تعدد خصومه. واذا استعرضنا مراحل حياته الكبرى بسرعة وجدناها تتصف بالتنقل وعدم الاستقرار ، فقد عرف التنقل في المرحلة الاولى من حياته (303 هـ - 337 هـ) ، ولكنه عرف الاستقرار في الفترة الثانية من حياته التي قضاها في ظل سيف الدولة الحمداني من 337 هـ الى 346 هـ ، وتعتبر هذه الفترة اجمل وانعم اوقات حياته ، ولكنه غادر سيف الدولة بعد ان شعر بكيد حساده ، فحط الرحال في مصر حيث قضى الفترة الثالثة من حياته عند كافور الاخشيدي من سنة 346 هـ الى 350 هـ ، ومن خلال شعره في هذه الفترة نلاحظ ايضا انه لم يعرف الاستقرار ، ولذلك غادر مصر ليقضي الفترة الاخيرة من حياته متنقلا في بلاد فارس والعراق ، من سنة 351 هـ الى ان قتل سنة 354 هـ .

وفي هذه الفترة الاخيرة اضاف المتنبي الى قائمة خصومه شخصا اخر من كبار الناس في عصره ، هو الصاحب بن عباد الوزير الاديب العالم الذي توفي سنة 385 هـ . اما ولادته فكانت سنة 326 هـ .

وهكذا نجد في الوقت الذي ولد فيه الصاحب ، كان المتنبي قد اكتملت معالم شخصيته ادبيا ، وقد سيد المتنبي مجتمع الخلافة العباسية وتصرف وحدتها على يد ولاة الاطراف الطامحين ، فنشأت عدة دويلات على انقاض الامبراطورية الاسلامية العباسية ، كالدولة الحمدانية في الشام ، والبويهية في العراق وفارس ، والاخشيدية في مصر بعد الدولة الطولونية ، وغيرها ، وقد فطن المتنبي للخطر المحدق بالعرب نتيجة استبداد الاعاجم بأمورهم ، فرفع صوته عاليا محذرا :

وانما الناس بالملوك وما
تفلح عرب ملوكها عجم

لا ادب عندهم ولا حسب
ولا عهود لهم ولا ذمم

وقد نشأ المتنبي على حب العظمة ، والطموح ، والكبرياء ، فملأت شخصيته جوانب شعره ، حتى في المدح ، فهو في منزلة واحدة مع الملوك مساو لهم .

وفؤادي من الملوك وان كـــا
ن لساني يرى من الشعـــراء

واذا تحدث عن الانبياء فهو شبيه بهم :

انا في امة تداركهـا اللـــــ
ـــه غريب كصالح في ثمـــود

بل انه لا يرى احدا فوقـــه :

ان اكن معجبا فعجب عجيب
لا يرى فوق نفسه من مزيـد

ويجهر بذلك امام الناس قائلا :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا
بانني خير من تسعى به قـــدم

ويعلل هذا السفوق بانه نبغ في كل ميدان ، فهو فارس شجاع ، وشاعر عبقري :

الخيل والليل والبيداء تعرفنـي
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فمثل هذه الاقوال التي يكررها دائما متحديـا بذلك كل من سولت له نفسه التعالي عليه ، بالاضافة الى شاعريته وعبقريته ؛ كل ذلك خلق للمتنبي الشاعر العظيم الذي طغت شخصيته الادبية واستهـر على كل لسان ، خصوما وحسادا كثيرين ، اخـذوا على عاتقهم النيل منه والحط من قيمته مثـل الشاعـر البغدادي : ابي الحسن محمد بن لنكك السذي كان يحسد المتنبي ويثالبـه ، واحمد بن ابراهيم الشمي احد اصحاب الصاحب بن عباد ووزير فخر الدولـة البويهي وابنه معز الدولة بعد الصاحب ، ويقال ان خصومته للمتنبي كانت ارضاء للصاحب بن عبـاد ، وغيرهما من الخصوم ، كما ان طموح المتنبي السذي لا يحد ، وكبرياءه وانفته جرت عليه الويلات ؛ فهـو يتكبر عن مدح غير الملوك ، الشيء الذي اثار عليـه غضب كثير من الشخصيات المرموقة ، امثال الوزير المهلبي الذي يقال ان مناظرة الحاتمي للمتنبي كانـت باعاز منه ، وكذلك الصاحب بن عباد الذي استطاع ان يثار لنفسه بالحط من قيمة شاعريته في رسالته « الكشف عن مساوىء شعر المتنبي » . فهل كانـت هناك علاقة بين المتنبي الشاعر العظيم ، والصاحب بن عباد الوزير الاديب العالم ؟

من المؤكد انه لا علاقة بين الصاحب والمتنبي الا تلك المراسلة التي تمنى فيها الصاحب ان يزوره المتنبي ويمدحه ؛ فيغاطره جميع ماله . فيتجاهلـه المتنبي ، فما هي اسباب تجاهله ؟

كان ذلك في الفترة الاخيرة من حياة المتنبي . تلك التي قضاها متنقلا في بلاد فارس والعراق ، وفي تلك الاثناء ، كان الصاحب بن عباد لا يزال شابا لـم يدخل باب الشهرة بعد ، بينما كان المتنبي قد طاف على الملوك والامراء مدفوعا بطموحه ، مصادف الفشل دائما ، فهل يمكن للصاحب ان يحقق له ما لم يستطعه الملوك العظام الذين اخذ على نفسه مدحهـم دون سواهـم ؟

لقد عرف المتنبي الذي يترفع عن مدح غيـر الملوك ان هذا الشاب لن يشبع طموحـه ، فقابـل مراسلته بالتجاهل وقال لبعض اصحابه مستخفـا متهكمـا :

« ان عليما معطاء بالري يريد ان ازوره وامدحه ولا سبيل الى ذلـك » (1) .

والحقيقة ان هذا الموقف معقول من شخـص كالمتنبي ما دام يعرف انه لن ينال ما يريـد ، فماذا يكبد مراحل السفر مرة اخرى وهـو لن ينـال الا دريهمات معدودة .

لكن ذلك الموقف دفع الصاحب وهو المترفع المعتد بنفسه الى عدم الرضى .

ولا بأس من الاشارة هنا الى صفة مشتركـة بينهما ، وان كانت هذه الصفة تختلف من واحد الى آخر ، تلك الصفة هي الطموح ، فالمتنبي طموح الى العـلا دومـا :

اين فضلي اذا قنعت من الدهـ
ـــر بعيش معجل التنغيـص

(1) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ليوسف البديعي ص (82) ـ مطبعة الاعتدال ـ دمشق ، سوريا .

ويقال انه كان يأمل من تطوافه على الملوك والامراء ومدحه اياهم ان ينال ولاية فيستريح من التطواف ، ولكنه لم يصادف الا الفشل والخيبة :

ابدا اقطع البلاد وتجمـــــى
بي نحيس وهمتي في سعود

فلماذا كان المتنبي قد خاب ولم يستطع تحقيق واشباع طموحه ، فان الصاحب وان وصل الى مـــا اعد له من صغره لتولي مرتبة رفيعـــة في الـــوزارة والكتابة ، فهو وزير ابن وزير ، وكاتـــب كبيـــر في مقدمة كتاب عصره ، فانه خاب ايضا في ناحيتين :

الاولى : خاب في جعل المتنبي يمدحه فتطير شهرته في الآفاق وتجمع السؤدد من اطرافه .

الثانية : كان الصاحب وزيـــرا يديـــر شؤون الدولة بنفســه ، فلم يكن فخر الدولة يعمل الا برايـــه ومشورته ، وكانت حضرته قبلة للكتاب والشعـــراء يقفون ببابه فمن اذن له بالدخول يظن انه نال ما تمنى ولكنه مع ذلك كان يطمح الى ما هو اكثر واسمـــى . وكثيرا ما عبر عن ذلك الطموح تلك الآمال بقولـــه :

« ما بقي من اوطاري واغراضي الا ان املـــك العراق ، واتصدر ببغداد ، واستكتب ابا اسحـــاق الصابي (2) ويكتب عني واغير عليه » (3) .

ولكن ذلك ظل مجرد امل لم يتحقق ، كما لـــم يتحقق امله في ان يمدحه المتنبي ، الشاعر العظيم ؛ وهذا بدوره لم يقدم على مدحه لانه كان يعرف انه لن يحقق طموحه الذي فشل الملوك العظام كسيف الدولة وغيره في تحقيقه .

ولكن الصاحب لم يلزم الصمت امام تجاهـــل المتنبي لكتابه ، فحفظها في نفســه حتى واتته الفرصة فاطلق لقلمه العنان يستخرج سوءات الشاعر الذي شغل الناس في كل من الامصار ، وبتاليفه لهـــذه الرسالة في « الكشف عن مساوىء شعر المتنبي » عد من النقاد الذين شاركوا بنصيبهم في ميدان النقد الادبي . كما عد طرفا في تلك الخصومات التي نشبت حول المتنبي وشاعريته في القرن الرابع الهجـــري واستمرت بعده فاغنت المكتبة النقدية العربية .

وعلى رغم ما في هذه الرسالة من تحامل ، فان قيمتها لا تنكر ، فاذا ما عرفنا ان كتاب (الوساطـــة بين المتنبي وخصومه) للقاضي الجرجاني يعد ثاني كتاب مهم في النقد الادبي مع (الموازنة) للامـــدي في القرن الرابع الهجري ، فانه يكفي ان تكون رسالـــه الصاحب سببا في دفع ناقد كبير كالقاضي الجرجاني الى وضع ذلك الكتاب الذي يعد من اهم كتب النقد التي تفتخر بها المكتبة العربية ، ذلك الكتاب الـــذي اعاد فيه الجرجاني الحق الى نصابـــه ودافـــع عن المتنبي دفاع القاضي العادل .

مكناس : علي لغزيوي

---

(2) هو ابو اسحاق ابراهيم بن هلال .. الحراني الصابي ، بعد ديوان الرسائـــل سنـــة 349 هـ . ببغداد ، وحين ملك عضد الدولة بغداد اعتقله سنة 367 هـ ، لان مكاتباته له كان فيها ما يؤلمه ؛ وعزم على القائه تحت الفيلة فشفع فيه بعضهم ، ثم اطلق سراحه سنة 371 هـ . وامره ان يصنـــع له كتابا في اخبار الدولة الديلمية ، فعمل له كتاب (التاجي) وتوفي سنة 384 هـ ببغـــداد ، وكان الشريف الرضي صديقا له فرثـــاه بقصيـــدة مطلعهـــا :

ارايت كيف خبا ضيـــاء النـــادي ؟ ارايت من حملوا على الاعـــواد ؟

(3) معجم الادباء لياقوت الرومي . ج 6 ص (306) — مطبوعات دار المامون — مصر 1936 .

مكتبة دعوة الحق

- ديوان الرضا في البلنسي
- فصول في الدين والأدب والاجتماع

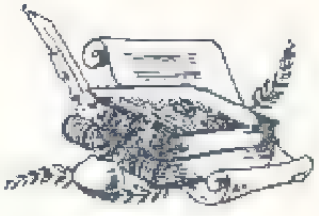

« ان حرية الفكر فى الغرب تختفى لدى الاوروبى عندما يمتد فكره الى بحث العالم الاسلامي ، فالمفهوم الصليبي العميق الاثر فى النفس الاوروبية يحول دون حرية الراي اذا كان موضوع البحث هو الاسلام

غوستاف لوبون

نظرة عامة

ديوان ابن صارة الشنتريني

تحقيق وجمع وتقديم : الدكتور إحسان عباس
تعليق : الأستاذ محمد بن تاويت

الدكتور احسان عباس له منة عظيمة في عنق الدراسات الاندلسية المعاصرة ، وفي نشر تراثها من جديد او اعادته بطريقة علمية لا تعتمل الجدال والنقاش ، الى جانب اياد اخرى منه ، في نشر تراث آخر عربي ، كديوان ابن حمديس الصقلي وديوان ليد يشرفه .

وملاحظتنا على ديواننا هذا ، انه لا يحق له ان يسمى باسم الديوان ، بل كان ينبغي ان سمه مثلا « من شعر الرصافي » او « شعر الرصافي » هكذا بالتعميم ، كما تفعل مكتبة صادر في نشر مجموعات شعرية ، ليست كاملة لاصحابها .

وهذه الملاحظة ، ينبثق عنها أن اشعارا عثرنا عليها في الاحاطة ، بعضها لم يذكر في هذا « الديوان» وبعضها ذكر منه أبيات ولم يذكر الباقي ، وهو جل القصيدة او القطعة ، غالبا أو بعضها كما سنرى .

في قافية الحاء ، سقطت قطعتان ، هما :

أدرها فالقمامة قد أجالت
سيوف البرق في لمم البطاح

وراق الروضُ طاووسا بهيا
تهب عليه انفاس الرياح

تقول وقد ثنى قزح عليه
ثياب الغيم معلمة الوشاح

خلوا للصحو أهبتكم فاني
أعرت المزن فادمتي جناح

فصير الانابيب لكنه
يطول مضاء طوال الرماح

اذا عب للنفس في دامس
ودب من الطرس فوق الصفاح

تجلب به مشكلات الامور
ولان له الصعب بعد الجماح

والابيات الاخيرة ، لا شك انها في وصف قلم ، وقد جاء البيت الاول منه في المطبوع ، هكذا :

قصير كالانابيب لكنه
يطول مضا طوال الرماح

ولا يستقيم لا وزنا ولا معنى

وفي حرف الدال ، ذكرت ابيات ثمانية من قصيدة ذات تسعة واربعين بيتا ، والساقط منها هذه الابيات : (بعد البيت الاول) :

اما البيان فقد أجر لسانه
فيكم بفتكته الحمام العاد (ى)

عرشت سما عليكم ما انتم
من بعد ذلكم الشهاب الهادي

خطوا على عمد الطريق فقد خبت
(لألاء) ذاك الكوكب الوقـاد

ما قل لهزمه الصقيل وانمـا
نثرت كعوب قناكم المنـآد

ايه عميد الحي غير مدافـع
ايه فدى لك غابر الامجـاد

ما عذر سلك كنت عقد نظامه
أن لم يصر بردا الى الأبـاد
(حسب) ،،، ،،، ،،،

(وبعـد البيـت « بوعـي »)

(كشف) الحجاب فما ترى متفضلا
شي ساعة تصفي به وتناد (ى)

ألمم بربعك غير مامور فقـد
غص الفناء بأرجل القصـاد

خبرا يبلغه اليك ودونـه
أمن العداة وراحة الحسـاد

قد طأطأ الجيل المنيف قذاله
للجار يعدك وافشعر الواد (ى)

أعد التفاتك نحونا واظنـه
مثل الحديث لديك غير معاد

وامسح لنا عن مقلتيك من الكرى
نوما تكابد من بكى وسهـاد

هذا الصباح ولا تهب الى (منى)
طال الرقاد ولات حين رقـاد

وكأنما قال الردى ثم وادعـا
سبقت (لك) البشرى بحسن معاد

أموسدا تلك الرخام بمرقـد
أخشن به من مرقد ووسـاد

خصبت بقدرك حفرة فكأنهـا
من جوفها في مثل حرف الضاد (كذا)

وثر لجنبك من اناث مخيـم
ترب ند وصفائح انضـاد

يا ظاعنا ركب السرى في ليلة
طار الدليل بها وحاد الحاد(ى)

أعزز علينا أن حططت بمنـزل
تيل على الزوار والعـواد

(جارا لأفراد) هنالك جيرة
سقيا لتلك الجيرة الأفـراد

الساكنين الى المعاد قيابهـم
منشورة الاطناب (والاعمـاد)

من كل ملفية (الجران) بمضرب
ناب البلى فيـه عن الاوتـاد

بمعرس السفر الالى ركبوا (السـرى)
مجهولة الغايات والآمـاد

سيان فيهم ليلـة ونهارهـا
ما اشبه التاويب (بالاسناد)

لحق البطون من (اللغوب) على الطوى
وعلى الرواحل عنفوان الزاد

« لله هم » الى آخر البيت الذي ورد في المطبـوع كذلك سقيما بزيادة « في » قبل « حقايب الاجساد » فقصد الوزن والبناء

(وبعـده) :

يا ليت شعري والمنا لك جنة
والحال موذنة بطـول بعـاد

هل للعلا بك بعدها من نهضة
أم لانقضاء نواك مـن ميعـاد

بأبـي وقصـد ،،، ،،،
ذلـت ،،، ،،

نعم الذماء البر ما قد غوروا
جثمانه بالابرق المنقاد (كذا)

(علياء) خص بها الضريح وانما
تعم القبور بأبؤس الانجـاد

ابنى (أبي) العباس أي حلاحل
سلبتكم الدنيا وأي مصـاد

هل كان الا العين وافق سهمها
قدرا فأقصد أيما اقصـــــاد

أخلل بمجد لا يسد مكانـــه
بالاخوة النجبـــــاء والاولاد

ولكم يرى بك من هضاب لم يكن
لولاك غير دكادك ووهـــــاد

ما زلت تنعشها بسيبك قابضا
منها على الاضباع والاعضـاد

حتى أراك أبا محمد الـــردى
كيف انهداد بواذخ الاطـــواد

ياحرها من جمرة مشبوبـــة
يلقى لها الايدي على الاكتـاد

كيف العزاء وانها لرزيـــــة
خرج الاسى فيها عن المعتاد

صدع النعاة بها فقلت لمدمعي
كيف انسكابك يا ابا الجـواد

لك من دمي ما شيت غير منهنه
صب كيف شيت معصفر الابراد

(كذا ولا يستقيم لا وزنا ولا معنى)

لقصر مجتهد وحسبك غايه
لو قد بلغت بها كبير مـــراد

اما الدمـــــوع ،،، ،،،

ثم السلام ولا اغـب قـــراره
وارتك صوب روايح وغـواد

تسقيـــك ،،، ،،،

وفي حرف الراء وردت ابيات ثمانية عشر من قصيدة ذات سبعة وأربعين بيتا ، والساقط منهـــا الابيات التالية (بعد البيت : مبادىء لين) :

لبسنا بها ثوب الشباب لباسها
ولكن عرينا من حلاه ولم تعرا

أمنزلنا عصر الشبيبة ما الذي
طوى دوننا تلك الشبيبة والعصرا

محل اغر العهد لم نبد ذكـره
على كبد الا أمترى أدمعا حمرا

أكـــل مكـــان ... ...

(وبعد : هي الدرة) :

خليلي ان أصدر لها فانهـــا
هي الوطن المحبوب أو كلته الصدرا

(كذا ولا يستقيم وزنا ولا يتضح معنى)

ولم اطو عنها الخطو هجرا اذا
فلا لثمت نعلي مساكنها الخضرا

ولكن اجلالا لتربتها التـــي
تضم فتاها الندب أو كهلها الحرا

أكارم عاث الدهر ما شاء فيهم
فبادت لياليهم فهل اشتكي الدهر

هجوع ببطن (الارض) قدضرب الردى
عليهم قبيبات فويق الثرى غبرا

تقضوا فمن نجم (هنالك) ساقط
ابى الله أن يرعى السماك او (النسرا)

ومن سابق هذا اذا (شاء) غاية

(كذا وفيه بعد « غاية » شا ، ولا يبدو وجهه)

وغير محمود جياد العلى حضرا

أناس اذا لاقيت من شيت منهم
تلقوك لا غث الحديث ولا غمرا

وقد درجت اعمارهم فتطلعوا
هلال ثلاث او شفا رق أو بـدرا

ثلاثة امجاد من النفر الالـــى
زكوا خبرا بين الورى وزكوا خبرا

تكلتهم ثكلا دهى العين والحشى
فعجر ذا أما وسجر ذا جمرا (كذا)

كفى حزنا أني تباعدت عنهـــم
فلم ألق من سرى منها ولا سرا (كذا)

(وأني) متى (أسأل) بهم كل راكب
ليظهر لي خبرا تأبط لي شرا

أباحثه عن صالحات عهدتهـا
(هناك) فينسيني بما يقصم الدهرا

محيا خليل غاض ماء حياتـــه
وساكن قصر (صار) مسكنه القبرا

وأزهر كالاصباح قد كنت أجتلي
سناء كما يستقبل الأرق الفجرا

فتى لم يكن خلو الصفات من الندى
ولم يتناس الجود أصرم أو أثـــرى

(يصرف) ما بين البراعة والقنا
أنامله لا بل هواطلـه الغـــرا

طويل نجاد السيف لان كأنما
يخطى به في البرد خطية سمرا

سقته على ما قيل من أريحية
خلائق هن الخمر أو تشبه الخمرا

ونشر محيا للمكارم لو سرت
حمياه في وجه الاصيل لما اصفرا

هل البعد الا حيث حط صعيده
لمن بل في شفري ضريح له شفرا

طوين الليالي طيهـن وانمـــا
طوين (بها) عني التجلد والصبرا

فلا حرمت سقياه أدمع مزنـــة
ترى مبسم النوار عنبر معترا (كذا)

وما دعوتي للمزن عذرا لدعوتي
اذا ما جعلت البعد عن قربه عذرا

وبعد هذه يأتي هذا البيت في الاخير ، ولا وجود لـه في الاحاطـــــة :

معاهد قد ولت اذا ما اعتبرتها
وجدت الذي يحلو من العيش قد مرا

فيكون الساقط اذا ثلاثين بيتا ، والغالب ان البيت لم يكن مختتما به القصيدة .

وفي حرف السين ، هناك قطعة من ثلاثة أبيات ، لم تذكر في الديوان ، وهـــي .

ادرها على امر فما ثم من بـــاس
وان (حددت) آذانها ورق الآس

وما هي الا ضاحكات غمايـم
لواعب من ومض البروق بمقياس

ووفد رياح زعزع النهر (مـدة)
كما وطيت درعا سنابك أفراس

وفي حرف القاف ورد بيت من مقطوعة ، وهي في الاحاطة ذات تسعة أبيات ، والساقط من الديوان الابيـات التالـــة :

دعاك خليل والاصيل كأنـــه
عليل يقضي مدة الزمن (الباقي)

الـــى شـــط ،،، ،،،

ومهوى جناح للصبا يمسح الربا
خفي (الخوافي) والقوادم خفاق

وفتيان صدق كالنجوم تألقـــوا
على آناء من شتى بروج وآفاق

على حين راح البرق في الجو مغمدا
ظباه ودمع المـزن في جفنـــه راق

وجالت بعيني في الرياض النفانة
خيست بها كاسي قليلا عن (الساقي)

على سطر خيري ذكرتك فانثنى
يميل بأعناق ويرنو بأحـــداق

وقف وقفة المحبوب منه فانها
شمائل مشغوف بمرآك مشتاق

وصل زهرات منه صفرا كأنهـا
وقد خضلت قطرا محاجر عشاق

وفى حرف اللام جاءت ثمانية ابيات من قصيدة ذكرت بعشرة ابيات فى الاحاطة ، والبيتان الساقطان هما : (بعد البيتين الاولين) :

فى كل قلب عزيزات مذللة

(للحسن) والحسن ملك حيث جل (ولي) ؟

(بعد بيتين آخرين) :

هيهات ابقي به من غيره بدلا
اخرى الليالي وهل فى الغير من بدل

هذا وهناك ملاحظات ، بعضها على الشكل وهي قليلة جدا ، والغالب أنها من الطباعة ، وبعضها لا يتصل اتصالا جوهريا بالموضوع مثل تعليقه فى صفحة 34 على مكناسة الزيتون بأنها مدينة بالمغرب على البحر

وقد وضعنا بعض الكلمات بين هلالين . أما لكونها ساقطة او سقط منها حرف ، او مصحفة فى الاصل او وضعت فى غير مكانها من مصراعي البيت وهناك بعض الابيات الاخرى لم تهتد لتصويبها فاثبتناها كما هي منبهين على ذلك وعلى ما فيها من كسر لوزنها .

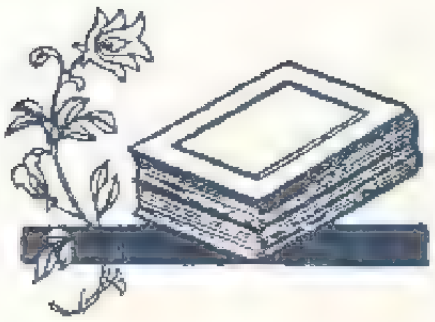

فصول

في الدين والأدب والاجتماع

● تأليف : الاستاذ زيد بن عبد العزيز بن فياض
● عرض وتقديم : الاستاذ عبد الرحيم بن سلامة

مؤلف هذا الكتاب من الباحثين السعوديين المرموقين الذين تبعت الناجه منذ بحر عشر سنوات ، حيث تعرفت عليه اولا من خلال كتاباته التي نشرها في مجلات مختلفة . ثم التقيت به في جلسة ادبية مع مجموعة من الادباء والمثقفين العرب.

اما الكتاب الذي اهداني اياه فهو عبارة عن بحوث ودراسات قيمة في الدين والادب والاجتماع . عالج المؤلف فيها قضايا كثيرة جعلت كتابه هذا يصدر مستوفيا لمتطلبات الكتب ذات الاسلوب الرفيع والموضوعات المتقاة ، الشيء الذي جعل الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي يقول في تصديره للكتاب : « والكتاب الذي بين ايدينا ،، كتاب فريد في بابه ، ولا اشبهه الا بكتاب العقد الفريد ، وعيون الاخبار وزهر الآداب ، والكشكول للعاملي والمستطرف للابشيهي » .

وعلى العموم فان الكتاب من الحجم المتوسط يقع في ستمائة صفحة مقسمة الى عدة فصول عربية على ستة اقسام تناول فيها المؤلف الموضوعات التالية :

1) المسلمون بين الماضي والحاضر
2) العلوم والحضارة
3) الادب والبيان
4) قصص وشخصيات
5) طلب العلم وبثه
6) الناس والحياة .

ونظرا لكون الموضوعات التي تدور حولها اقسام الكتاب تهتم بثلاثة نواحي هي : الدين ، والادب ، والاجتماع ، فاننا ارتأينا ان نتقفى من الكتاب بعض الابحاث التي عالج فيها المؤلف جانبا من هذه الجوانب .

القسم الاول :

المسلمون بين الماضي والحاضر

تطرق المؤلف في هذا القسم الى النواحي الكثيرة التي لها علاقة بالاسلام والمسلمين فحلل واقع الاسلام والمسلمين منذ البعثة المحمدية الى عصرنا هذا الذي طغت فيه المادية وانقلبت المفاهيم واصبح الانسان تائها متحيرا يجهل ماضيه العريق وقلق من حاضره الثليد ومتخوف من مستقبله الغامض .

وهكذا نجد المؤلف يقول عن الاسلام : « الاسلام دين الفطرة ، والنفوس اذا ما عرفته اقبلت عليه راغبة راضية بحدوها الامل الباسم ، والغد الكريم ، والسعادة العاجلة والآجلة .

وينعم الانسان في ظلال الاسلام بالهناء وراحة النفس ، وهدوء البال ، وان كان حظها من المال والمنصب قليلا » .

وعن الدين الاسلامي واعدائه كتب المؤلف يقول : « لم يجد اي دين من المقاومة والعناد والحرب

ما وجد الدين الاسلامي ، وقد تألبت عليه فرق شتى وطوائف مختلفة ومذاهب متعددة ، وحاولت القضاء عليه وازالته من الوجود قوى طاغية لها من الامكانيات المادية الهائلة ومن الاختراعات وقوة الصناعة وامتلاك الاسلحة الفتاكة والخبرة بالاساليب الشريرة ما يهيل العقول ، وقد بقي الاسلام شامخا كالطود قويا ثابتا مع ما توالى عليه من المحن وما تعرض له من الفتن في كل الازمان ، وذلك من آيات الله الدالة على أن قدرة الله فوق كل قدرة ، وان ما حفظه الله فلن تستطيع قوة مهما تجبرت ان تهلكه او تدمره » .

وكتب المؤلف عن "الشيوعية" تقول : « الشيوعية مذهب هدام ، مناقض للفطرة والعقول والاديان ، وهي تتسرب بالدعاوي البراقه ، والاخاليل الملفقة ، وهي تزعم انها جاءت لرفع مستوى الطبقة العاملة ، مع انه ليست في الدنيا كلها — في قديم الزمان او حديثه — شيء يضر بمصلحة العامل ويقضي على طموحه ويسلبه جهوده ويقسو عليه ويحطه حقه مثل الشيوعية .

ان المغفلين والمخدوعين هم الذين يقعون في شراك الشيوعية ويسقطون في فخاخها ، ثم لا يستطيعون الخلاص ، وانما يحتويهم سجنها الكبير واسوارها الرهيبة ، ويندر أن يجد أقوام الطريق للفكاك من زبانيتها وشياطينها ، وان يقدروا على الهرب من سجنها الرهيب ...

ان الشيوعية تنكر وجود الله وتجحد النبوات وتسخر بالدين والمتدينين وتناهض الاخلاق الكريمة وتقاوم الجهود الفردية وتسخر الطبقة العاملة وتستغل قلة قليلة من جماهير الشعب لاغراضها الخاصة اسوأ استغلال وابشعه .

وقد اوصى المرحوم احمد امين ابنه في كتابه « الى ولدي » قائلا : « والانس بالدين طبيعة النفس وراحة الروح ، فاذا سلبت من انس به احسست بالوحدة والوحشة وتململت من القراق ، ان الناس يعدون الحواس خمسا ولكني اعتقد ان هناك في كل انسان حاسة سادسة هي حاسة الدين ... من فقدها فقد عنصرا هاما من عناصره ، وركنا عظيما من اركان حياته ، ولذلك هذا المؤمن واضطرب الملحد ، وهذا هو الشان في الشرق والغرب والمدنية القديمة والمدنية الحديثة ... اي بني ان الايمان بالله يملأ فراغ النفس ، ويريح الطمأنينة ، ويوثق الصلة بين الفرد واهله ووطنه كما يوثق الصلة بينهم جميعا وبين الله . فنصيحتي لك ان تؤمن ولو الحد الناس ، وتوثق الصلة بينك وبين الله ولو قطعها الناس » (1).

وعن اخطار المذاهب التبشيرية التي احدقت تغزو العالم ، والبلاد العربيه والاسلامية ، كتب المؤلف تقول عن الماسونية : « الغزو الثقافي هو اخطر انواع الغزو وهو يأتي في صور كتب وصحف واذاعات وسينما وغيرها وعن طريق المراكز الاجنبية التي تبث سمومها والتي يتولى الترويج لها اناس دربوا للقيام بمهمات ذلك الغزو ، سواء علموا الاهداف البعيدة والمرامي القاصية أم كانوا ممن يسميهم اليهود في برتوكولاتهم العميان الذين ينفذون اهداف الاعداء بدون وعي ، ولعل الماسونية بأسمائها المختلفة وشعاراتها المطونة واتديتها الكثيرة واساليبها الشيطانية هي اشد ما يواجه العالم الاسلامي في هذا العصر ، سواء كانت مكشوفة أم مستترة بستار المدنية والحرية والمساواة والاخاء أم كانت محتمية بالشيوعية او الصهيونية او الكنيسة ، فهي اشد ما ابتلى به المسلمون لما لها من اساليب ماكرة ومؤامرات قظيعة ، ولذلك يجب محاربتها .

القسم الثاني :

العلوم والمعارف

لقد اخترنا من هذا القسم هاته الرواية التي نقلها المؤلف عن ما جرى بين الرشيد وسهيل بن هارون : « دخل سهيل بن هارون على الرشيد وهو ضاحك المازن فقال : اللهم زده من الخيرات وابسط له من البركات حتى يكون في كل يوم من ايامه مربا على امسه مقصرا عن غده . فقال له الرشيد : يا سهيل من روى من الشعر احسنه ومن الحديث افصحه واوضحه اذا رام أن يقول لم يعجزه القول ، فقال سهيل : يا امير المؤمنين ما ظننت ان

---

(1) لقد قرانا مؤخرا في الصحف دعوة بعض رواد الفضاء الذين كانوا لا يؤمنون بالله ولا يدينون بدين الى الايمان بالله ووحدانيته فهم عادوا من رحلتهم الى الارض مقتنعين بأن هناك خالقا لهذا الكون يجب أن تتوحد الانسانية في عبادته .

احدا تقدمني الى هذا المعنى قال : بن اعشى همدان حيث تقول :

راينك امس خير بني لـؤي
وانت اليوم خير منك امس

وانت غدا تزيد الخير ضعف
كذاك تزيد سادة عبد شمس

القسم الثالث :

الادب والبيان

ان من البيان لسحرا ... فكم ازال البيان من جفوة وقرب من ود ونقى من كدر واطاب نفوسا ملاها الغضب فتاهبت للانتقام واستعدت لفتك فان سحر البيان يبدد العداء ويستجلب الصفاء فيتحول الحمام الى وئام والجفاء الى حب ، وفي هذا الصدد قال عامر الشعبي : وفدت سودة بنت عمارة بنت الاشتر فاستاذنت عليه فاذن لها فلما دخلت عليه سلمت عليه فقال لها كيف انت يا ابنة الاشتر قالت بخير يا امير المؤمنين ، قال لها انا نبئت انك قلتي لاخيك :

شمر لفعل ابيك يابن عمارة
يوم الطعان وملتقى الاقران

وانصر عليا والحسين ورهطه
واقصد لهند وابنها بهوان

ان الامام اخا النبي محمد
علم الهدى ومنارة الايمان

فقد الجبون وسر امام لوائه
فعلا بنيض صارم وسنان

قالت يا امير المؤمنين مات الراس وبقي الذنب، فدع عنك تذكر ما قد نسي . قال : هيهات ليس مثل مقام اخيك نسي . قالت صدقت والله يا امير المؤمنين؛ ما كان اخي خفي المقام ذليل المكان ، ولكن كما قالت الخنساء :

وان صخرا لتأتم الهداة به
كانه علم في راسه نار

وبالله اسالك يا امير المؤمنين اعفائي من استعفيته ، قال قد فعلت فقولي حاجتك : قالت :

يا امير المؤمنين : انك للناس سيد ولامرهم مقلد والله سائلك عما افترض عليك من حقنا ، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ويبسط بسلطانك ويحمد جهاد العدل ويقوينا بالمال ويسوسنا سوم الخسيسة ويسالنا الجليلة ، هذا اين ارطاة قدم بلادي وقتل رجالي واخذ مالي ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فاما عزلته فشكرناك واما فعرفناك ، فقال معاوية ، اياي بهددين بقومك ؟ والله لقد هممت ان اردك اليه على قتب اشرس فينصف حكمه فيك ، فسكتت ثم قالت :

صلى الاله على روح تضمنه
قبر فاصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا يبغي به بدلا
فصار بالحق والايمان مقرونا

قال ومن ذلك ؟ قالت : علي بن ابي طالب ، قال : ما اراي عليك منه ثارا :

قالت : بلى اتيته يوما في رجل ولاه صدقاتنا فكان بيننا وبينه ما بين الفك والسمين فوجدته قائما يصلي فانفتل عن الصلاة ، ثم قال — برافة ولطف — هل لك حاجة ؟ فاخبرته خبر الرجل فبكى ثم رفع يديه الى السماء فقال : اللهم اني لم آمرهم بظلم خلقك ولا ترك حقك .

ثم اخرج من جيبه قطعة من جراب فكتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين ! .

ثم قال معاوية : اكتبوا بالانصاف لها والعدل عليها فقالت : الي خاصة ام لقومي عامة ؟ قال : وما انت وغيرك ؟ قالت : هي والله اذن الفحشاء واللؤم ان كان عدلا شاملا ولا يسعني ما وسع قومي ، قال هيهات :

فلو كنت بوابا على باب جنة
لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

القسم الرابع :

قصص وشخصيات

في هذا القسم قدم المؤلف قصصا شيقة وعرف بشخصيات كثيرة من مختلف العصور ، ولعل

مجال هذا العرض لا يتسع لتقديم نماذج من موضوعات هذا القسم مفضلين الانتقال الى القسم الخامس الذي خصه الاستاذ زيد بن فياض للعلم ووسائل بثه .

القسم الخامس :

طلب العلم وبثه

في هذا القسم يتعرض المؤلف الى اهمية العلم وما قيل فيه من فضائل عبر العصور ويأتي في ابحاثه بامثلة كثيرة من ذلك قول الشعبي في آداب العلم : جالسوا العلماء فانكم ان احسنتم حمدوكم وان اسأتم تأولوا لكم وعذروكم وان اخطأتم لم يعنفوكم وان جهلتم علموكم وان شهدوا لكم نفعوكم .

الى غير ذلك من النوادر والاقوال والامثال التي دونت عن فضل العلم والعلماء لا يسع المجال لاستعراض معظمها .

القسم السادس :

الناس والحياة

هذا القسم هو الذي أخذ عدد هام من صفحات الكتاب حيث ضمنه المؤلف كل الاحاديث التي كتبها لاذاعة الرياض او التي نشرها في الصحف والمجلات، وهي بحق موضوعات توجيهية جد هامة لم يغفل فيها المؤلف اي جانب من جوانب الحياة وقد اخترنا من بين الموضوعات ما كتبه المؤلف عن القلق حيث قال: نعت هذا العصر بانه عصر القلق . والسبب واضح وهو اعراض الكثير من الناس عن الدين الذي به سعادة الدارين والاطمئنان النفسي . وانه لمن المؤسف ان كثيرين قد اصبحوا ينظرون للاشياء نظرة مادية صرفة ، وقد اسقطوا الدين من حسابهم وتخيلوا السعادة كل السعادة في المال او الجاه او الوظيفة او التقرب من الكبار والوجهاء وغفلوا عن ذكر الله وعبادته ، فاصبحت حياته شقاء في شقاء ، فالحياة دون عقيدة زيف وضلال .

— ◆ —

انه عرض موجز لكتاب الصديق زيد بن فياض وهو كتاب يستعرض جهود كاتب حنكته التجارب وعاركته الحياة فانطلق قلمه الفياض ليصور جوانب عامة من الحياة على الصعيد الديني والادبي والاجتماعي ، وانه في رأيي الخاص ليس هناك اية انتقادات او ملاحظات يمكن اثارتها في هذا التحليل السريع .

ان الارض لا تخلو من قائم لله بحجة . واين اولئك الاقلون عددا والاعظمون قدرا ، اعيانهم مفقوده وامثالهم في القلوب موجودة ، صحبوا الدنيا بابدان وارواحها معلقة بالمحل الاعلى ، اولئك هم الربانيون .

علي بن ابي طالب

ديوان المجلة

- في الصحارى طباع غير مائلة
- بين قلب ورب
- فداء إلى النصر

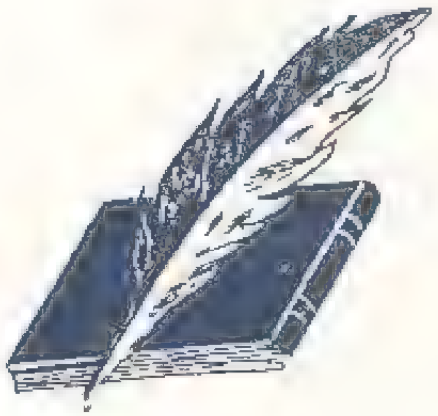

ان الاسلام يتمتع بامكانات هائلة ، واذا ما وجد الطريق الصحيح مفتوحاً أمامه فان كثيراً من الصعوبات الاقتصادية سوف يحلها هو وحده ، وهو أقدر على ذلك من غيره من مذاهب الاقتصاد الشرقية والغربية »

جاك أستروي في كتابه :

« الاسلام امام التطور الاقتصادي »

وفي الصحارى طباع خير ماثلة

لشاعر المغرب العربي الكبير :
الاستاذ مفدى زكرياء

تحية شاعر المغرب العربي الكبير لموريتانية العربية رئيسا وحكومة وشعبا ، بمناسبة تخليد الذكرى السادسة عشرة لاستقلالها المجيد .

عج بالديار ... وناج المجد والكرما ... واسمع لقلبك ... يعزف حبه نغما
ارض الاحبة ... كم فارت مواجدنا ... شوقا اليكم ... تناجي النيل والشيما
ونغرف الشعر صرفا ، من منابعكم ... تسري اصالته — ملء العروق — دما
ونقبس الوحي من همس الرمال الى ... نخيلها ... فوددنا ان نكون فما
وفي الصحارى السكارى الحالمات لنا ... صلب ... يباغم في اوصالنا الرحما
ارض الصفا والوفا ... لم تأل تغمرها ... ذكاء .. ذكاء .. فتحيي وقدها الرمما
ومهبط الوحي ... في دنيا عباقرة ... (لم تدر الا الندى ... والسيف والقلما)
وذكريات من الامجاد ناسعة ... كشمس ... تلهب الاحساس والهمما
تسقي السما ... ويسمو الروح تربتها ... فيجريان سواء ... سيلها العرما
وفي الغدير ... ظلال من جنادرها ... تسابق الشمس ... لا تلقى لها السلما
ويكتويها الطوى ، في حرها جرة ... فتقضم البان .. والنعمان .. والعنما
والعيس .. تطوي الحصى .. وهي حالمة ... تلقي بدائها الحصى .. والشيح .. والرمما
ويستريح رعاء الشاء في دعة ... منذ ضم حب السلام الذئب والغنما
وتغرف الماء عشر من اناملها ... تخضب الطين منها الكف والقدما
وللسماكين .. والاسماك .. ملحمة ... غنى بها العارض الوسمي حين همى
والبم غازل فيها الرمل منسجما ... فما دنا منه حتى ارتد محتدما

وحت هدى الخيام الفقر ، مجتمع — من الرعاب ، عتاق الدهر محتشما

يطوف حائرة ، يبغي سرائرها — فيثنى — دونها — حائرة منهزما

وحت هدى الخيام السمر ، كم نبعث — مستأرد لم تزل — ملء العروق دما

وبين أيديهم مثال ماثلة — من واقع الشعر ، نرى أنه من عندما

وفي الصحارى ، طباع الخير متمرنة — ومعشر لم يزل ماضيه معتصما

يسعون عن أمرور والجمال بحثر — ويعشق العمل والأخلاق والقيما

ما زلت رجالها — كم سفست بها — أقبل الشعب ، والمختار واعاما !

وفي خبايا نراق الخط ، ليس سوى — من الأحبة ، أرى حبهم ، ونما

قرأت في القسمات الغر ما طفحت — به الجوانح فاستلهمتها الكلما

نشأت في رحب هذا الشعب ، أسمعه — في عبد مرحبه — من رحبه — النغما

أهدى النحية لاستقلال مقدسه — وللأصالة ، به ارفع الهمما

أبثه صفو حبي ، من وشائجه — في مغرب عربي لم يخن دمما .

واستعيد مع المختار عصته — أمجادنا بهم الأجيال والأمما

سألت (شنتيط) عن بحر وقافيه — فمنتهى سلمى نجوا القدما

وابن حلال عبود ، ظل مزهرها — لمجد يعرب ، ما حابى ، ولا اجترما

مجلي الروح ... مستعصي أروعه — عن رده تحرف الشداد والقرما

لا تكروا عيسه (حسانه) وهمرت — أيس (حسان) راع العرب والعجما !

(الفساد) يجري في خوالدها — بشدو الهوى ، والمنى ، والشعر والنغما

فعاش ، يطوي الليالي ثابتا أبدا — وظل كالقدر الجبار مرتسما

فقال (شنتيط) والدنيا تسانده — فكلنا اليوم (حسان) ولا جرما !

لا تتركوا (بولزاريو) الشعر ... يبسخه — فالشعر ، مثل الصحارى — لم تزل حرما !

***

يا وحدة ، صير المختار ولهتها — بعد الشتات ... فعاد الشمل والتأما

آسى جراحات (تيرسى) بعد محنتها — ، فهبها وسعين ، واستردت النعما

وانضم شلو الى جسم ، يقاسمه — دم الشرايين ... لم يتركه متهما

قول وحدته ، دين ومعركة — من نبع عدنان ، يجلي الظلم والظلما

(وحزب شعب) عتيد ، ظل يرفعها — حب النظام ، ويمضي للبنا قدما

(احدى وستين) شادت صرح وحدته ... فاصبح الحزب — لا الاحزاب — محترما

(خمس وسبعون) و (الميثاق) يشرعه ... مختار يوضع فيه النهج والنظما

فانصب هذا الشباب الحر عن ثقة ... في حرب شعب عنيد ، وانضوى ، قسما

قاد الحوار الى الاقناع ، فاصطفيا ... دما جديدا عريقا ، يلهب الهمما

الشعب زكاه ... والمختار ، باركه ... والحزب فجر في اعماقه الشمما

في موطن — عانق العرب الكرام به ... افريقيا — واعادا العهد واقتسما

تأبى البطولات فيه ، ان يرى شيعا ... وان يكيد له ، من يقطع الرحما

ويسخر الرمل في (تيرسي) بمن زرعوا ... فيه عصابات شر ، تعبد الصنما

هم يجحدون حقوق الجار عن سفه ... طوع النفايات ، ممن يجحد النعما

كم راود القوم للحسنى ، ذوو رحم ... وفي المسامع وقر — والعيون ، عمى

وفي الجزائر ، ابطال نفوسهمو ... حرى .. وفيها من المسترزقين ، دمى

وغاصب الحكم ، لا يصغي لوازمه ... دوما ، ولا يعرف الاذعان والندما

يملي له الله ، حينا ، ثم يأخذه ... وقد رضينا به في امرنا حكما

قولوا بمن رام اجهاض لوحدتنا ... نحن الالى بددوا الاوهام والحلما

نحن الالى خالف التوفيق وحدتنا ... فاسترضخت تنسف الاطماع والنهما

نحن الالى تحسد الدنيا مصيرنا ... ويصرع العزم فينا الموت والعدما

نحن الالى سوف نبني صرح وحدتنا ... في مغرب عربي الهم القمما

مختار والحسن الثاني ، وصنوهما ... حبيب تونس كم شادوا لها هرما

لن يخزي الله شعبا في قيادته ... ما دام والقادة الاحرار منسجما

ولن يشل ابن آوى صدق وثبته ... ما دام بالدين والاخلاق معتصما

فاسلم — فديتك — يا مختار في وطن ... اصبحت للمثل العليا به علما

واهنأ بحجك — يا مختار — في حرم ... سر النبوة فيه انقذ الامما

واقبل — فديتك — يامختار — حب فتى ... يقبل الشعب — والمختار — والعلما

مفدي زكرياء

بين قلب ورب

للشاعر الأستاذ
عمر بهاء الدين الأميري

ألمي من جذور عيني تداعى
كل جسمي له ، سهادا وحمى

وبراسي من غور أطرافه
ضاج دبيب الأذى وذاع وعما

وتوالت على من وطني الأنباء
كالعاصفات هزت خصما

كلما قلت : عن قريب يولي الليل ،
ألقى جراله وأدلهما

همي يرسم المناهج في أمري
وأمر العلى ويصعد قدما

والفجاءات تهدم الأمل المنشود
والخطة المرجاة هدما

قدر الله في الغرب يصبر
بيد أن الأعصار يفتك عمى

ويظل الأبي يمضي ويستنفد
وسع الجهاد مهما ، ومهما

فإذا الغارة العشوم أصابت
مصل الحر فجأة مات تهما

☆

يا الهي في الكرب ، والدرب داج ،
ومرادي من عابر العيش أسمى

وليالي عمري تفركسهم
طاش عن قوسه وأخطأ مرمى

قد دعاك المضطر في خفقة
القلب ، مقرا بالذنب ، جهلا وعمى

يخطىء الحر ، وهو يستغفر الله
صلاة ، ويذكر الله صوما

فتحمل عن الصغير الذي قلدته
أمرك الكبير الأهم

فالضنى اشتد ، والعداة اللد
خطب بالعالمين ألم

٭

يا الهي استخفتني ولك المجد
وعزمي بالله يشتد عزما

كبلتني اللأواء والغربة الليلاء
فارددت فوق همي هما

يا الهي يكاد ينحل قلبي
ولك الأمر بيننا ومعمى

لك أسلمت راضيا كل ذاتي
وشكاتي ، فجد علي بنعمى

وأعني ، وأطلق النور في سعيي
عندي في وقدة الظهر نجما

ساطعا يبهر الشموس ويهديا ،
شهاب في مثل الكفر سهما

فداء إلى النّصر

للشاعر الأستاذ الحدفي الحمراوي

فداء لـه سطـوة تـردع ... فرودا بـه يبلـى الأربـع
فداء العروبة عـز الدنـى ... وطارت له شهـرة تسمـع
أباء بـه عرفـت أمـة ... طبـائعهـا للعلـى تنـزع
وعزم لأجيالهـا لـم يـزل ... لآيـات أمجادهـا يبـدع
إذا هب يومـا الـى غايـة ... فليس لـه دونهـا مرجـع
وغصبة شعـب إذا هاجهـا ... منير يهـج ثـورة تفجـع
إذا ما استباح الحمى غاصـب ... بباقته من هولهـا رفـرع
يسد المناهـج فى وجهـه ... ويرمى به حيث لا يرجـع

هم العرب أوطانهـم حـرة ... وراياتهـم لاعـلى ترفـع
وأبناءهم بالفـدى أغرمـوا ... فلن يستذلوا ولن يخضعـوا
ليوث الكفـاح وفرسانـه ... وشمسه من أفقهـم تطلـع
وفى ساحة الحرب قـد أبصـروا ... حياة وهم صبيـة رتـع
وفيها لأمجادهم موسـم ... بهيج ، وفيها لهم مرتـع
وضوضاءها عندهـم نغمـة ... يسر بها القلب والمسمـع
هم الناس ليس لهم مشبـه ... ولا مثل أمجادهم يصنـع
ألم يملكـوا الأرض فى حقـب ... فكانت لسلطانهم تخضـع ؟

وكانت بقرآنهم جنة ... لكل الانام بها موضع
وكانت بأفكارهم حرة ... جوانبها بالحجى تسطع
بروح الكتاب بنوا مجدهم ... سددهم خلق أرفع
وبالعدل — لا بالهوى — أسسوا ... بناء به الارض تستمتع
بنور معارفهم أشرقت ... وكان الظلام بها يفزع
فهم أيقظوها ، وكانت على ... حصير جهالتها تهجع
وهم أنهضوها ، وكانت على ... تراب الشقا — قبلهم — تقبع
وهم علموها ، وهم مدنوا ... شعوبا على نهجهم تطبع
مآثرهم لم تزل غضة ... ومعروفهم لم يزل يمرع

—×—

فكيف استباح منابتهم ... قرود لهم في الحمى مقبع ؟
اتوا كالوباء على بغتة ... يسعرهم احنة تلدع
وهب اللئام الى حتفهم ... ولكن كما استأسدت أضبع
وما شأنهم بالعلى ؟ انما ... هم — الدهر — زعنفة تخنع
وقد عودتهم خساستهم ... — من الذل — للغير أن يركعوا
فقد رضوا الذل طول المدى ... فلم يفطموا عنه أو يقلعوا
فكيف تصح لهم عزة ؟ ... وقد فاتهم سرها المبدع
وكيف تتم لهم دولة ؟ ... وهم بدد ما لهم مجمع
لقد غرهم من به استنجدوا ... وخاب لهم في العلى مطمع
وعرضهم للردى مغرض ... وحظ لهم سيء أشنع

—×—

« فلسطين » للعرب أقطارها ... وما لسواهم بها أصبع
أبي الانس والجن ذلك أم ... أرادوه ، انه لا يدفع
وتلك حقيقتنا ، اننا ... — بعينا — على أمرها نجمع
وفيها نذوب ، ومن أجلها ... نحارب سعيا ولا نردع
وتلك عقيدة شعب غدت ... شعارا له ، فيها نصدع
بعبء من أجلها حاضرا ... يمده غابره الامتع
وفيها مفاخره تلتقي ... ويحشد تاريخه أجمع

« فلسطين » أن لم تصر حـــرة ... وللعرب ؛ فالحرب لا تقطـــع
الى أن تعود سيبقى الفـــدى ... وحرب بها للعدى مصـــرع
ولسنا نبالي اذا استرسلـــت ... حروب ، وساء لها موقـــع
الى الحشر قد صممت امـــة ... على أن تحارب من يمنـــع
فما للعروبة من قيمـــة ... وللدين من شرف يرفـــع
اذا لم تحرر فلسطيننـــا ... وفيها تواريخنا تـــزرع
وفيها لنا شرف معـــرق ... ومجد عظيم السنا أوســـع
وقبلتنا ـ اولا ـ مسجـــد ... له حرمة نورها ينصـــع
ومسرى رسول الهدى جـــاءه ... فصلى وطاب به الموضـــع
وصلى بـه عمـر بعـــده ... خليفتـه المرتضـــى الاورع
ومهد المسيح الطهور الـــذي ... يجلـه قرآننـــا الاروع
فكيف القعود ؟ وأمجادنـــا ... هناك تنادي ، الا نسمـــع ؟
وموسى وعيسى مـع المصطفـى ... يقولون : هبوا ولا تجزعـــوا
فقد نجس البغي آثارهـــم ... وحاق بها منه ما يقطـــع
وداس تعاليمهـم كلهـــا ... ولم يرعو المجرم الاوكـــع
فتلك الكنائس قـد اقفـــرت ... فليس بها راهب يصـــرع
وتلك المساجد مهجـــورة ... فليس بها مؤمن يركـــع
وتلك « القيامة » محزونـــة ... ومسجدنا حولها يخشـــع
و « صخرته » تشتكي غربـــة ... وتبكي وان لم تر الادمـــع

—×—

فيا صبغة الدين في « قدسه » ... ويا اشفاه لما يجـــرع !
متى ينصر الدين أصحابـــه ... متى ينجلي كربه المفـــرح ؟!
متى يسترد الحمى أهلـــه ؟ ... فيغسل عار بـه نقـــدع
ويفرد وحتى يغيث بـــه ... فسادا ، متى نابه تقلـــع ؟
وتنكأ فرحـه أحفـــاده ... ويفلق « صهيون » أو يبضـــع
فيمحق باطله المفتـــرى ... ويرفع عن حقنا برقـــع
وتستبشر الارض أن أصبحـــت ... وليس بها سمة الانقـــع
وليس بها خبث انفـــه ... وليس بها مكره المفضـــع
وباء وبيء بـه تبتلـــى ... وداء عياء به تصـــرع

فليس لها ـ أبدا ـ راحة ... ذا ما استمر بها يرتع
وليس بها هدنة ترتجى ... ولا للرخاء بها مطلع
فذلك « صهيون » داء الورى ... وحرب السلام التى تفظع
مبيد الحضارات سر الشقا ... ونسج اليهود الذي يرقع
وكيد قديم جديد لهم ... وحقد دفين لهم بلع
عليه انطووا للورى كلهم ... [illegible]
فكم أوقدوا من حروب ، وكم ... [illegible]
وكم أمة أكرمت نزلهم ... فصاروا لها علة تنفع
وصاروا لثروة أبنائها ... لصوصا ؛ لهم حيلة تخدع
فهم ساسة المال ؛ لا ينتحي ... سواهم ؛ وعباده الخشع
[illegible] الدهر ، بل [illegible] ... ففي كل شعب لهم مهيع
يسيرون فيه بلا كلفة ... ومن خلفهم فتن تتبع

—x—

وفي الشرق قد فجروا فتنة ... ولكن بها داءهم يقمع
فقد ساقهم قدر غالب ... الى حيث آنافهم تجدع
الى أمة جربت مكرهم ... [illegible]
ـ « يثرب » كانت لهم غدره ... [illegible]
فكم دبروا قتل خير الورى ... [illegible]
وكم عاهدوه على ذمة ... [illegible]
فبالغدر ـ من قدم ـ أغرموا ... عليه انطوت منهم الأضلع
دناءتهم لم تزل تذلة ... وأحقادهم كالقنا تترع
نفايات خلق وأمراضه ... فليس لهم خلق يشفع
متى استريح الورى منهمو ... ويطوى لهم شبح أبشع ؟
متى ينصف الدهر من كيدهم ... شعوبا بويلاتهم تقرع ؟
متى الحق يخمد أنفاسهم ... وبالعدل أقفاءهم تصفع ؟
كأني بليل رهيب الردى ... أتتهم مواحقه تهرع
فلم تبق من كيدهم قطرة ... ولم يبق في قوسهم منزع
لقد نفد المكر ، واستشعرت ... طواغيتهم نكبة تصفع

—x—

فداء العروبة لا ينثني ... ولا يستكين ولا يقلع
الى أن يدق جماجمهم ... ويتركهم نبأ يسمع
ومن خلفه شعبنا كله ... بغير انتصاره لا يقنع
يمد الفداء بطاقته ... فيمشي مريا ولا يطمع
بحياة شعب وبارحة ... لجيش مواقفه تمتع
واعجاب دنيا بأقدامه ... وفخر على جمعه يخلع
وغار البطولة في هامه ... وتيجانها فوقها تلمع
وحيى عصائب الطاله ... ملائك نصر لهم تبع
بهم شرف العرب مستعصم ... ومنهم دواء له انجع
وبالله يكمل نصر الفدى ... ومن حقنا سحب تقشع
ومن ربنا العون مستمنح ... على ما بدانا وما نزمع

الرباط : المدني الحمراوي

حنين وذهول

للشاعر
غربي محمد

نظرت الى هذي المشاكل كلهـــــا
بعين خشـــوع ، لا خبيـــر بحلهـــا
فلســـت على هـــذا الـــورى منـــالهـــا

وقلت : الهـــي ، انت وحـــدك قـــادر ومـــا كنـــت يومـــا عن عبـــادك غافـــلا

وعـــدت الى نفســـي فقلت لها ، انظـــري
مشاكل هذا الخلق ، ثم تصـــــوري
اذا لم يكـــن عـــون الالـــه المـــدبـــر

ايمكن أن يرعـــى الـــوجـــود ، مكـــابـــر يدبـــر هـــذا الكـــون وحـــده جاهـــلا؟

فمن اين يأتيهـــم بمـــاء ومـــأكـــل ،
وشمس ، واتـــراب ، ومختلـــف الحـــي
امـــا يصلحي قـــوم ، بعقـــل مغفـــل

وعلـــم قليـــل ، كـــدرتـــه المصـــادر يقولـــون ان العقـــل اصبـــح شامـــلا

ولما وجدت النفس بفقرهـــا الغنـــى
ويسلمهـــا حـــب الحياة الى الفنـــا
وصاحت تنادي المال : نفســـي انا ،، انـــا

ربـــأت بنفســـي أن يقال مغـــامـــر ينادي الهـــا ليس ينفـــع زائـــلا

وقلت لماذا والحياة الى زوال
اناديه مبحوحا ، الى انا تعال
وعند الهى ، ما رجوته من نوال

وحسبى انى مومن به شاكر دعوته فى ذل ، وادعوه سائلا

ولم اتخذ زلفى اليه سوى الرجا
لعلمى ان الله ان شاء فرجا
بدون وسيط ، ربما كان اعرجا

ومشى ، على حقل الذنوب يباكر ليغرس فيه حسرة وسلاسلا

لقد خلق الله العباد ليعبدوه
ويرعوا جمال الكون ، لا ليبددوه
بكسب حلال نافع ، لم يلبدوه

ومن اجل اخوان لهم فهو دائر يمتع هذا ثم ذلك ، جائلا

ارى عالم اليوم استخف بدينه
ومال الى الدنيا بكل حنينه
اليها فقط ، شد الرحيل لحينه

واما الى الاخرى ، فليس يهاجر كانه فى الدنيا مخلد راغلا

شفشاون — غربى محمد

من نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

تدشين خزانة المسجد الاعظم بسلا

تدشن السيد الداي ولد سيدي بابا وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية مؤخرا بمدينة سلا خزانة المسجد الاعظم بحضور الكاتب العام للوزارة وعامل الرباط وسلا ورئيس المجلس البلدي وجمع من العلماء والمنتخبين واعيان المدينة . وتحتوي الخزانة على ثلاث قاعات تختص اثنتان منها بعرض الكتب في المواد الاسلامية والعلوم الانسانية والطبيعية باللغتين العربية والفرنسية ، وخصصت القاعة الثالثة للمطالعة .

والقى السيد الوزير بالمناسبة كلمة قال فيها :

« يسرني في هذا اليوم السعيد ان احضر في هذا المكان المبارك لتدشين خزانة أبت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية الا ان تشيدها في رحاب هذا المسجد لتكون موقع اشعاع وتربية وتثقيف لابناء هذه المدينة العزيزة . وان تدشين هذه الخزانة في هذه البقعة التي اشتهرت في ماضيها وحاضرها بتشبثها بالثقافة وبالعلم ، انما هو عمل نريد ان نستهل به سلسلة من الخزانات التي ستقبل الوزارة على انشائها في المساجد والمدن الكبرى .

وآمل ان تؤدي هذه الخزانة رسالتها على أكمل وجه وان يجد فيها الرواد نقطة اشعاع وفكر في هذه المدينة .

وقبل ان اختم هذه الكلمة اريد أن أعبر عن مشاعر الامتنان والشكر لكل الذين ساهموا في انشاء هذه الخزانة سواء بخبرتهم او بما تقدموا به من مساعدات ، واشكر كذلك السلطات المحلية وعلى راسها سعادة العامل على اهتمامها بهذه المنجزات التي تعد في نظرنا جزءا لا يتجزأ من عزة هذا البلد وعظمته وازدهاره » .

سفير باكستان يزور مديرية الشؤون الاسلامية

قام سعادة سفير جمهورية باكستان الاسلامية بالرباط اليوتنا جنرال مالك عبد المجيد بزيارة مجاملة لمديرية الشؤون الاسلامية حيث كان في استقباله الاستاذ محمد يسف مدير الشؤون الاسلامية . وقد دار الحديث بين السيد السفير الباكستاني والسيد يسف حول العلاقات الاخوية بين البلدين الشقيقين وآفاق التعاون المثمر في مجالات الدعوة الاسلامية ونشر الفكر الاسلامي .

وقد عبر السيد السفير خلال هذه المقابلة عن اعجابه بالتطور الحثيث في المغرب واكباره لمواقف جلالة الملك نصره الله مشيدا بجهود وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في ميدان التعريف الاسلامي وتدعيم الصلة مع الدول الاسلامية الشقيقة لما فيه مصلحة المسلمين في كل مكان .

مشاركة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في مهرجان التجويد بتركيا

أوفدت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ احمد الشرقاوي من ديوان السيد الوزير الى مهرجان التجويد الذي نظمته مؤخرا تركيا وشارك فيه اربع عشرة دولة عربية واسلامية هي : المغرب الجزائر ، تونس ، ليبيا ، مصر ، الاردن ، الكويت ، العراق ، ماليزيا ، باكستان ، اندونيسيا ، يوغوسلافيا ، افغانستان ، تركيا .

والقى السيد الشرقاوي كلمة المغرب امام رئيس الوزراء التركي ووزير الثقافة اشاد فيها بانفتاح تركيا على العالم العربي والاسلامي مركزا على الدور التاريخي الكبير الذي لعبه هذا البلد الاسلامي في اثراء الحضارة الاسلامية .

الجزء الثالث من الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية

صدر عن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية (مديرية الشؤون الاسلامية) الجزء الثالث من « **الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية** » للاستاذ الباحث عبد العزيز بنعبد الله المدير العام لمكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي . ومن المقرر أن تظهر اجزاء اخرى من هذه الموسوعة تباعا. وهي تعطي صورة مشرقة عن مظاهر الحضارة والثقافة المغربية وتظهر مساهمة العلماء والمفكرين

من نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

المغاربة في شتى المجالات الفكرية والحضارية . وقد بذل الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله جهودا شاقة في البحث والتنقيب والتبويب ، وهو خير من يعرف بهذا العمل العلمي الخاص .

برنامج موسع لتحقيق الكتب الاسلامية

تعتزم مديرية الشؤون الاسلامية قريبا مجموعة من الكتب الاسلامية القيمة تحقيق الباحثين المختصين . ومن المقرر أن يصدر الجزء الثاني من تفسير ابن عطية تحقيق المجلس العلمي لمدينة فاس ، كما سيصدر الجزء الخامس من المدارك للقاضي عياض بتحقيق الدكتور محمد بن شريفة . اما كتاب « التمهيد » لابن عبد البر فقد صدرت منه خمسة اجزاء ، وسيصدر الجزء السادس قريبا بتحقيق الاستاذين سعيد أعراب ومحمد الفلاح ويليه الجزء السابع الذي فرغ من تحقيقه الاستاذ عبد الله بن الصديق .

ومن كتب التراث التي ستصدرها مديرية الشؤون الاسلامية في القريب بحول الله كتاب « نثر البنود على مراقي السعود » لصاحبه العلامة عبد الله العلوي الشنقيطي . وكان قد طبع بالمطبعة الحجرية بفاس بأمر السلطان المولى عبد الحفيظ .

ويشتغل الدكتور محمد شبانة في تحقيق كتاب « معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار » لابن الخطيب الذي تقرر نشره هذه السنة .

وقد انتهى الاستاذ حسن السائح من تحقيق الرحلة الحجارية للبلوي .

التقويم الهجري المغربي

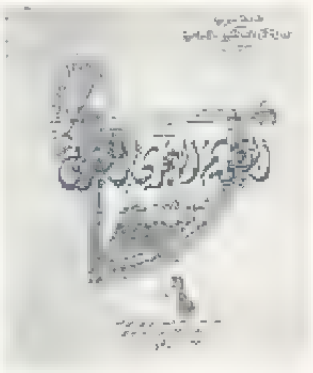

اصدرت مديرية الشؤون الاسلامية التقويم الهجري المغربي في مائة وتسع صفحات من الحجم الصغير ، من اعداد المؤقت محمد ابن عبد الوهاب بن عبد الرازق . وقد وزعت كمية كبيرة منه على الوزارات والمصالح الادارية والجالية المغربية في أوربا .

ويمتاز « التقويم الهجري المغربي » بالجداول والبيانات المدققة الى جانب طائفة من الحكم والامثال والابيات الشعرية المختارة .

شهريات العالم الاسلامي

مؤتمر المجلس الافريقي للتنسيق الاسلامي

● انعقد في داكار في أواخر الشهر المنصرم « المجلس الافريقي للتنسيق الاسلامي » حضره ممثلون عن عدد من الدول الافريقية الاسلامية .

وقد انتخب المجلس التنفيذي وهو يضم ستة عشر عضوا وبذلك أصبح رئيس المجلس من السنغال ونائب الرئيس من نيجيريا والرئيس المساعد الاستاذ أبو بكر القادري من المغرب .

وقد اصدر المجلس عدة قرارات في مقدمتها بذل كل الجهود لنشر تعاليم الاسلام الحنيف في كافة أرجاء القارة الافريقية ، والعمل لتحسين علاقات العالم الاسلامي والافريقي ، وبذل ما في الوسع من اجل رفع المستوى الثقافي والاجتماعي للشعوب الافريقية .

اسبوع السلطان عبد الحميد بتركيا

● احتفل في تركيا مؤخرا باسبوع السلطان عبد الحميد . وقد دعت صحيفة « سبيل » الاسلامية الى ذلك تخليدا لذكرى آخر خلفاء الدولة العثمانية .

وعلقت صحيفة الميثاق لسان رابطة علماء المغرب على ذلك بقولها :

« لم يظلم رجل كما ظلم السلطان عبد الحميد فقد صوره اعداؤه رجلا ظالما طاغية متعطشا للدم يحكم بالحديد والنار ، ومع ذلك فقد استطاع هذا الرجل الذكي ان يحتفظ ما استطاع بكيان الدولة الاسلامية مدة 33 سنة ولكن قدر الله وسوء حظ المسلمين هو الذي مكن لاعداء الله من خليفة المسلمين ، واليوم بدأ المسلمون يدركون أهمية الرجل وعظمته » .

100 1 مليون دولار من السعودية لباكستان

● وافقت المملكة العربية السعودية على الاشتراك بمبلغ يقدر بمليار ومائة مليون دولار في مشروعات مختلفة بالباكستان في المجالين الاقتصادي والعسكري . وقد اتخذ جلالة الملك خالد هذا القرار اثناء زيارته الاخيرة لباكستان . وسيخصص مبلغ 560 مليون دولار اساسا لبناء المركز النووي الجديد .

معهد للدراسات الاسلامية بباريس

● قررت الحكومة الفرنسية انشاء معهد للفن والدراسات العربية والاسلامية . وسيخصص له احد القصور التاريخية بباريس ، ويضم متحفا للآثار الاسلامية ومكتبة تحتوي على المراجع الاسلامية المترجمة الى الفرنسية واللغات الحية .

وسيقوم المعهد بتنظيم سلسلة من المحاضرات الجامعية بهدف القاء الضوء على جوانب من الحضارة الاسلامية وتقديم صورة حية للمواطنين الفرنسيين عن الفكر والثقافة العربية الاسلامية .

اكاديمية للعلوم الاسلامية

● دعا مقرر جمعية « احياء التراث الاسلامي » بالقاهرة الى انشاء أكاديمية للعلوم الاسلامية لتكون خطوة رائدة وملهمة من اجل نهضة الاسلام والمسلمين .

وطالب بضرورة انتهاج التفكير العلمي لكي نعد انفسنا للهدف الذي نرنو اليه وذلك بتقصي ما اشتمل عليه القرآن الكريم والسنة البيد السريعة من نظم وأحكام ودراسة عهد الخلفاء الراشدين ونظم الحكم والادارة والاقتصاد والفتح الاسلامي .

بعثة من زعماء المسلمين في امريكا تزور مصر

● قامت بعثة من زعماء المسلمين في الولايات المتحدة الامريكية بزيارة لجمهورية مصر العربية تمثل جميع الهيئات الاسلامية .

اعادة بناء مساجد السويس المدمرة

● اعتمدت الحكومة المصرية مبلغ 10 آلاف جنيه لتأسيس المساجد التي دمرت في مدينة السويس نتيجة العدوان الصهيوني ، وذلك كدفعة اولى تتبعها دفعات اخرى .

شهريات الفكر والثقافة

المغـــــرب :

● تلقى جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله مجموعة من الكتب الاسلامية القيمة هدية من الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر . وقد بعث جلالته الى فضيلته الشيخ برسالة شكر نشرت ايضا صحيفة الاهرام القاهرية .

وقالت الصحيفة ايضا ان جلالة الملك الحسن الثاني قد ارسل الى الدكتور عبد الحليم محمود المخطوطة المكية للجامع الكبير للاطلاع عليها ... وعلقت الاهرام على ذلك بأن هذه اول مرة يعار فيها المخطوطة خارج المكتبة المكية .

● قدم الاستاذ احمد الاخضر غزال مشروع اصلاح الطباعة العربية لمؤتمر اليونسكو المنعقد مؤخرا بنايروبي معززا من طرف جميع البلدان العربية والاسلامية التي تستعمل الحرف العربي في كتابتها فصودق عليه بالاجماع وطلب المؤتمر من جميع البلدان المعنية بتبنيه نهائيا بصفة رسمية لانه المشروع الوحيد الذي يحل جميع مشاكل اللغة العربية من حيث طبع الحرف العربي بجميع الوسائل المعيارية الدولية مع المحافظة على هيأته الاصلية وضمان علامات الشكل الضرورية لرفع كل لبس وبالتالي للنهوض بالفصحى كما ان مشروع ادخال العربية المشكولة في الاعلاميات على أساس وحدة التواصل بين الاقطار العربية بوسائل التقاعسات (الادمغة الالكترونية) والبرقيات (تيليكس) لتتحاور فيما بينها صدوق عليه كذلك بالاجماع وطلب المؤتمر من المدير العام ان يقدم هذا المشروع المصور بالعربية المعيارية المشكولة بالشفرة العربية الموحدة الى المنظمات الدولية المختلفة بتسميته الدولي لاعتماده كوسيلة رسمية لتواصل بين جميع البلدان التي تستعمل الحرف العربي في كتابة لغاتها .

● انعقدت بكلية العلوم بالرباط ندوة ثقافية حول موضوع « الشباب والمعرفة العلمية » التي تنظمها اللجنة الوطنية المغربية لليونسكو . وذلك بحضور اعضاء الاتحاد المغربي لنوادي اليونسكو يبحث القضايا العلمية ومكانتها في حياة الانسان من خلال محاضرات الاساتذة المختصين .

● حل بالمغرب مؤخرا مجموعة من الاساتذة المستشرقين بجامعة مانشستر في انجلترا . وقد زاروا الخزانة الملكية حيث استمعوا الى شروح مفصلة من طرف الاستاذ عبد الرحمن الفاسي محافظ الخزانة .

وقد اوضح الاستاذ عبد الرحمن الفاسي ان الخزانة الملكية تحتوي على مخطوطات وثائق ومطبوعات يصل عددها الى 25 الف كما تشتمل على نوادر المخطوطات في العالم وان تاريخ انشائها يرجع الى عهد المولى اسماعيل او السابق في ذلك العهد ما يسمى « بديوان النسخ » ، وهي وزارة قائمة بذاتها تقوم نسخ الكتب العلمية التي تطلبها - سواء من داخل المملكة او خارجها ، اما في الوقت الحاضر فقد انشأ صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ما يسمى - بجائزة الحسن الثاني للمخطوطات - وتجرى كل سنة كما يتم تصوير النادر منها .

واوضح الاستاذ عبد الرحمن الفاسي في الاخير ان الخزانة الملكية تستعمل احدث الطرق العلمية للمحافظة على الوثائق والمخطوطات .

● زار المغرب الاديبان العراقيان جبرا ابراهيم جبرا وشفيق الكمالي . وقد نظم ليما اتحاد كتاب المغرب لقاء مع جمهور المثقفين بقاعة المحاضرات بوزارة الثقافة .

● من الدراسات التاريخية الجديدة التي تعززت بها المكتبة المغربية كتاب « **خلاصة تاريخ سبتة بالآثار والمآثر وما جاورها حتى كدية الطيفور**» لمؤلفه الاستاذ محمد السراج الفاسي عالما بمدينتي سبتة ومليلية رد الله غربتهما .

والمؤلف يهدي الكتاب الى جلالة الملك الحسن الثاني مع متمنياته « بأن تزف سبتة عروسا لجنابه العزيز » .

والكتاب عرض تاريخي مسهب وتحليل ودراسة لمختلف مراحل الاحتلال الاجنبي لمدينة سبتة . ويستهل ببحث حول تسميتها وذكر القرى المجاورة لها ثم يسترسل في عرض الاطوار التاريخية من « القوط » الى طارق بن زياد الى الادارسة الى عبد الرحمان الناصر المرواني الى استيلاء الشيعة على المدينة . ومن الحكم المستنصر الى المنصور بن ابي عامر الى الحموديين الى الحاجب سكوت البرغواطي . ويمضي في هذا التسلسل الى عصر القاضي عياض ابن المدينة ويعرج على عبد المؤمن وولده سعيد ومن ثم الى المرتضين وفرج ابن الاحمر ثم يقف عند تمرد أهل سبتة على بني الاحمر ، ليستقل الى عهد بني مرين .

ويركز المؤلف على العصور الحديثة بعد ان يأتي على ذكر مفصل لتاريخ احتلال اسبانيا للمدينة ليعطي بعد ذلك صورة شاملة للحياة العلمية والاجتماعية والادارية للمغاربة في مدينتهم المحتلة بما في ذلك عادات السكان وتقاليدهم ومظاهر تشبثهم بالاصالة المغربية والثقافة العربية الاسلامية رغم ظروف الاحتلال القاسية . ويعزز المؤلف كتابه بالصور والخرائط .

● تعززت المكتبة المغربية بمعجم التربية والتعليم للدكتور محمد بن شقرون . وهو اتجاه جديد في التاليف التربوي قصد به المؤلف اظهار غزارة وتنوع المادة التربوية في الثقافة العربية الاسلامية . ولذلك يقول المؤلف :

«وأدهى من ذلك انك مما كلفت نفسك من عناء ، فلن تجد في مؤلفات هؤلاء الاساتذة ذكرا لمفكر عربي أو احالة على مرجع اسلامي . تصفح كتابا لتاريخ التربية العام يستعرض فيه مؤلفه أطوار الحركة التعليمية أو التربوية ، ويقدم نظريات الفلاسفة والمتفلسفين والخبراء والمربين ، ولكنه يجهل ويتجاهل ما خلفه مفكرو العرب والمسلمين من تراث اصيل يستحق الدرس والتحليل ، والنتيجة الحتمية هو ما يجنيه طلبتنا من افكار ، اذ يعرفون عن اوروبا كل شيء ولا يعرفون شيئا في الغالب عما تركه اسلافهم من نظريات ودراسات وتحليلات في المواضيع التي تهم المعلمين والمتعلمين».

● كتب الدكتور عباس الجراري مقالا في مجلة (الدوحة) عدد ديسمبر تحت عنوان : من قضايا الفكر والادب في المغرب جاء فيه على الخصوص :

« لسنا نزعم ان الثقاب كشف كليا عن المكتبة المغربية ، ولا أن أسباب البحث العلمي قد تيسرت للدارسين ، فما زال الغبار الكثيف يخفي الكثير من تراثنا المكتوب ، وما زال الباحثون ينكبون من المشاق ويصادفون من العراقيل ما يعوق عن الاستمرار ان لم يعق عن البدء . ولكنا مع ذلك نرى حقا لنا ـ نحن ابناء هذا الجيل ـ وواجبا علينا كذلك ان نقول كلمتنا نضيف بها دما جديدا أو نحرك الدم القديم على الاقل . ونحن على يقين من أنه يوم يزاح الستار عن المكتبة المغربية وما يكملها من مختلف الوان التراث ، ويوم تتاح دراسة كل ذلك بموضوعية وفكر متحرر من كل الوان القيود ، يومئذ سيعاد النظر كليا في تاريخنا الثقافي والحضاري ، وسيكتب هذا التاريخ من جديد ، وفي اطار يبرز الملامح الحقيقية للفكر والادب في المغرب » .

الجزائر :

● الباحث الجزائري « موسى لقبال » اصدر كتابا عن « الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي: نشأتها وتطورها » ، تعرض فيه لجوانب من تاريخ المغرب في مختلف اطواره .

شهريات الفكر والثقافة

تونس :

● أصدرت كلية الآداب بالجامعة التونسية كتابا باللغتين العربية والفرنسية بعنوان : « التجارة في المغرب الاسلامي من القرن الثامن للهجرة » من تاليف الباحثة نجاة باشا .

● اقامت منظمة اليونسكو بالاشتراك مع المعهد القومي للتربية بتونس حلقة دراسية على مستوى البلاد العربية بمدينة « الحمامات » حيث المركز الثقافي الدولي وعالجت الحلقة موضوع مشكلات الكتاب والقراءة وقضاياها في الاقطار العربية .

● « البنية القصصية في رسالة الغفران » لحسين الواد صدر عن دار العربية للكتاب بتونس .

● « المعري وجوانب من اللزوميات » للحبيب حمادي أصدرته الدار التونسية للنشر .

● « شاعرية أبي العلاء في نظر القدامى » لمحمد مصطفى بلحاج أصدرته الدار العربية للكتاب .

● « الزهريات » للشيخ سالم بن حميدة أصدرته الشركة التونسية للتوزيع بتحقيق وتقديم محمد الحبيب عباس في 288 صفحة .

ليبيا :

● ساهمت ليبيا بثلاثمائة الف دينار ليبي لتدفئة مسجد طوكيو ، وبمبلغ مماثل لمسجد في كوالامبور . وتقدم المجلس الاعلى الاندلسي للدعوة الاسلامية الى ليبيا بطلب مساعدة من أجل بناء مستشفى ابن سينا الاسلامي .

مصر :

● حصل الدكتور محمد مهدي علام على جائزة الدولة التقديرية في الآداب باغلبية اصوات المجلس الاعلى للفنون والآداب .

● الاعمال الكاملة للمفكر المصري « علي مبارك » ظهرت مؤخرا في مجلد يضم 13 جزءا من انجاز الدكتور محمد عمارة الذي أصدر من قبل الاعمال الكاملة لمحمد عبده ورفاعة الطهطاوي وعبد الرحمن الكواكبي .

● أعادت دار « المختار الاسلامي » بالقاهرة طبع كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » للعالم الهندي الكبير ابي الحسن الندوي .

● قواعد المنهج السلفي والنسق الاسلامي في مسائل الألوهية والعالم والانسان عند ابن تيمية» كتاب جديد للدكتور مصطفى حلمي .

● « نظريات شيخ الاسلام ابن تيمية في السياسة والاجتماع » لمؤلفه « هنري لاووست » صدر الجزء الاول منه في القاهرة بترجمة محمد عبد العظيم علي . وتقديم وتعليق الدكتور مصطفى حلمي.

● صدرت في القاهرة مجموعة كتب التراث الاسلامي التالية :

— « اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا» لتقي الدين احمد علي المقريزي ، من تحقيق الدكتور محمد حلمي ، محمد احمد ، والدكتور جمال الدين الشيال .

— تأويلات أهل السنة للامام ابي المنصور الماتريدي ، من تحقيق الدكتور ابراهيم عوضين والسيد عوضين .

— « الطبقات السنية في تراجم الحنفية » للمولى تقي الدين عبد القادر التميمي ، ومن تحقيق عبد الفتاح محمد لحلو .

● « المجتمع الاسلامي والمجتمع الشيوعي : دراسة مقارنة » كتاب جديد يبحث في المذاهب

● شهريات ـــ الفكر والثقافة

الفكرية والسياسية المعاصرة من وجهة نظر اسلامية علمية موضوعية من تاليف الدكتور زيدان عبد الباقي المدرس بكلية البنات الاسلامية بجامعة الازهر .

● « مثالية الدعوة والدعاة » كتاب جديد لعبد الحفيظ فرغلي القرني صدر مؤخرا في القاهرة .

● « الحضارة والحرية » دراسات في الانسان والتطور الحضاري ظهر حديثا في مصر لمؤلفه اميل توفيق .

● « آراء نقدية في مشكلات الفكر والثقافة » كتاب جديد للدكتور فؤاد زكرياء يضم مجموعة من المقالات النقدية التي نشرها المؤلف في الفترة ما بين 1964 و 1971 .

● الاستاذ الباحث محمد عبد الله عنان الموجود حاليا في المغرب اصدر مؤخرا المجلد الثالث من كتاب لسان الدين ابن الخطيب « الاحاطة في اخبار غرناطة » . وقد اعتمد المحقق على مخطوطين مهمين احدهما بمكتبة الاسكوريال باسبانيا والثاني بجامع الزيتونة بتونس ، ويبلغ المجلد الثالث ازيد من 600 صفحة تتضمن مجموعة كبيرة من التراجم تبلغ نحو 194 ترجمة للملوك والعلماء والادباء والمثقفين الاندلسيين .

المملكة العربية السعودية :

● « علم ادارة الافراد » آخر مؤلفات الشيخ عبد الوهاب عبد الواسع وزير الحج والاوقاف في المملكة العربية السعودية . ينقسم الكتاب الى ثمانية ابواب :

1 ـ نشأة وتطور علم ادارة الافراد
2 ـ وظائف علم ادارة الافراد .
3 ـ التحليل المهني للوظائف
4 ـ تجنيد القوة العاملة
5 ـ اختيار وانتقاء افراد القوة العاملة .
6 ـ تنظيم المؤسسة ووظائف الافراد داخلها
7 ـ تقييم الوظائف
8 ـ التوجيه المهني والتدريب .

ويقع الكتاب في 300 صفحة من القطع المتوسط .

● صدرت في المملكة العربية السعودية مجلة جديدة بعنوان « المجلة العربية » ، وقد وصلنا منها العدد الثاني وبه موضوعان عن المغرب ، الاول استطلاع مصور عن مدينة الرباط كتبه الشيخ طه الولي .. والثاني بحث عن القاضي عياض كتبه الاستاذ عبد الله كنون .

« والمجلة العربية » التي يراس تحريرها الدكتور منير المجلاني تمتاز باخراجها الممتاز وتنوع موادها ودسامتها . وقد بدات صدورها في بيروت واضطرتها ظروف لبنان للانتقال الى الرياض ، وتفصل بين عدديها الاول والثاني مدة سنة .

● اصدرت كلية الشريعة بالرياض كتابا لمحمد ابن عبد العزيز السديس عن « الدراسات القرآنية المعاصرة » قدم له الشيخ مناع القطان .

● « الشوارد » كتاب جديد من منشورات دار اليمامة بالرياض اصدره عبد الله بن خميس .

العـــــــــراق :

● صدر للشاعر فاضل العزاوي ديوان شعر جديد بعنوان : « الشجرة الشرقية » . وصدرت له قبل ذلك رواية بعنوان « القلعة » وهي نسق جديد في الرواية العربية .

● شهريات الفكر والثقافة

فلسطين المحتلة :

● « الحركة الوطنية الفلسطينية » كتاب جديد للمؤرخ عادل حسن غنيم . يستعرض مختلف اطوار الكفاح العسكري والسياسي الذي خاضه الشعب الفلسطيني من أجل حقه الطبيعي في الحرية والاستقلال .

فرنسا :

● ظهرت ترجمة فرنسية لكتاب الاستاذ مالك ابن نبي « الظاهرة القرآنية » باشراف اتحاد الطلبة المسلمين في فرنسا .

● « القرآن والعلم » كتاب للمفكر الفرنسي موريس بوكاي ظهر مؤخرا بباريس يؤكد فيه مؤلفه أن القرآن هو الكتاب الوحيد في العالم الذي لا يتعارض مع العقل والعلم .

● وزير الخارجية الفرنسي السابق ميشيل جوبير أصدر كتابا عن مشاهير النساء في العالم بعنوان « رسائل مفتوحة الى النساء اللائي لعبن دورا قياديا في بلادهن » . بيعت 50 الف نسخة من الكتاب في اليوم الاول من صدوره .

الاتحاد السوفياتي :

● صدر في موسكو كتاب بعنوان « الاسلام » قال عنه مراسل مجلة (الاقلام) العراقية **« انه ما ان طرح في السوق حتى نفدت نسخه جميعا وأعيد طبعه ثانيا بمائة الف نسخة » .**

يقع الكتاب في 128 صفحة ونشرته دار بوليتيجسكايا ليتراتورا (الاداب السياسية) ، ويحتوي على تسعة فصول تتناول ظهور وانتشار الاسلام ودراسة واقع الاسلام اليوم اضافة الى مسح تاريخي وسياسي للواقع الاجتماعي الذي رافق ظهور الاسلام .